

بسم الله الرحمن الرحيم

مقتطفات من كلام العلماء في شرح كشف الشبهات

تأليف : الإمام محمد بن عبد الوهاب

بالشرح :

الشيخ محمد بن صالح العثيمين

الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ

الشيخ عبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف

الشيخ عبد الله بن عايض القحطاني

جمع و ترتيب : أبو زيد أحمد حمداني الإندونسي

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده و نستعينه و نستغفره و نعوذ بالله من شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له و من يضلل فلا هادي له. أشهد ألا إله إلا الله و أشهد أن محمدا عبده و رسوله. و بعده :
فإنَّ من أعظم ما يقوم به طالب العلم من هذه الأزمنة و كل زمان و مكان- الدعوة إلى العقيدة السلفية و نشرها بمختلف الوسائل المشروعة

و من المعلوم أن قضايا العقيدة و مسائلها و الردّ على خصومها لا تكاد تختلف مع اختلاف الزمان و المكان فأصول العقيدة و ما يضادها من البدع و واحدة. و الإختلاف إنّما يكون أحيانا من الشكل أو تجدد بعض الأنواع لبعض البدع أو العقائد أو المذاهب الفكرية المعاصرة و تبقى الأصول التي تنبثق منها ترجع إلى البدع القديمة و تقوم عليها فالمذاهب الإلحادية و الفسفية و البدع الكلامية المعاصرة إما أنّها امتداء لما سبقها و إما أنّها ترجع في كثير من تفصيلات عقائدها و مناهجها في الإستدلال لما تقدمها من هذه الطوائف و الآراء و المذاهب.

و من المعلوم أن أعظم ما ابتليت به الأمة وجود الشرك بالله تعالى و قد حضر منه ربنا تعالى في كتابه و حذر منه الرسول صلّى الله عليه و سلّم و تنوع هذه التحذير حتى شمل وسائل الشرك و ذرائع المؤدية إليه. فحمى النبي صلّى الله عليه و سلّم جانب التوحيد و سد طرق الشرك و حذر من أنواع الشرك الأصغر فضلا عن الأكبر.

و مع هذا وقع الشرك من هذه الأمة و انتشر في بعض الأزمان و البلدان و صاحب وجوده وجود الدعاة و المزيين بالأقوال و الأفعال و بالكتب و الرسائل و نحوها.

و الملاحظة أن حجج هؤلاء من الدفاع عن الشرك و الإستدلال له واحدة متأخروهم يتبعون و يقلدون مقدميهم و الاحقون منهم يعيدون أدلة و حجج و مناقشات و شبهات السابقين لهم حذو القذة بالقذة

وقد هباً الله عز و جل في زمان من يذب عن عقيدة التوحيد مبينا و شارحا لها و مبينا لأنواع ما يضادها من الشرك الأكبر و غيره و محذرا منه. و من هؤلاء الأعلام الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب حيث جمع في دعوته بين العلم و العمل. فدعا إلى التوحيد و حذر من الشرك بالسيف و السنان و العلم و البيان فاكتمل الأمران و اثر الجهود - بعون الله و توفيقه- و عادت راية التوحيد مرفوعة و أعلام الشرك مطموسة و تحولت دعوته إلى مدرسة واسعة لها أعلامها و دعائها و لها كتبها و مؤلفاتها تشرح عقيدة السلف و توضحها و تدعو إليها و ترد على من خالفها و انحرف عنها و امتد أثر هذه المدرسة السلفية - و الحمد لله - إلى جهات منفردة من العالم الإسلامي و غيره شرقا و غربا

و كتاب كشف الشبهات يشبه "التدمرية"¹ فهو يمثل خلاصة و مناقشات و قواعد للإمام محمد بن عبد الوهاب و جواب شبهات المخالفين من باب التوحيد و ما يضاد من الشرك. فقد حوى - تقريباً - كل ما قاله و احتج به دعاة الشر من الأولياء و الأضرحة و القبور و غيرها - قديماً و حديثاً - و ناقشها واحدة واحدة بأسلوب قوي متين يقطع دابر الشبهة من أساسها لمن رزقه الله فهما سليماً و عقلاً صحيحاً و تحرد عن اتباع الهوى و التقليد الأعمى²

فرايت أن أجمع ما يشير من كلام العلماء من كتبهم النفيسة في شرح كتاب كشف الشبهات. فأسأله أن يجعل ذلك من ميزان حسناتنا و قبل ذلك : من حسنات المؤلف و العلماء الذين شرحوا لنا ذلك الكتاب المفيد. و إنما لنا الجمع و الترتيب نظراً لحاجة الناس إليه حالياً. و صلى الله على نبينا و على آله و صحبه و سلم تسليمًا كثيرًا.

كتبه : أبو زيد أحمد حمداني بن مسلم الإندونسي

¹ لشيخ الإسلام ابن تيمية

² من مقدمة د. عبد الرحمن الصالح الحمود لتعليقات كشف الشبهات الشيخ عبد الله بن عايش القحطاني (ص: 5، 6، 7، 8)

موضوع الكتاب:

- 1- و قد بين فيه التوحيد الذي أرسلت به الرسل أنزلت به الكتب و هو التوحيد الألوهية أو توحيد العبادة و هو أفراد الله بالعبادة كلها و بين أنه معنى كلمة "لا إله إلا الله" إذ الإله: فعال بمعنى مفعول أي المألوه و بين خطأ من جعله بمعنى فاعل أي الخالق الرازق و نحو ذلك.
- 2- و بين فيه أيضا الشرك الذي هُمى الله عز و جل عنه و أخبر أنه لا يغفر إلا بالتوبة. و هو صرف العبادة لغير الله تعالى سواء كان ملكا أو نبيا أو وليا أو شجرة أو حجرا أو طاغوتا و بين - رحمه الله - أن هذا هو شرك الأولين الذين قاتلهم رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم.
- 3- و ذكر في هذا الكتاب أشهر الشبهة التي يتعلق بها المشركون و يذكرون في مصنفاتهم ففندها و ردّها.

أهمية الكتاب و مميزاته:

و هذا الكتاب على صغر حجمه قد حوى علما جمّا فيما يتعلق بتوحيد العبادة و ما يناقضه. قال الشيخ سليمان بن سحما - رحمه الله - (1366-1349هـ): "صنف الشيخ - رحمه الله - ((كشف الشبهات)) و ذكر الأدلة من الكتاب و السنة على بطلان ما أورده أعداء الله و رسوله صَلَّى الله عليه و سلم من الشبهات فادحض حججهم و بين تماقتهم و كان كتابا عظم النفع على صغر حجمه جليل القدر. انقمع به أعداء الله و انتفع به أولياء الله فصار علما يقتدي به الموحدون و سلسيلا يرده المهتدون و من كوثره يشربون و به على أعداء الله يصلون. فالله ما أنفعه من كتاب و ما أوضح حججه من خطاب لكن لمن كان ذا قلب سليم و عقل راجح مستقيم".³

و قال ناظمه الشيخ محمد الطيب الأنصاري - رحمه الله - (ت 1363هـ) "فجاء كتاب حجمه صغير لكنه في علمه غزير"⁴

³ الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق ص (93)

⁴ البراهين الموصحات ص 1

و قال الشيخ أحمد بن عبد العزيز - رئيس القضاء الشرعي بالإمارات سابقا - "هذا الكتاب أزال فيه الشيخ محمد بن عبد الوهاب الشبهات التي كانت تعرض للعمامة حول التوحيد الخالص و هو رسالة صغيرة لكنها تشمل على معاني و حقائق"

و قال الدكتور أمين سعيد : " واصل - أي الشيخ محمد بن عبد الوهاب - التأليف فأتبع "كتاب التوحيد" بكتاب آخر لا يقل عنه فائدة و سماه "كشف الشبهات" فكان أية من اللاغة و حجة في الإقناع و قد أراد وضع هذا الأخير ككشف الشبهات التي كانت تعرض للناس و بيان وجه الحق فيها".⁵

و قال الشيخ د. عبد الله الصالح العثيمين: " و أسلوب كتاب "كشف الشبهات" أسلوب جدلي جملة طويلة نوعا ما إذا قورنت بكتابات مؤلفة الأخرى و يكثر في هذه الجمل استعمال الأدوات الشرطية و في الأحيان توجد أفعال شرط متعددة معطوفة على فعل الشرط الأول قبل ذكر جوابه. و الكتاب قصيرة من محتواه لكنه من أشهر ردود مؤلفه غلى معارصيه".⁶

و قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين : "أورد فيه المؤلف بضع عشر شبهة لأهل الشرك و أجاب عنها بأحسن إجابة مدعمة بالدليل مع سهولة المعنى و وضوح العبارة. أسأل الله تعالى أن يثيبه ذلك و أن ينفع بذلك العباد إنه على كل شيء قدير".⁷

تاريخ التأليف:

و لم يوجد ما يدل على وقت التأليف الشيخ لهذا الكتاب سواء من كلامه أو من كلام غيره. ولكن قال الشيخ د. عبد الله الصالح العثيمين : " لا تعطى المصادر تاريخا معيناً لتأليف الشيخ محمد بن عبد الوهاب لهذا الكتاب لكن قارئه يرى أنه ما أثاره الخصوم من شبه حول آراء مؤلفه في التوحيد و ما يناقضه، و على هذا

⁵ سير الإمام محمد بن عبد الوهاب ص (2)

⁶ الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته و فكره ص: (85)

⁷ الشرح كشف الشبهات، ص (15)

فإنه لم يؤلف إلا بعد ظهور الإحتمالات أن تأليفه حدث أواخر إما منه في العينة أو بعد انتقاله إلى الدرعية".⁸

و ذكر الشيخ عبد الله بن سعد الرويشد في كتابه (الإمام محمد بن عبد الوهاب في التاريخ (269/1) أن الشيخ ألف هذا الكتاب في الدرعية سنة 1157 أو 1158 هـ. كما ذكر ابن غنام في (روضة الأفكار و الأفهام (80/1) و ابن بشر في (عنوان المجد (ص) (1) و ابن صوبان في تاريخه (ص) (43) و غيرهم.⁹

أسماء الكتاب:

و ورد لهذا الكتاب عدة أسماء نذكرها منها ما يلي :
أولا (كتاب كشف الشبهات)

و هذا هو الإسم المشهور و قد ذكر ابن غنام في (روضة الأفكار (28/2) و ابن بشر في (عنوان المجد (102/1) و الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (1192 – 1285 هـ) كما في (مجموعة الرسائل و المسائل النجدية (415/4، 416) و الشيخ سلمان بن سمحان في (الضياء الشارق ص : 93) و في (تنبيه ذوي الألباب السليمة ص : 71 – 72) و الشيخ السيد محمد الشكري الوسي في (تاريخ نجد ص : 12) و الزركلي في (الإعلام (257/6) و غيرهم

ثانيا (كتاب كشف الشبهات و إدحاض الضلالات)

ثالثا (كتاب كشف الشبهة المرتاب)

⁸ الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته و فكره ص: (85)

⁹ الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته و فكره ص: (85)

ذكر الشيخ سلمان بن عبد الله بن عبد الوهاب (1200 - 1233 هـ) في (التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق ص : 27) حيث قال : “ و منها – أي من رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله – كشف الشبهة المرتاب) مصددة في معرفة حقيقه التوحيد و ما هو حق الله على العبد و كيفية الشرك الذي قال الله تعالى فيه : (إِنَّ اللَّهَ لَا يُعْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَعْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) (النساء: من الآية 116) و كيف كان صفة الشرك الذين قاتلهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و أنهم مقرون بتوحيد الربوبية و انما قصدهم شيئاً يتقربون به إلى الله من خلقه يدعونهم و يرجونهم و يتوكلون عليهم لشفاعتهم لهم زاعمين رصا الله و القرب إليه فضرمهم ذلك و أفسد عليهم.”

رابعاً (كتاب كشف الشبهة)

و ذكر الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (1225 – 1293) كما في ((مجموعة الرسائل و المسائل النجدية : 333/3)¹⁰

بسم الله الرحمن الرحيم

الشرح :

1) قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

ابتدأ المؤلف كتابه بالبسملة اقتداء بكتاب الله عز و جل فإنه مبدوء بالبسملة و اقتداء برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه يبدأ كتبه و رسائله بالبسملة.¹¹

و قال الشيخ صالح بن فوزان :

¹⁰ تعليقات على كشف الشبهات ص: 20-21

¹¹ شرح كشف الشبهات ص: 13

ابتدأ الرسالة ببسم الله الرحمن الرحيم هذه هي السنة : أن تبدأ الكتب و الرسائل ببسم ... الرحمن الرحيم كما ابتدأ الله تعالى بها في كتابه فأول ما ترون في المصحف الشريف (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (1) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الفاتحة:1-2) وكذا قبل كل سورة (بسم الله الرحمن الرحيم) و النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ كان إذا يبدأ كتبه ب (بسم الله الرحمن الرحيم) (انظر صحيح البخاري في كتاب الجهاد و زاد المعاد 688/3-696 ، ذكر هديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ في مكاتباته إلى الملوك و غيرهم) و إذا تحدث إلى أصحابه يبدأ مجلسه ببسم الله الرحمن الرحيم. و الحكمة في البدء ببسم الله الرحمن الرحيم التبرك بها لأنها كلمة مباركة فإذا ذكرت في أول الكتاب الرسالة تكون بركة عليه.

أما الكتب و الرسائل لا تبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم فإنها تكون ناقصة لا خير فيها. و من ناحية الأخرى بسم الله الرحمن الرحيم فيها الإستعانة بالله أي أستعين و أتبرك ببسم الله الرحمن الرحيم و الجار و المجرور متعلق بمحذوف تقديره أستعين و أتبرك ب (بسم الله الرحمن الرحيم) و (الله) علم على الذات و (الرحمن الرحيم) اسمان كريمان من اسمائه الحسنى يتضمنا الرحمة.¹²

و قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

لفظ الجلالة علم البارى و هو الإسم الذي تتعه جميع الأسماء حتى أنه في قوله تعالى : (... صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ اللَّهُ الَّذِي لَهُ ...) (ابراهيم:1-2) نقول أن لفظ الجلالة هو عطف البيان لآلأن يكون لفظ الجلالة تابعا تعية النعت للمنوعات و لهذا قال العلماء : أعرف المعارف لفظ (الله) لأنه لا يدل على أحد سوى الله.

الرحمن اسم من الأسماء المختصة بالله لا يطلق على غيره و معناه المتصف بالرحمة الواسعة. الرحيم اسم يطلق على الله و غيره و معناه ذو الرحمة الواصلة فإذا جمع صار المراد بالرحيم الموصل رحمته إلى من يشاء من عباده كما قال تعالى : (يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ) (العنكبوت:21) و المراد بالرحمن الواسع الرحمة.¹³

¹² شرح كشف الشبهات ص: 13

¹³ شرح كشف الشبهات ص: 13

معنى كشف الشبهات

قال الشيخ صالح بن فوزان في معنا كشف الشبهات : هي عبارة عن رد الشبهات التي اثيرت حول دعوة التوحيد التي قام بها الشيخ و المراد بالكشف إزالة الغطاء عن الشيء.

قال تعالى : (فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ) (ق: من الآية 22) و الشبهات جمع شبهة و هي الأمر المشتبه المختلف الذي لا يدري هل هو حق أم باطل ؟ و منه قول رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم (فإن الحلال بين و الحرام بين و بينهما أمور مشتبها لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه و عرضه (رواه البخاري 19/1) المشتبها هنا المراد بها الأمور التي لا يدري هل هي من الحلال أو من الحرام لسبب يخادب الأدلة فيها و لا يعلمها إلا الخواص من أهل العلم. فالشبهات هنا المراد الأمور المشتبها التي فيها تلبس و تغذية و تمويه على الناس يظنونها حقا و هي ليست بحق و كشفها هو الإيضاح لبطالها. و المراد هنا كشف ما كان عند الناس من شبهات يروجها أهل الباطل حول عبادة القبور و الإستغاثة بها التي عمت كثيرا من بلاد الإسلام من بعد القرون المفضلة حيث أدخل في الإسلام ما ليس منه و ذلك عن طريق الشيعة و الصوفية فهم الذين تسببوا في نشر هذه الشبهات و هذه الشراكيات التي انتشرت في بلاد الإسلام بحجج واهية و الجهال يظنون حقا فيقولون إن هولاء الموتى عباد صالحون و لهم مكانة عند الله و نحن أناس مذنبون فهم يتوسلون بهم و يجعلونهم وسائط بينهم و بين الله في غفران الذنوب و يتقربون إليهم و لسبب ذلك تغيرت عقيدة التوحيد عند كثير من الناس من عهد بعيد بعد المائة الرابعة و مضى القرون المفضلة حتى قبض الله هذه الأمة علماء يكشفون هذه الشبهات و من أبرزهم شيخ الإسلام أحمد بن تيمية الذي قام و دحض هذه الشبهات و وضح للناس عقيدة التوحيد و كتب في ذلك الكتب النافعة و بين عقيدة السلف الصالح و سجل في كتبه مد عما مسألها بالأدلة القاطعة و البراهين الساطعة و دحض هذه الشبهات ثم تلاه تلاميذه كالإمام ابن القيم في كتبه و الإمام ابن كثير و الإمام الذهبي و الإمام المزى و جاء بعدهم الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله إلى أن وصل الأمر للشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب فتلقى هذه العقيدة بقوة و قام بالدعوة إليها و الجهاد في سبيلها حتى استنارت بها هذه البلاد و لله الحمد و امتدت إلى البلاد المجاورة في مصر و الشام و العراق و حتى في بلاد فارس عند أهل السنة و امتدت إلى الهند و إلى المغرب و إلى كثير من البلاد و لله الحمد فمن أراد الله له الخير فإنه تأثر بهذه الدعوة المباركة و عرفها

أما دعوة حق فاستجاب لها و أيدها و قامت الحجة على المعاندين و لله الحمد و المنة و زالت عن البلاد معالم الشرك و الوثنية و عوائد الجاهلية.¹⁴

قال الشيخ عبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف :

"اشتهر هذه الرسالة بهذا العنوان ((كشف الشبهات)) و الكشف لغة : رفع الشيء عما يواريه و يغطيه. و الشبهة لغة : الإبتاس و قال الفيومي في المصباح المنير : الشبهة في العقيدة : المأخذ الملبس سميت الشبهة لأنها تشبه الحق ." (138/1)

و قال شيخ الإسلام ابن تيمية : الشبهة التي يضل بعض الناس و هي ما يشتهب فيها الحق بالباطل (المجموع الفتاوى 37/8)

و قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب : "الشبهة إذا كان واضحة البطلان لا عذر لصاحبها فإن الخوص معه في ابطالها تضييع للزمان و اتعاب للحيوان " .¹⁵

فرسالة كشف الشبهات تعنى بإزالة الاعتراضات و الإشكالات في توحيد الإلهية فهي أجوبة محكمة عما قد يشتهب على كثير من الناس في هذا الباب.¹⁶

اعلم (1) رحمك (2) الله أن توحيد هو إفراد الله بالعادة (3)

1) قال الشيخ صالح الفوزان :

هذه الكلمة يبدأ بها في التنبيه إلى الأمور المهمة. فإذا أردت أتنبه شخصا على شيء مهم من مسائل العلم تقول : اعلم من أجل أيتنبه. و اعلم فعل أمر من العلم يعني تعلم ما يأتي و اهتم به و الق بالك لما يلقي عليك و لما يكتب عليك فهذه الكلمة يؤتى بها لأهمية ما يأتي بعدها قال تعالى : (لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ

¹⁴ شرح كشف الشبهات ص: 13 - 15

¹⁵ مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب 93/4 .

¹⁶ عليقات على كشف الشبهات للشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف ص (9)

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (الطلاق: من الآية 12) (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ) (محمد: من الآية 19) (اعلموا أن الله شديد العقاب) (المائدة : من الآية 98) فهذه كلمة عظيمة تؤتى بها الإهتمام.¹⁷

(2) (رحمك الله)

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

أي أفاض الله عليك من رحمته التي تحصل بها على المطلوب و تنجو من محذورك . فالمعنى غفر الله لك ما مضى من ذنوبك و وفقك و عصمك فيما يستقبل منها هذا إذا افردت الرحمة أما إذا قرنت بالمغفرة فالمغفرة لما مضى من الذنوب و الرحمة التوفيق للخير و السلامة من الذنوب في المستقبل و صنيع المؤلف يدل على شفقته و عنايته بالمخاطب

و قال الشيخ صالح بن فوزان :

هذا دعاء من الشيخ لكل من قرأ هذه الرسالة و هذا من باب التلطف لطالب العلم و تحسين الكلام له من أجل أن يقبل على طلب العلم.¹⁸

(3) (التوحيد هو إفراد الله بالعبادة)

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

التوحيد لغة مصدر و حُدُّ يُؤحِّدُ جعل الشيخ الشيء واحدا و هذا لا يتحقق إلا بنفي و اثبات. نفي الحكم ما سوى الموحِّد و اثبات له لان النفي وحده تعطيل و الاثبات وحده لا يمنع المشاركة فمثلا لا يتم للإنسان التوحيد حتى يشهد أن لا إله إلا الله فينغي الإلهية عما سوى الله و يشتهها الله وحده.

¹⁷ شرح كشف الشبهات ص: 17

¹⁸ شرح كشف الشبهات ص: 15

و في الاصطلاح عرف المؤلف - رحمه الله - التوحيد بقوله : (التوحيد هو إفراد الله تعالى بالعبادة) أي تعبد الله وحده و لا تشرك به شيئاً بل تفرد وحده بالعبادة محبة و تعظيماً و رغبة و رهبة .
و مراد التوحيد الذي بعثت به الرسل لتحقيقه لأنه الذي حصل الإخلال و الخلاف بين الرسل و أممهم .
و هناك تعريف أعم للتوحيد و هو : (إفراد الله سبحانه بما يختص به) و أنواعه ثلاثة :

الأول : توحيد الربوبية و هو (إفراد الله تعالى بالخلق و الملك و التدبير) قال تعالى : (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ (الزمر: من الآية 62) (هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) (فاطر: من الآية 3) (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) (الأعراف: من الآية 54)

الثاني : توحيد الأسماء و الصفات و هو (إفراد الله سبحانه بأسمائه و صفاته الواردة في كتابه و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم و ذا باثبات ما أثبتته و نفى و نفاه من غير تحريف و لا تعطيل و من غير تكيف و لا تمثيل)

الثالث : توحيد الألوهية و هو (إفراد الله تعالى بالعبادة بأن لا يتخذ الإنسان مع الله أحداً يعبده كما يعبد الله أو يتقرب إليه كما يتقرب إلى الله)¹⁹

و قال الشيخ صالح بن فوزان :

أي اعلم هذه المسألة العظيمة و اجعلها في ذاكرتك و اجعلها في اهتمامك دائماً و أبداً و هي (أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة) و ليس هو إفراد الله بالربوبية فإن هذا أقر به المشركون و لم يكونون موحدين لأنهم لم يفردوا الله بالعبادة فإفرادهم بتوحيد ليس هو التوحيد المطلوب و إنما توحيد الربوبية دليل على توحيد

¹⁹ شرح كشف الشبهات ص: 18

الألوهية و لازم له ممن أقر بتوحيد الربوبية لزمه أن يقر بتوحيد الألوهية و الله تعالى يذكر في القرآن في كثير من الآيات توحيد الربوبية دليلاً على توحيد الألوهية قال الله عز و جل : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (البقرة: 21-22) هذا هو توحيد الربوبية و هو دليل على توحيد الألوهية فأقام تعالى الحجة عليهم فيما أنكروه من توحيد الألوهية بما اعترفوا به من توحيد الربوبية ليلزمهم بذلك.

حيث قال لهم كيف تعرفون أنه هو الخالق الرازق المحي المميت و أنه لا شريك له في ذلك ثم تشركون في عبادته. أما الذين يقولون إن التوحيد هو الإقرار بأن الله هو الخالق الرازق المميت ... إلخ فهم غالطون غلط فاحشا و لم يأتوا بالتوحيد المطلوب الذي دعت إليه الرسل و على هذا المنهج الباطل أغلب المتكلمين التي تدرس الآن في كثير من المدارس الإسلامية. و قصد الشيخ بهذا التعريف هو الرد على هؤلاء الذين ركزوا على توحيد الربوبية و تركوا توحيد الألوهية. فهذه أول شبهة و هي : أنهم جعلوا بتوحيد الربوبية هو التوحيد المطلوب و أن من أقرد الله به فهو الموحد و ألفوا كتبهم فيه و بنوا منهجهم عليه و صرفوا همهم إلى تحقيقه.²⁰

و قال الشيخ عبد الله بن عايض القحطاني :

اعلم أن التوحيد الذي أنزلت به الكتب و أرسلت به الرسل نوعان :
الأول : توحيد في المعرفة و الإثبات و يسمى التوحيد العلم الخبري و التوحيد الاعتقادي الخبري و هو توحيد الربوبية و الأسماء و الصفات.

النوع الثاني : توحيد في الإرادة و القصد و الطلب و يسمى التوحيد العملي و هو توحيد الألوهية أو توحيد العبادة.

²⁰ شرح كشف الشبهات ص: 49

فالأول أساسه إثبات ما أثبتته الله لنفسه من كتاب أو أثبتته له رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته من غير تحريف و لا تعطيل و من غير تكييف و لا تمثيل.

و التوحيد في المعرفة و الإثبات مستلزم في الإرادة و القصد و الطلب و التوحيد في الإرادة و القصد و الطلب متضمن للتوحيد في المعرفة و الإثبات و إذا قترنا في الذكر احتص كل واحد منهما بمعناه كما قال تعالى : (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ) (الناس:3) (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الفاتحة:2) و الثاني أساسه أفراد الله بالعبادة كلها الظاهرة و الباطنة و هذا التقسيم يتتبع نصوص الكتاب و السنة. والله اعلم.²¹

و قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ :

العبادة (هو) مشتق من التعبد و هو التذلل و الخضوع يقال : طريق معبد أي مذلل قد وطئه الأقدام و سميت و وظائف الشرع على المكلفين عادت لأنهم يفعلونها خاضعين ذليلين. و في الشرح لها تعاريف العلماء أحدها ما عرفه شيخ الإسلام : العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله و يرضاه من الأقوال و الأفعال الظاهرة و الباطنة. و منها ما عرفه الفقهاء : العبادة ما أمر به شرعا من غير اطراد عرفي و لا اقتضاء عقلي. و منها ما عرفها ابن قيم²² :

و عبادة الرحمن غاية حبه مع ذل عابده هما قطبان و عليها فلك العبادة دائر ما دار حتى قامت قطبان و مداره بالأمر أمر رسوله لا بالهوى و النفس و الشيطان²³

و قوله : (و هو دين الرسل الذي أرسلهم به إلى عباده)

²¹ شرح كشف الشبهات ص:20

²² الكافية الشافية, ابن قيم, 32

²³ شرح كشف الشبهات ص: 22

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: مراد الشيخ هنا توحيد الألوهية فهو دين الرسل فكلهم أرسلوا بهذا الأصل الذي هو التوحيد كما قال تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) (النحل: من الآية 36) (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) (الانبياء: 25) وهذا النوع هو الذي ضل فيه المشركون الذين قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم واستباح دمائهم وأموالهم وأرضهم وديارهم و سبي نساءهم وذريتهم.²⁴

و قال الشيخ صالح بن فوزان :

فالرسل كلهم ما طلبوا من الناس أن يقرؤا بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت لأهم معترفون بهذا و انما طلبوا الأمم بإفراد الله بالعبادة . قال تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) (النحل: من الآية 36) ما قال ان يقرؤا بأن الله هو الرب لأهم مقرون بهذا بل قل (اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) أي اتركوا الشرك بالله عز وجل . و قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) (الانبياء: 25) أي لا معبود بحق سواي . هذا الذي بعث به الله الرسل عليهم السلام ما بعث الرسل لتقرير توحيد الربوبية لأن هذا موجود لكنه لا يكفي بل بعثهم لتوحيد الألوهية الذي هو إفراد الله تعالى بالعبادة و هو دين الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم.²⁵

و قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ :

عرفه بأنه دين جميع المرسلين من أولهم إلى آخرهم قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) (الانبياء: 25) (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) (النحل: من الآية 36) و إن تفرقت شرائعهم كما قال تعالى: (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا) (المائدة:

²⁴ شرح كشف الشبهات ص: 22

²⁵ شرح كشف الشبهات ص: 20

من الآية 48) و قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ : (الأنبياء إخوة لعلات²⁶ أمهاتهم و دينهم واحد) (رواه البخاري و مسلم) فدين جميع الرسل واحد و الذي بعث به هو عبادة الله و الذي بعثوا به هو الذي من أجله خلق الخلق و هو الذي من أجله أرسلت الرسل و أنزلت الكتب.²⁷

و قال الشيخ عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف :

و دليله قوله تعالى : (وَ لَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) (النحل: من الآية 36) و الدين مصدر يضاف إلى الفاعل و المفعول فإذا أضيف الدين إلى العبد أو الرسل فلأنه العابد المطيع و إذا أضيف إلى الله فلأنه المعبود المطاع (الفتاوى 158/15)²⁸

و قوله : (أرسل إلى قومه لما غلوا...)

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين : يعني أن الله أرسل نوحا عليه السلام إلى قومه لما وقع فيهم الغلو في الصالحين و قد بوب المؤلف في كتاب التوحيد على هذه المسألة فقال : (باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم و تركهم دينهم الغلو في الصالحين).

الغلو هو مجاوزة الحد في التبعد و العمل و الثنا قدحا أو مدحا و الغلو ينقسم إلى أربعة أقسام :

القسم الأول : الغلو في العقيدة كغلو أهل الكلام في الصفات حتى أدى بهم إلى التمثيل أو التعطيل. و الوسط مذهب أهل السنة و الجماعة باثبات ما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ من الأسماء و الصفات من غير تحريف و لا تعطيل و من غير تكيف و لا تمثيل.

القسم الثاني : الغلو في العبادات كغلو الخوارج الذين يرون كفر فاعل الكبيرة و غلو المعتزلة حيث قالوا إن فاعل الكبيرة بمترلة بين المترلتين و هذا التشدد قابله تساهل المرجئة حيث قالوا لا يضر مع الإيمان ذنب. و الوسط مذهب أهل السنة و الجماعة أن فاعل المعصية ناقص الإيمان بقدر المعصية.

²⁶ أولاد العلات هم الإخوة لأب فأصل بين الرسل واحد و شرائعهم مختلفة

²⁷ شرح كشف الشبهات ص: 22

²⁸ تعليقات على كشف الشبهات ص: 11

القسم الثالث : الغلو في المعاملات و هو التشدد بتحريم كل شيء و قابل هذا التشدد تساهل من قال بحل كل شيء ينمى المال و الإقتصاد حتى الربا و الغش و غير ذلك .
و الوسط أن يقال : نحل المعاملات المبنية على العدل و هي ما وافق ما جاء به النصوص من الكتاب و السنة.

القسم الرابع الغلو في العادات : و هي التسدد في التمسك بالعادات القديمة و عدم التحول إلى ما خير منها. أما إن كان العادات متساوية في المصالح فإن كون الإنسان ييقى على ما هو عليه خير من تلقى العادات الوافدة.²⁹

و قال الشيخ صالح بن فوزان : الغلو هو مجاوزة الحد و الغلو في الصالحين هو اعتقاد أنهم ينفعون أو يضررون من دون الله.³⁰

و قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ :

الغلو مجاوزة الحد في محبة الصالحين و تعظيمهم فوق ما شرع الله عظموهم تعظما غير سائغ لهم بأن عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم و إن كانوا ما عابدوهم و إنما عبدوا الصور لأنهم لم يأمرهم بعبادتهم و إن كانوا و إن كانوا لم يعبدوا الصور إنما عبدوا الشيطان في الحقيقة لأنه الذي أمرهم. و به تعرف مضرة الغلو في الصالحين فإنه هلاك كل الهلاك فإن الشرك بهم أقرب إلى النفوس من الشرك بالأشجار و الأحجار و إذا وقع في القلوب صعب إخراجها منها و لهذا أتت الشريعة يقطع وسائله الموصلة إليه و المقربة منه.
و الوسائل إما قولية أو فعلية و هؤلاء غلوا فعلا غلوا بكثرة التردد إلى قبورهم. و هذا فيه مشروع و لكن زادوا فيه و غلوا بالعكوف و هو نفسه عبادة و وسيلة إلى عبادة أربابها فلما رأى منهم الشيطان ذلك زين لهم تصويرهم و هاتان الفريعتان - التصوير و العكوف - من أعظم الوسائل الموصلة إلى الشرك كما تقدم.³¹

قوله (من الصالحين)

²⁹ شرح كشف الشبهات ص: 17-18

³⁰ شرح كشف الشبهات ص: 21

³¹ شرح كشف الشبهات ص: 13

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

الصالح هو الذي قام بحق الله و بحق عباد الله.³²

و قوله (ودا و سواعا و يعوق و نسرا ...)

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

هذا أصنام في قوم نوح عليه السلام. كانوا رجالا صالحين و قد جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : (هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا و سموها بأسائهم ففعلوا و لم تعبد حتى هلك أولئك و نسي العلم عبثت. (البخاري/ كتاب التفسير - سورة نوح رقم : 4920)

و هذا التفسير فيه إسكال حيث يقول رضي الله عنه : (هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح) و ظاهر القرآن أنهما قبل نوح قال الله تعالى : قال نوح رب إنهم عصوني و اتبعوا ما لم يزدده ماله و ولده إلا خسارا. و قالوا لا تدرن ألهتكم و لا تدرن ودا و لا سواعا و لا يغوث و يعوق و نسرا) (نوح : 21-23) فظاهر الآية أن قوم نوح كانوا يعبدونهم و أنه نهاهم عن ذلك. فسياق الآية يدل على ذكر ابن عباس إلا أنه ظاهر السياق هؤلاء القوم الصالحين كانوا قبل نوح عليه السلام و الله اعلم.

و قال الشيخ صالح بن فوزان :

هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ماتوا في عام واحد فحزن قومهم حزنا شديدا. فجاء الشيطان إليهم و قال لهم : (صوروا صورهم و انصبوا على مجالسهم من أجل أن يتذكروا أحوالهم فتنشطوا على العبادة حياءهم عن طريق النصيحة و هو يريد لهم الهلاك فخدعهم بهذه الحيلة و اعتبروا هذه وسيلة صحيحة لأنها تنشط على العبادة و هؤلاء نظروا لمصلحة جزئية و لم ينتبهوا لما يترتب عليها من المفسد فالإنسان لا ينظروا

³² شرح كشيهاة ص: 18

إلى المصلحة الجزئية و ينسى المضار العظيمة التي تترتب عليها في المستقبل. ثم أهلك قوم نوح بالطوفان³³ فاندرست هذه الأصنام إلى أن جاء عهد الطاغية و ملك من ملك العرب يقال له عمرو بن لحي الخزعي و كان له سلطان على الحجاز و كان في أول أمر رحلا ناسكا على دين قومه و لكن ذهب إلى الشام للعلاج فوجد أن أهل الشام يعبدون الأصنام فدخل في فكره هذا الشيء فجاء إلى أهل الحجاز و الجزيرة فدعاهم إلى الشرك و جاء الشيطان فارشده إلى مواطن الأصنام التي كانت تعبد عند قوم نوح و التي سقى³⁴ عليها الرمل بعد الطوفان فحفرها و نقب عنها فاستخرجها و وزعها على أحياء العرب فانتشر من ذلك الوقت و كانت هذه الأصنام الموروثة عن قوم نوح هي أكبر الأصنام فلهم أصنام كثيرة حتى إن كانت حول الكعبة المشرفة ثلاثمائة و ستون صنماً الات و العزى و مناة الثالثة الأخرى هي أكبر أصنامهم.³⁵

و قال الشيخ عبد العزيز بن محمد بن آل عبد اللطيف :

و قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (و أصل الشرك في بن آدم كان من الشرك بالبشر الصالحين المعظمين فأثم لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم عبدوهم. فهذا أول الشرك كان في بن آدم و كان في قوم نوح فإنه أول رسول بعث إلى أهل الأرض يدعوهم إلى التوحيد و ينهاهم عن الشرك. (الفتاوى : 393/ 14)³⁶

و قوله (و آخر الرسل محمد صلى الله عليه و سلم)

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

³³ انظر سورة العنكبوت : 14

³⁴ سفت الريح القراب تسفية ذرته أو حملته، القاموس ص 1671. مادة : سفت

³⁵ شرح كشف الشبهات ص: 21-22

³⁶ تعليقات على كشف الشبهات ص: 12 و انظر الرخيق المختوم : 51-53

دليل ذلك قوله تعالى : (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) (الأحزاب: من الآية 40) فلا نبي بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فإن قيل : إن عيسى عليه السلام يتزل آخر الزمان و هو رسول ؟

فنقول : هذا حق و لكنه لا يتزل على أنه مجدد بل يتزل على أنه حاكم بشريعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأن الواجب على عيسى و غيره من الأنبياء الإيمان بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و اتباعه و نصره كما قال تعالى : (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) (آل عمران: 81) و هذا الرسول المصدق لما معهم هو محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما صح ذلك عن الصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنهما و غيره.

قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ :

وهو خاتم النبيين كما قال تعالى : (وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) (الأحزاب: من الآية 40) و قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (و أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي) (رواه مسلم رقم 2286)³⁷

قوله : هو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين)

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كسر صور الأصنام و ذلك يوم الفتح حين دخل الكعبة فوجد حولها ثلاثمائة و ستين صنما و جعل يطعنها عليه الصلاة و السلام بالحربة و هو يتلو قوله تعالى : (جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) (الاسراء: من الآية 81) (أخرجه البخاري في كتاب التفسير - سورة الإسراء ، و رواه مسلم في كتاب 3 الجهاد / 3 / 81 و غيرهما) (شرح كشف الشبهات ص: 20)

قال الشيخ صالح بن فوزان :

كانت حال العرب المدينة قبل بعث النبي صلى الله عليه و سلم هي الوثنية ثم بعث الله نبيه محمد صلى الله عليه و سلم بملة إبراهيم الحنفية السمحة و دعاهم إلى التوحيد بمكة و بقى ثلاث عشر سنة يدعوهم إلى التوحيد و ينكر عليهم عبادة الأصنام فاستجاب له من أراد الله له الهداية من الصحابه الذين أسلموا معه في مكة ثم أن الله أذن لهم بالمهجرة إلى الحبشة ثم إلى المدينة و هاجر النبي صلى الله عليه و سلم إلى المدينة و اجتمع حوله المهاجرين و الأنصار و كون جيوش التوحيد و صاروا يغزون المشركين ... إلى أن جاء السنة الثامنة من الهجرة إلى مكة فاتحا و صارت مكة تحت سلط الرسول صلى الله عليه و سلم و عند ذلك كسر هذه الأصنام التي حول مكة (الات و العزى و مناة) من الصحابه من [كسرها و منها صور هؤلاء الصالحين من قوم نوح و انتشر و اندرح الشرك و لله الحمد]

و هذا معنى قول الشيخ - رحمه الله - (كسر صور هؤلاء الصالحين) و ذلك يوم فتح مكة و طهر الله به حرمه الشريف من هذه الأصنام.

و امتد التوحيد من بعثة النبي صلى الله عليه و سلم و عهد خلفاء الراشدين و عهد قرون المفصلة كلها خاليا من الشرك.

فلما انتهت القرون المفصلة انتشر التصوف و التشع و عند ذلك حدث الشرك في الأمة بعبادة القبور و الأضرحة و تقديس الأولياء و الصالحين إلى وقتنا هذا و هذا الشرك موجود في الأمة و لكن يقبض الله عز و جل من يقوم بالحجة على العباد من الدعاة المخلصين و يهدي الله على أيديهم من أراد الله هدايته. و هكذا يجب و ينبغي على طلب العلم و الدعاة أن يهتموا بهذا الأمر و أن يجعلوا الدعوة للتوحيد و إنكار الشرك و دحض الشبهات من أوليات دعوتهم و هذا هو الواجب و هذه دعوة الرسل عليهم الصلاة و السلام لأن كل أمر يهون دون الشرك فما دام الشرك موجودا فكيف تنكرون الأمور أخرى ؟ لا بد أن نبدأ بإنكار الشرك أولا و نخلص المسلمين من هذه العقائد الجاهلية و نبين لهم بالحجة و الجهاد في سبيل الله إذا أمكن ذلك حتى تعود الحنفية إلى المسلمين كل بحسب استطاعته و مقدته في مكان و زمان يجب على الدعاة أن لا يغفلوا عن هذا الأمر و يهتموا بأمور أخرى و يبذلوا جهودهم فيها و لا يغضوا أعينهم عن واقع الناس الواقعين في الشرك و عبادة الأضرحة و استيلاء الحرافيين و طواغيت الصوفية على عقول الناس. هذا الأمر

لا يجوز السكوت عليه و كل دعوة تجه للنهي عنه فهي دعوة ناقصة أو دعوة غير صالحة أو دعوة غير مشمرة.

كما أنه يجب أن يعلم أن الإقرار بتوحيد الربوبية لا يكفي و لا ينفع إلا إذا كان معه الإقرار بتوحيد الألوهية و بتحقيقه قولاً و عملاً و اعتقاداً و إن المشركين الذين بعث فيهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ كانوا مقرون بتوحيد الربوبية و لم ينفعهم أقرارهم به لما كانوا جاحدين في التوحيد الألوهية.³⁸

و قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ :

(و هو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين المعبودة على عهد نوح عليهم السلام صور ود و سواع و يعوق و نسر. فانظر إلى أثر الشرك و عروقه إذا علقت تزول و تمحى؟! فإن هذه الأصنام بقيت من يوم عبدت من دون الله حتى بعث الله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ و كسرهما. فالشرك إذا وقع عظم رفعه و شديد فإن نوحاً مع كمال بيانه و نصحه و دعوته إياهم ليلاً و نهاراً سرا و جهراً أخذ ألف سنة إلا خمسين عاماً ما أحابه إلا قليل و مع ذلك أغرق الله أهل الأرض كلهم من أجله و مع ذلك تلك الأصنام الخمسة ما زالت حتى بعث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ و كسرهما.

فيفيدك عظيم الشرك إذا خالط القلوب صعب زواله كيف أن أصناماً عبدت وقت أول الرسل و ما كسرهما إلا آخرهم.³⁹

و قال الشيخ عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف :

و عن ابن عباس رضي الله عنهما ((صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد. أما ود فكانت في دومة الحنديل و أما سواع فكانت لهذيل و أما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطفان بالحرف عند سبأ و أما يعوق فكانت لهمدان و أما نسر لحمير لآل ذى الكلاع أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا

³⁸ شرح كشف الشبهات ص: 23-25

³⁹ شرح كشف الشبهات ص: 25-26

أوحى الشيطان إلى قومهم أن نصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا و سموها بأسمائهم فلم تعبد حتى إذا هلك أولائك و ينسخ العلم عبت.

و هذه الأوثان - التي عند العرب - إن لم يكن بأعيانها ما عند قوم نوح و إلا فهي نظائرها (الفتاوى 263/14 و 363 و إغاثة اللهفان 2/ 264-204 و فتح الباري 668/8 (13)

و قد كسر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ صور هؤلاء الصالحين و أصنامهم كما في حديث ابن مسعود قال : دخل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ مكة يوم الفتح و حول البيت ستون و ثلاثمائة نصبا فجعل يطعنها يعود في يده و هو يقول (جاء الحق و زهق الباطل جاء الحق و ما يبيد الباطل و ما يعود) (أخرجه البخاري في المغازي (4287) و مسلم في الجهاد) (1781) (شرح كشف الشبهات ص: 12-13)

قوله (أرسله إلى أناس يتعبدون⁴⁰ و يحجون⁴¹ و يتصدقون و يذكرون⁴² الله كثيرا ...)

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

أي أن الله بعث محمدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ إلى قوم يتعبدون الله لكنها عبادة باطلة ما أنزل الله بها من سلطان و يتصدقون و يفعلون كثيرا من أمور الخير لكنها لا تنفعهم لأنهم كفار و من شرط التقرب إلى الله أن يكون المتقرب إلى الله مسلما و هؤلاء غير مسلمين.⁴³

⁴⁰ منها النذر و الاعتكاف كما فعل عمر في الجاهلية كما في البخاري و مسلم

⁴¹ كما قال تعالى : (أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) (النوبة: من الآية19)

⁴² المراد بهم عباد النصارى و كذا النذر (وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حِجْرًا لَا يُطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِرِغْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ طُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سِحْرٌ يُعْزِجُهُمْ يَمَّا كَانُوا يَقْتُرُونَ) (الأنعام:138) و كذلك الذبيح بأسماء الأصنام في اي مكان (وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصْبِ) (المائدة: من الآية3) (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ) (الأنعام: من الآية121) و كذلك يخصون ماكلهم و مشارهم و حرثهم و أنعامهم (وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِغْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) (الأنعام:136)

و قال الشيخ صالح بن فوزان :

أي أن المشركين العرب الذين بعث فيهم محمد صلى الله عليه و سلم يعبدون الله و لم تنفعهم العبادة لما كانت مخلوطة بالشرك الأكبر و لا فرق بين أن يكون المشرك به مع الله تعالى صنما أو عبدا صالحا أو نبيا مرسلا أو ملكا مقربا و لا أن يكون قصد المشرك أن معبوده ليس شريكا لله في ملكه بل هو مجرد وسيلة إلى الله و مقرب إليه فدل ذلك على أمرين :

الأول : أن الاقرار بتوحيد الربوبية وحده لا يكفي للدخول في الاسلام و يعصم الدم و المال و لا ينجى من عقاب الله.

الأمر الثاني : أن عبادة الله إذا دخلها شيء من الشرك أفسدها فلا تصح العبادة إلا مع الإخلاص.⁴⁴

قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ :

(أرسله الله إلى) قومه قريش و من يلحق بهم و الا فهو بعث إلى الناس كافة أحمرهم و أسودهم (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا).

و هم يعرفون أن الله وحده هو المتفرد بالخلق و التدبير و يخلصون في الرخاء (و لكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم و بين الله يقولون : نريد منهم التقرب إلى الله و نريد شفاعتهم عنده مثل الملائكة و عيسى و مريم و أناس غيرهم من الصالحين) هذه آفاتهم و هي اتخذهم و هي اتخذهم و سائط بينهم و بين الله فعبادتهم لا تنفعهم إذ جعلوا لله شريكا في العبادة و هذا أفسد جميع ما هم عليه من هذه العادة و صاروا بذلك كفارا مرتدين حلال الدم و المال فهذه هي عقيدة المشركين الأولين و هذا دينهم فأهم شيء معرفة دين المرسلين فيتبع و معرفة دين المشركين و الشياطين فيجتنب فإن من لا يعرف الجاهلية لا يعرف الإسلام.

⁴⁴ شرح كشف الشبهات ص: 25-26

و للشيخ - رحمه الله - مؤلف في مسائل الجاهلية . فاعرف حقيقة دين المشركين كلمة كلمة و فقرة فقرة و اعرف تفاصيلهم و يأتي بعضها و بعض تفاصيلها بأدلة معروفة.⁴⁵

و قال الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف : ... فمشركوا العرب يعبدون مع الله آلهة أخرى و العادة المطلوبة هي توحيد العادة و هذا التوحيد شرط في قبول العادة.

قال الله عز و حل (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) (يوسف:106) قال ابن عباس رضي الله عنهما : من إيمانهم إذا قيل لهم من خلق السماوات ؟ من خلق الأرض ؟ من خلق الجبل ؟ قالوا : الله و هم مشركون به و كذا قال مجاهد و عطاء و عكرمة و الشعبي و غيرهم. (تفسير ابن كثير 2/ 475) (14) و كما قال المصنف - رحمه الله - اعلم أن العادة لا تسمى العادة إلا مع التوحيد كما أن الصلاة لا تسمى الصلاة إلا مع طهارة فإذا دخل الشرك في العادة فسدت كالحدث إذا دخل في الطهارة (القواعد الأربع ص 254، صن مجموعة التوحيد و انظر مؤلفات الشيخ 199/1).

لكن العبادة من هي أعم من التوحيد عموما مطلقا فكل موحد عابد الله تعالى و ليس كل عبد الله موحد (رسالة في تعريف العبادة و توحيدها للشيخ عبد الله أبي بطين، صمن مجموعة التوحيد ص : 401) و هؤلاء جعلوا بعض المخلوقات و سائط و شفعاء بينهم و بين الله تعالى هم مشركون بذلك الصنيع كما دل عليه قول تعالى (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَبْتُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (يونس:18) فسمى الله اتخاذ الشفعاء شركا.

قال شيخ الإسلام (من أثبت و سائط بين الله و بين خلقه كالوسائط التي تكون بين المملوك و الرعية فهو مشرك بل هذا دين المشركين عباد الأصنام كانوا يقولون : إنها تماثيل الأنبياء و الصالحين و إنها وسائل يتقربون إلى الله و هو من الشرك الذي أنكره الله على النصارى (مجموع الفتاوى 1/134، 135)⁴⁶

⁴⁵ شرح كشف الشبهات ص: 26-27

⁴⁶ تعليقات على كشف الشبهات ص: 14-15

قوله : (و لكن يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم و بين الله يقولون نريد منهم التقرب إلى الله و نريد شفاعتهم عنده مثل الملائكة و عيسى و مريم و أناس غير من الصالحين ...)

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

أي أنهم يعبدون هذه الأصنام لتقربهم إلى الله زلفى فهم مقرون بأنها دون الله و إنما لا تملك نفعا و لا ضرا و إنهم شفعاء لهم عند الله عز و جل و لكن هذه الشفاعة باطلة لا تنفع أصحابها لأن الله تعالى يقول : (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) و ذلك لأن الله لا يرضى لهؤلاء المشركين شركهم و لا يمكن أن يأذن بالشفاعة لهم لأنه لا شفاعة إلا لمن ارتضاه الله عز و جل و الله لا يرضى لعباده الكفر و لا يحب الفساد فتعلق المشركين بألهتهم يعبدونها و يقولون : (هؤلاء شفعاتنا عند الله) تعلق باطل غير نافع بل هذا لا يزيدهم من الله تعالى إلا بعدا، على أن المشركين يرجون شفاعة أصنامهم بوسيلة باطلة و هي عبادة هذه الأصنام و هذا من جهلهم و سفههم أن يحاولوا التقرب إلى الله تعالى بما لا يزيدهم إلا بعدا.⁴⁷

قوله (فبعث الله محمدا صلى الله عليه و سلم يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم عليه السلام و يجبرهم أن هذا التقرب و الاعتقاد محض حق الله تعالى لا يصلح منه شيء لغير الله، لا لملك مقرب و لا لنبى مرسل فضلا عن غيرهما)

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين : يقول المؤلف - رحمه الله - إنهم ما زالوا على هذا الكفر و هو عبادة الأصنام لتقربهم بزعمهم إلى الله تعالى حتى بعث الله رسوله و خاتم أنبيائه محمدا صلى الله عليه و سلم بعث الله تعالى بالتوحيد الخاص يدعو الناس إلى عبادة الله وحده و يجذره من الشرك قال الله تعالى (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) (المائدة: من الآية 72)

و يبين لهم أن العبادة حق لله وحده و أنه لا يجوز صرف شيء منها لغيره سبحانه و تعالى لا لملك مقرب و لا لنبى مرسل فضلا عن غيرهما فقال الله تعالى (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) (يس: 60-61) و قوله يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم) كأنه

⁴⁷ شرح كشف الشبهات ص: 20-21

يشير إلى قوله تعالى (ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (النحل:123)

و قوله : (محض حق الله) خالص حقه (شرح كشف الشبهات ص 21-22)

و قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ :

و هم على تلك الحالة (يجدد لهم) ما اندرس و اخلولق من (دين أبيهم إبراهيم عليه السلام) فإن قريشا و من يليهم ذريته و ورثته و كانوا على هذا الدين الحنيف لكنه اندرس و اخلولق فيهم بسبب عمرو بن لحي الخزعي بعد أن استخرج الأصنام و فرقها في العرب و غير عليهم التلبية فتغير بسبب ذلك.⁴⁸

و قوله : (و إلا فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له و أنه لا يرزق إلا هو و لا يحيي و لا يميت إلا هو و لا يدبر الأمر إلا هو و أن جميع السماوات و من فيهن و الأرضين السبع و من فيهن كلهم عبيده و تحت تصرفه و قهره)

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

يقول - رحمه الله - إن هؤلاء المشركين الذين بعث فيهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولون بأن الله وحده هو الخالق و أنه هو الذي خلق السموات و الأرض و أنه هو الذي خلقهم و أنه هو المدير للأمور كما ذكر عنهم في آيات عديدة من القرآن الكريم قال الله تعالى (وَلَكِنَّ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ) (الزخرف:9) و قال تعالى (وَلَكِنَّ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) (الزخرف: من الآية87) و الآية في هذا المعنى كثيرة. لكن هذا لا ينفعهم لأن هذا إقرار بالربوبية فقط و لا ينفع الإقرار بالربوبية حتى يكون معه الإقرار بالألوهية و عبادة الله وحده.

⁴⁸ رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (رأيت عمرو بن لحي الخزعي يجر قصبه في النار فكان أول من سبب السوائب) و في لفظ (و غير دين إبراهيم) و في لفظ عن ابن إسحاق : (فكان أول من غير دين إبراهيم و نصب الأوثان - إلى أن قال : و كانت نزار فقول في إهلاها : لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه و ما ملك) (مختصر السيرة ص : 48) (شرح كشف الشبهات ص: 27-28)

و اعلم أن الإقرار بالربوبية يستلزم الإقرار بالألوهية و أن الإقرار بالألوهية متضمن الإقرار بالربوبية

أما الأول : فهو دليل ملزم أي أن الإقرار دليل ملزم لمن أقر به أن يقر بالألوهية لأنه إذا كان الله وحده هو الخالق و هو المدبر للأمور وهو الذي بيده ملكوت كل شيء فالواجب أن تكون العبادة له وحده لا لغيره.

و الثاني : متضمن للأول يعني أن التوحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية لأنه لا يتأله إلا للرب - عز و جل - الذي يعتقد أنه هو الخالق وحده و هو المدبر لجميع الأمور سبحانه و تعالى.⁴⁹

قال الشيخ عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف :

فمشاركوا العرب مقرون بتوحيد الربوبية فلم ينازعوا فيه. إن هذا التوحيد لم ينازع في أصله أحد من بني آدم و إنما قد يتنازعون في بعض تفاصيله كتراع القدرية - مثلاً - حيث يقرون بأن الله خالق العباد و خالق قدرتهم و لكنهم يقولون : إن العباد خالقو أفعالهم و كذلك أهل التنجيم الذين يجعلون بعض المخلوقات مبدعة لبعض الأمور فهم مع الإقرار بالصانع يجعلون هذه الفاعلات مصنوعة مخلوقة.⁵⁰

يراد بالعبيد هنا - المعبدون الذين عبدهم الله فذلهم و دبرهم و صرفهم و هذه العبودية الكونية القدرية المتعلقة بزبوية الله تعالى يشترك فيها المؤمن و الكافر و البر و الفاجر قال تعالى : (إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا) (مريم:93) فالله تعالى هو ربهم و مليكهم لا يخرجون عن مشئته و قدرته.⁵¹

⁴⁹ شرح كشف الشبهات ص: 22-23

⁵⁰ الندمورية لابن تيمية ص: 181 و مجموع الفتاوى 38/2

⁵¹ العبودية لابن تيمية ت : عبد الرحمن ألباني ص: 47 , شرح كشف الشبهات ص 15.

و قوله (فإذا أردت الدليل على هؤلاء الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه و سلم يشهدون بهذا ..)
قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

ذكر المؤلف - رحمه الله - هنا دليل ما قرر أن هؤلاء يقرون بتوحيد الربوبية و لكنه أتى به على سبيل السؤال و الجواب ليكون هذا أمكن و أثبت و أتم في الإستدلال فقال : فإذا أردت الدليل ... فاقر قوله تعالى (قُلْ مَنْ يُرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) (يونس: من الآية 31) (شرح كشف الشبهات ص: 23)
قال الشيخ صالح بن فوزان : ... هذا الرزق الذي تأكلون منه و تشربون و تلبسون و تركبون من الذي جاء به هل جاءت به الأصنام ؟ حمدات و حجة أم الأشجار أو الأموات أو القبور و الأصرحة كلها لا تأتي بأرزقكم فهم يعترفون بأن أصنامهم لا تخلق و لا ترزق قال تعالى : (أ من يملك السمع و الأبصار)
السمع الحاسة العظيمة التي تسمع بها الأصوات والبصر الذي تبصر به المرئيات هذه العين التي يجعل الله فيها هذا البصر و هذا النور من الذي خلقه فيك ؟ هل خلقه أحد غير الله ؟ فهل رأيتم أحدا من الخلق أو جد في أحد السمع إذا سلب منه و هل يستطيع أحد أن يرد للاعمى البصر الذي ذهب عنه ؟ لو اجتمع أهل الأرض كلهم على أن يجعلوا في عينه بصرا ما استطاعوا لا الأصنام و لا الأطباء و لا الخذاق من العلماء فالمشركون معترفون بأن أصنامهم لا تعمل أي شيء من ذلك قال تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ) (الأنعام: من الآية 46) لا يوجد أحد يجيب عن هذا السؤال و لا أحد أن يستطيع غير الله أن يأتي بالسمع و البصر.

(وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ) هذا من العجائب يخرج الحي من الميت يخرج
الزرع من الحبة و يخرج المؤمن من الكافر (و يخرج الميت من الحي) يخرج الكافر من المؤمن و يخرج البيضة من الطائر الذي يقدر على هذا هو الله سبحانه و تعالى (و من يدبر الأمر)

هذا عموم يعني كل الأمور من الموت و الحياة و المرض و الصحة و الكفر و الإيمان و الفقر و الغنى و الليل و النهار و العز و الذل و المك يعطي ذلك من يشاء و يأخذه ممن يشاء كل ما يجري في هذا الكون من تقلبات و تغيرات من الذي يوجد هذه التغيرات و هذه التقلبات ؟ فسيقولون الله فقال الله لنبيه صلى الله عليه و سلم (فقل أفلا تتقون ؟) ما دام أنكم معترفون أن هذه الأمور بيد الله و أن أصنامكم لا تفعل شيئا منها أفلا تتقون الله عز و جل و توحدونه و تفرّدونه بالعبادة لأنكم إن لم تتقوا الله فإن الله يعذبكم لأنه أقام عليكم الحجة و قطع منكم المعذرة فلم يبقى إلا العذاب ما دمتم عرفتم الحق و لم تعملوا به (فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ) (يونس: 32) تبين لكم أن العبادة حق لله تعالى فلا

معبود بحق إلا الله سبحانه و تعالى فإن لم تعبدوه فإن هذا ضلال فماذا بعد الحق الذي هو التوحيد و أفراد الله تعالى بالعبادة إلا الضلال الذي هو الشرك.

فليحذر المسلم من هذا و ليقبل الحق إذا تبين له خصوصا في أمر التوحيد و العقيدة يقبل الحق إذا تبين له و يخاف أن يصرف عنه فلا يقبله بعد ذلك و قوله تعالى (قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (84) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) (85) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (86) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (87) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (88) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ) (المؤمنون:84-89) هذه آيات من سورة المؤمنون مثل الآيات التي في سورة يونس التي ساقها المصنف و مثل غيرها من الآيات التي تقرر أن المشركون يعترفون لله ربوبيته و لكنهم يعارضون في توحيد الألوهية.

قال تعالى (قل لمن الأرض و من فيها إن كنتم تعلمون (84) سيقولون لله) (المؤمنون : 84-85) ما دامت الأرض و من فيها لله كيف يعبدون الأصنام التي لا تملك شيئا و تعبدون القبور الميتة التي لا حياة في أصحابها ؟ (أفلا تذكرون) أفلا تذكرون أن الذي يملك الأرض و من فيها و هو المستحق للعبادة دون هذه الأصنام التي تعبدونها.

و هذا إقامة الحجة عليهم بما يعترفون به على ما جحدوه فهم يعترفون بتوحيد الربوبية و يجحدون توحيد الألوهية .⁵²

قوله تعالى (أفلا تتقون)

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين : أي إذا كنتم تقرون بهذا أفلا تتقون الله الذي أقررتم له بمالك و تمام التدبير و أنه وحده الخالق الرازق المالك للسمع و الأبصار المخرج الحي من الميت و للميت من الحي المدير لجميع الأمور و هذا الإستفهام للتوبيخ و الإلزام أي أنكم إذا أقررتم بذلك لزمكم أن تتقوا الله و تعبدوه وحده لا شريك له.⁵³

⁵² شرح كتاب كشف الشبهات الشيخ صالح بن فوزان ص: 26 إلى 29

⁵³ شرح كشف الشبهات للشيخ ابن العثيمين ص: 13

قال الشيخ عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف : هذا الآيات الكريمة صريحة في أن المشركين الذين قاتلهم النبي صلى الله عليه و سلم و استحل دماءهم يعترفون بالربوبية لله تعالى .

قال قتادة - رحمه الله - (إنك لست تلقى أحدا منهم إلا أنبأك أن الله ربه و هو الذي خلقه و رزقه و هو مشرك في عبادته) (تفسير ابن جرير 87/13)

و قال ابن قتيبة - رحمه الله - (فلست واحدا أحدا الا و هو معرفان له صانعا و مدبرا و إن سماه بغيره اسمه أو عبد شيئا دونه ليقربه من عند نفسه أو وصفه بغير صفته أو أضاف إليه ما تعالى عنه علوا كبيرا . قال الله تعالى (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) (الزخرف: 87) (تأويل مختلف الحديث) (ت محمد الأصغر) ص 150)

و قال ابن جرير - رحمه الله - عند قوله تعالى (فقل أفلا تتقون) (يونس : 31) أفلا تخافون عقاب الله على شرككم و عبادتكم معه من لا يرزقكم شيئا و لا يملك لكم ضرا و لا نفعا) (تفسير ابن جرير) (114/11)

و قال الشيخ عبد الله أبو بطين - رحمه الله - (أفلا تتقون الشرك في الألوهية إذا أقرتم بالربوبية) تأسيس التقديس ص : 25)

كما نلخظ من خلال هذه الآيات مسلكا من مسالك القرآن الكريم في تقرير الألوهية و هو الإستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الإلهية إذا كان المشركون يسلمون بتوحيد الربوبية و ينازعون في توحيد الإلهية كما قال المصنف - رحمه الله - (أن الجمع عليه يدل على المختلف فيه)

و ربما ظن البعض أن لا يعني بتقرير توحيد الربوبية و تحقيقه حيث كان المشركون مقرون به و ليس الأمر كذلك بل ينبغي أن يعطى حقه من التأصيل فإن توحيد الربوبية دليل توحيد الألوهية و هو مستلزم لتوحيد الألوهية .

و قد نبه المؤلف في إحدى رسائله على أهمية توحيد الربوبية في فقال : فأما توحيد الربوبية فهو الأصل و لا يفلط في الإلهية إلا من لم يعطه حقه كما قال تعالى فيمن أفر بمسألة منه (وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) (الزخرف:87) و مما يوضح لك الأمر أن التوكل من نتائجه و التوكل من أعلى مقامات الدين و درجات المؤمنين و قد تصدر الإنابة و التوكل من عابد الوثن بسبب معرفته بالربوبية كما قال تعالى: (و إذا مس الإنسان ضرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا) (الزمر: من الآية8)

و أما عبادته سبحانه و تعالى بالإخلاص دائما في الرخاء و الشدة فلا يعرفونها و هي نتيجة الإلهية و كذا الإيمان بالله و اليوم الآخر و الإيمان بالكتب و الرسل و غير ذلك و أما الصبر و الرضا و التسليم و التوكل و الإنابة و التفويض و المحبة و الخوف و الرجاء فمن نتائج توحيد الربوبية و كذلك الألوهية هو أشهر نتائج توحيد الربوبية و هذا و أمثاله لا يعرف إلا بالتفكر و فهم العبادة) (تاريخ ابن غنام 307/2)⁵⁴

قوله (و قوله تعالى قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ) (المؤمنون : 84-89) و غير ذلك من الآيات ...

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين : و هذه الآيات مما يدل على أن المشركين بعث فيهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ يقرون بتوحيد الربوبية فإنهم يقرون بأن الأرض و من فيها لله لا شريك له و يقرون بأن الله هو الذي خلق السموات و الأرض و أنه رب العرش العظيم و يقرون بأن بيده ملكوت كل شيء و أنه هو الذي مجير و لا يجار عليه كل هذا ملزم لهم بأن يعبدوا الله وحده و يفردوه بالعبادة، و لهذا جاء توبيخهم بصيغة الإستفهام في ختام كل آية من الآية الثلاث.

و الآيات الدالة على أن المشركين الذين بعث فيهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ يقرون بتوحيد الربوبية كثيرة.⁵⁵

⁵⁴ تعليقات على كشف الشبهات للشيخ عبد اللطيف ص : 17 إلى 19

⁵⁵ شرح كشف الشبهات للشيخ ابن العثيمين ص : 23-24

قوله (فإذا تحققت أنهم(1) مقرون (2) بهذا و لم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم (3) و عرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا : (الإعتقاد)4

قال الشيخ ابن العثيمين :

(1) أي الذي بعث فيهم رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم من المشركين.

(2) يعني توحيد الربوبية و هو اعتقاد أن الله وحده هو الخالق المالك المدبر لجميع الأمور.

(3) أي أن الإيمان بأن الله هو الخالق المدبر لجميع الأمور لم يدخلهم في توحيد العبادة الذي دعاهم إليه النبي صَلَّى الله عليه و سلم و لم يعصمهم دماءهم و أموالهم.

(4) أي إذا عرفت أن الذي أنكروه هو توحيد العبادة الذي يسميه كما قال الشيخ - رحمه الله - مشركون زماننا (الاعتقاد) تبين لك أن هذا الذي أقروا به لا يكفي في التوحيد بل و لا يكفي في الإسلام كله فإنه من لم يقر بتوحيد العبادة فإنه ليس بمسلم حتى و لو أقر بتوحيد الربوبية لهذا قاتل النبي صَلَّى الله عليه و سلم المشركين أنهم يقرون بتوحيد الربوبية.

قال الشيخ صالح بن فوزان : ... و هم يقولون إن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت لكن إذا قيل لهم قولوا لا إله إلا الله قالوا (أ جعل الألهة إلهها واحدا إن هذا لشيء عجاب) أي إذا قيل لهم اعبدوا الله و لا تشركوا به شيئا قالوا كما قال قوم نوح من قيل (وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَئُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) (نوح:23) ... و يقولون هذا دين آباءنا و أجدادنا حتى إن أبا طالب عند الوفاة طالب منه النبي صَلَّى الله عليه و سلم أن يقول (لا إله إلا الله) أبي أن يقولها و قال : (هو على ملة عبد المطلب) (رواه البخاري في صحيحه 6/17، 18 من حديث الميب حزن رضي الله عنه كتاب التفسير) سورة القصص) و انظر الفتح 8/5-6) و ملة عبد المطلب عبادة الأصنام. هذا هو محل النزاع بين الرسل و بين الأمم فالرسل يقولون للأمم : اعبدوا الله و لا تشركوا به شيئا و لكن المشركون أبوا إلا البقاء على

عبادة الأصنام فالخصومة بين الرسل و بين الأمم هي توحيد الألوهية. أما توحيد الربوبية فهو محل اجماع عند الجميع لم يخالفوا فيه و إنما خالفوا في توحيد الألوهية فهو محل التزاع و هو الذي شرع من أجله الجهاد في سبيل الله يقول الرسول صَلَّى الله عليه و سلم (أمرت أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله) و في رواية (إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله) (رواه البخاري في صحيحه 140/9-141، كتاب الإعتصام باب الاقناء بسنن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم ... من حديث أبي هريرة رضي الله عنه)⁵⁶

قال الشيخ عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف : ... يقول المصنف - رحمه الله - في إحدى رسائله (و اعلم أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم صفة إشراكهم أنهم يدعون الله و يدعون معه الأصنام و الصالحين مثل عيسى و أمه و الملائكة يقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله و هم يقولون بأن الله سبحانه هو النافع الضار المدير ... فإذا عرفت هذا و عرفت أن دعوتهم الصالحين و تعلقهم عليهم أنهم يقولون : ما نريد إلا الشفاعة و أن النبي صَلَّى الله عليه و سلم قاتلهم ليخلصوا الدعوة لله و يكون الدين كله لله ...) (رسالة في توحيد العبادة ضمن مؤلفات الشيخ) 3981،399 باختصار و انظر تفسير كلمة التوحيد للمصنف (ضمن مؤلفات الشيخ) (367، 366 / 1)

و في قول المصنف (و عرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا (الاعتقاد) دلالة ظاهرة على حكمته في الدعوة و فهمه للواقع و مخاطبه للناس بما يعرفون و هذا الفهم يتأكد و يتكرر في عدة مواضع في رسائله منها قوله في هذه الرسالة (و إنما يعنى بإلاله ما يعنى المشركون في زماننا بلفظ (السيد) و قوله في كتاب التوحيد (باب ما جاء في الرقى و التمام) : (و الرقى هي التي تسمى العزائم)

و قوله (فاعلم أن هذه الألوهية هي التي تسميها العامة في زماننا السر و الولاية) (مؤلفات الشيخ 363/1)

و قوله (و أما الفخر بالأحساب فالأحساب الذي يذكر مناقب الآباء السالفين التي نسميها بالمراجل) (مؤلفات الشيخ 54/3)⁵⁷

قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ : (الذي يسميه المشركون في زماننا الإعتقاد) فيقولون فلان فيه عقيدة يعنى يصلح أن يعتقد فيه انه ينفع إذا ادّعوا في شخص الإعتقاد يعنى الادعاء فيه الألوهية.⁵⁸

⁵⁶ شرح كشف الشبهات للشيخ صالح بن فوزان ص : 30-31

⁵⁷ تعليقات على كشف الشبهات للشيخ عبد العزيز ص : 20

⁵⁸ شرح كتاب كشف الشبهات للشيخ محمد بن إبراهيم ص : 32

قوله (كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلا و نهارا ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم قريهم من الله ليشفعوا لهم أو يدعون رجلا صالحا مثل : اللات أو نبيا مثل : عيسى)

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين : يعنى أن هؤلاء المشركين في عبادة الله كانوا يدعون الله تعالى إذ اصطر و إلى ذلك و منهم من يدعون الملائكة لقريهم من الله - عز و جل - و يزعمون أن من قرب من الله سبحانه و تعالى أنه مستحق للعبادة و هذا من جهلهم فإن العبادة حق الله وحده لا يشركه فيها أحد . و أن منهم من يدعو اللات، و اللات بالتشديد اسم فاعل من اللت و أصله رجل كان يلت السويق للحجاج أي يجعل فيد السمن و يطعمه الحجاج فلما مات عكفوا على قبره ثم عبدوه و أن منهم يعبد الأولياء لقريهم من الله تعالى و كل هذا من ترين الشيطان لهم أعمالهم التي ضلوا بها عن الصراط المستقيم قال الله تعالى (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا) (الكهف: 103-105).⁵⁹

قال الشيخ صالح بن فوزان : (كما يدعون الله ليلا و نهارا ...) و هذا أمر ثان من شأن المشركين كما أنهم يعترفون بتوحيد الربوبية فهم أيضا يعبدون الله و يدعونه و يحجون إلى البيت و يعتمرون و يتصدقون و يعبدون الله بأنواع العبادة لكنهم يخلطونها بالشرك بحيث يعبدون الله و يعبدون غيره و هذا لا ينفعهم شيئا لأن الشرك يبطل عبادتهم فالعبادة لا تنفع إلا مع الإخلاص و لهذا يقول الله جل و علا (وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) (النساء: من الآية 36) و قال تعالى (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (الكهف: 110) ما اقتصر على قوله فليعمل عملا صالحا.

بل لا بد أن يجتنب الشرك فإذا كان لم يجتنب الشرك و لو كان يعمل أعمالا كثيرة فإنها تبطل و لا تنفع . فالمشركون كان عندهم عبادات الله عز و جل و هي من بقايا دين إبراهيم و لكن لما جاء عمرو بن لحي الخزعي غير دينهم و أدخل فيه الشرك لكن بقيت بقايا من دين إبراهيم عندهم و هم مشركون فهم يدعون

الله خصوصا إذا وقعوا في الشدة فهم يخلصون الدعاء لله عز و جل و يتركون دعاء الأصنام لأنها لا تنفع في هذا الموقف و لا تنجدهم في وقت الشدة بهذا فقال سبحانه (وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهًا عَلَيْهِ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا) (الاسراء:67) و قال تعالى (وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ) (لقمان:32) .

فالعبادات إذا خالطها شرك تكون باطلة. فالذين يدعون الإسلام الآن و يصلون و يصومون و يحجون لكنهم يدعون الحسين و البدوى و عبد القادر الجيلاني هؤلاء مثل المشركون الأولين، فالمشركون يعبدون الله عز و جل و لكنهم يدعون اللات و العزى و مناة الثالثة الأخرى و لا يقولون إن هذه أرباب بل يقولون هذه تقربنا إلى الله زلفى نريد منها الزلفى عند الله و التقرب إلى الله و هي وسائط و شفعاء بيننا و بين الله و هؤلاء يقولون الحسن و الحسين و عبد القادر و البدوى إنما هم شفعاء لنا عند الله و لا يقولون إنهم يخلصون و يرزقون و يتصرفون في شيء من الأمور و إنما هذا لله عز و جل و إنما هؤلاء وسائط و شفعاء. و يقول بعض الناس هؤلاء مسلمون فنقول و لماذا لا يكون كفار قريش مسلمين أيضا ؟ و ليس القائل عنده فهم للتوحيد و لا بصيرة لأنه ما فهم التوحيد و الواجب على الإنسان أن يعرف هذا الأمر لأنه مهم عبدا و هذه هي الثقافة الصحيحة ليست الثقافة أن نعرف أحوال العالم و الحكومات و السياسات هذه ثقافة لا تنفع و لا تضر. الثقافة التي تنفع هي معرفة التوحيد الصحيح و معرفة ما يضاده من الشرك أو ينقصه من البدع و المحدثات هذه هي الثقافة الصحيحة و هذا هو المطلوب من المسلم و على طالب العلم أن يعرف التوحيد و أن يدعو إليه هذا هو المطلوب. ما ذا ينفع العلم الكثير من غير تحقيق و من غير بصيرة ؟ لا ينفع شيئا و لا يفيد صاحبه شيئا إذا لم يكن مبنيا على تحقيق و توحيد و عبادة لله و معرفة للحق و الباطل فإنه لا ينفع صاحبه إذا كان مجرد اطلاع أو مجرد ثقافة عامة.⁶⁰

قال الشيخ عبد الله بن عايض القحطاني : قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - (701-774) في تفسيره (271/4) : ز كانت اللات صخرة 5 بيضاء منقوشة و عليها بيت بالطائف له أستار و سدنة و حوله فناء

عظيم عند أهل الطائف و هم ثقيف و من تبعهم يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش)
و قد هدمها المغيرة بن شعبة رضي الله عنه بأمر رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم.⁶¹

قوله (و عرفت أن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم قاتلهم على هذا الشرك 1 و دعاهم إلى إخلاص 2
العبادة لله وحده كما قال تعالى (فلا تدعوا مع الله أحدا) و كما قال تعالى (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ
يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ) (الرعد: من الآية 14) 3

(1) قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

أي الشرك في العبادة حيث كانوا يعبدون غير الله معه و ليس المراد الشرك في الربوبية لأن المشركين
الذين بعث فيهم النبي صَلَّى الله عليه و سلم كانوا يؤمنون بأن الله وحده هو الرب و أنه مجيب دعوة
المضطر و أنه هو الذي يكشف السوء إلى غير ذلك مما ذكر الله عنهم من إقرارهم بربوبية الله تعالى
وحده

(2) إخلاص هو معناه : (أن يقصد المرء بعبادته التقرب إلى الله تعالى و الوصول إلى دار كرامته .)
(3) يعني أن هذه الأصنام التي يدعونها من دون الله لا يستجيب لهم بشيء كما قال (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو
مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً
وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ) (الاحقاف: 5-6)

قال الشيخ صالح بن فوزان :

أي عرفت أن تَعْبُدُهُمْ لله مع الشرك به لم ينفعهم لأن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم لم يقبله منهم بل
دعاهم إلى إفراد الله بالعبادة و ترك عبادة ما سواه. و هذه الآية تمنع عبادة الملائكة و تمنع عبادة الرسل و
تمنع عبادة الصالحين ففيها إبطال عبادة غير الله تعالى كائنا ما كان و لو كان أصحابها لا يعتقدون فيهم أنهم
يخلقون و يرزقون و إنما يقولون إن هؤلاء صالحون فيتخذونهم وسائط بينهم و بين الله و شفعاء لهم عند الله

⁶¹ تحقيق كشف الشبهات للشيخ الفحطاني ص : 52

عز و جل يقربونهم إلى الله زلفى كما قال تعالى (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ) (يونس: من الآية 18) و في زماننا الحاضر يقولون هؤلاء و سائل نتوسل بهم إلى الله عز و جل و هذا كله دين الجاهلية و هو باطل لأنه عبادة لغير الله عز و جل.⁶²

قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ : ... كما قال تعالى (و أن المساجد لله) قيل المراد بالمساجد الأعضاء للسجود و قيل المراد بها المبنية للصلوات و الكل حق و المساجد بنيت ليوحد الله فيها و لا يعبد فيها سواه و الأعضاء خلقت ليعبد فيها و لا يعبد بها سواه (فلا تدعوا مع الله أحدا) هذا عموم داخل فيه جميع المخاطبين من الأنبياء و سائر المكلفين و (أحدا) نكرة لا حجر و لا شجر و لا نبي و لا ولى.⁶³

قال الشيخ عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف : و قوله (و عرفت أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قاتلهم على هذا الشرك ... إلى قوله تعالى (لا يستجيبون لهم بشيء) و دليله قوله صلى الله عليه و سلم) أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله و يقيموا الصلاة و يؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم و أموالهم إلا بحق الإسلام و حسابهم على الله تعالى) (أخرجه البخاري في كتاب الإيمان (25) و مسلم في كتاب الإيمان (22) و قال قتادة - رحمه الله - عند قول الله تعالى (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) (الجن: 18) كانت اليهود و النصارى إذا دخلوا كنائسهم و بيعهم أشركوا بالله فأمر الله نبيه أن يوحد الله وحده.) أخرجه الطبري (117/29)

و للمصنف - رحمه الله - حملة مسائل مستنبطة من هذه الآية الكريمة⁶⁴ (تعليقات على كشف الشبهات ص : 21)

⁶² شرح كشف الشبهات ص : 35

⁶³ شرح كشف الشبهات ص : 32-33

⁶⁴ قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب عند قول الله تعالى (و أن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) : فيها عشر درجات:

(الأولى) تصديق القلب أن دعوة غير الله باطلة و قد خالف فيها من خالف.

(الثانية) أنها منكر يجب فيها البغض و قد خالف من خالف

(الثالثة) أنها من الكبائر و العظائم المستحقة للمقت و المفارقة و قد خالف فيها من خالف

(الرابعة) أن هذا هو الشرك الذي لا يغفره و قد خالف فيها من خالف

(الخامسة) أن المسلم إذا اعتقده أو دان به كفر و قد خالف فيها من خالف

(السادسة) أن المسلم الصادق إذا تكلم هازلا أو خائفا أو طامعا كفر بذلك لعلمه و أين يتزل القلب هذه الدرجة و يصدقه بما ؟ و قد خالف فيها من خالف

(السابعة) أنك تعمل معه عملك مع الكفار من عدواة الأب و الإبن و غير ذلك

(فائدة في بيان معنى الرب و الإله)

الله عز وجل في القرآن ذكر الرب في مواضع و ذكر الإله في مواضع، خذ مثلا سورة الناس يقول تعالى :
بسم الله الرحمن الرحيم (قل أعوذ برب الناس (1) ملك الناس (2) إله الناس (3)) (الناس : 1-3) فما
الفرق بين رب الناس و إله الناس ؟ هل هنا بمعنى واحد ؟ إذا يكون الكلام مكررا أو أهما بمعنيين. فلا بد
من معرفة الفرق بينهما و كثيرا ما يأتي ذكر الرب كقوله تعالى (قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ
الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ) (المؤمنون : 86-87) فتكرر لفظ الرب و تكرر لفظ الإله فما معنى كل منهما ؟ فالرب
معناه المربي لخلقهم بنعمه و مغذيههم برزقه تربية جسمية بالأرزاق و الطعام و تربية قلبية روحية بالوحي و
العلم النافع و إرسال الرسل و من معاني الرب أنه مالك للسموات و الأرض فرب الشيء مالكة و المتصرف
فيه و من معاني الرب المصلح الذي الأشياء و يدفع عنها ما يفسدها فالله تعالى هو الذي يصلح هذا الكون و
ينظمه على مقتضى إراداته و حكمته سبحانه و تعالى.

أما الإله معناه المعبود من أله يأله بمعنى عبد يعبد فإنه معناه معبود و ليس معناه الرب و إنما معناه المبود و
الإلهية هي العبادة والولة و الحب لأنه سبحانه و تعالى يحبه عباده المؤمنون و يخافونه و يرجونه و يتقربون
إليه. هذا هو معنى الإله فتبين الفرق بين معنى الرب و الإله و أهما لسيا بمعنى واحد و من قال إلهما بمعنى
واحد و قد غلط و العلماء يقولون إذا ذكرا جميعا صار الرب له معنى و الإله له معنى، و إذا ذكر واحد
دخل فيه معنى الآخر أما إذا ذكر جميعا مثل ما في سورة الناس فإنه يكون للرب معنى و للإله معنى آخر كما
في لفظ الفقير و المسكين إذا ذكرا جميعا كما في قوله تعالى (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ) (التوبة:60)
صار للفقير معنى و للمسكين معنى فالفقير هو الذي لا يجد شيئا و أما المسكين فهو الذي يجد بعض الكفاية
فالمسكين أحسن حالا من الفقير و مثل لفظ الإسلام و الإيمان إذا ذكر الإسلام و الإيمان صار الإسلام معناه
الأعمال الظاهرة و الإيمان معناه الأعمال الباطنة كما في حديث جبريل : (قال : أخبرني عن الإسلام قال :

(الثامنة) أن هذا معنى (لا إله إلا الله) و الإله هو المألوه و التأله عمل من الأعمال و كونه منفيا عن غير الله ترك من التروك

(التاسعة) القتال على ذلك حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله

(العاشرة) أن الداعي لغير الله لا تقبل منه الجزية كما تقبل من اليهود و لا تنكح نساؤهم كما تنكح نساء اليهود لأنه أغلظ كفرا و كل درجة من هذا الدرجات إذا

عملت بما تخلف عنك بعض من كان معك و الله أعلم) (مجموعة رسائل في التوحيد و الإيمان 260-261)

الإسلام : أن تشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله و تقيم الصلاة و تؤتي الزكاة و تصوم رمضان و تحج البيت إن استطعت إليه سبيلا) فسرهُ بالأركان الظاهرة (قال : أخبرني عن الإيمان قال : أن تؤمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر و تؤمن بالقدر خيره و شره) (رواه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان 36/1-38 باب بيان الإيمان و الإسلام و الإحسان و وجوب الإيمان بآيات قدر الله تعالى و بيان الدليل على الخبرى ممن لا يؤمن بالقدر و إغلاظ القول معه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه)

فسره بالأعمال الباطنة و هو إيمان القلب هذا إذا ذكرا جميعا صار لكل واحد منهما معنى و إذا ذكر أحدهما وحده دخل فيه الآخر. و من هنا نعرف الفرق أيضا بين توحيد الربوبية و توحيد الألوهية فتوحيد الربوبية هو الإقرار بأن الله هو الخالق و الرازق المحيي و المميت أي الاعتراف بأفعال الله سبحانه و تعالى و توحيد الألوهية معناه إفراد الله بأعمال العباد التي يتقربون بها إليه مما شرع. هذا معنى توحيد الألوهية. فهناك فرق بين توحيد الربوبية و توحيد الألوهية و ما دمنا قد عرفنا معنى توحيد الربوبية و توحيد الألوهية نأتى إلى حالة المشركين الذين بعث فيهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كانوا مقرون بالأنواع الأول الذي هو توحيد الربوبية و لم يدخلهم في الإسلام بل اعتبرهم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كفارا مشركين و قاتلهم و هم يقرون بتوحيد الربوبية، فهم أقروا بتوحيد الربوبية و جحدوا توحيد الألوهية لما طلب منهم أن يفردوا الله بالعبادة و يتركوا عبادة الأصنام قالوا : (أَجْعَلُ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ) (ص:5) لأنه قال لهم قولوا لا إله إلا الله فهم فهموا معنى لا إله إلا الله و هو أنه لا يعبد إلا وحده لا شريك له و هم لهم أصنام و لهم معبودات كثيرة لا يريدون تركها و الإقتصار على عبادة الله و هذا لا يرصيههم و لهذا أنكروا و قالوا (أ جعل الألهة إلها واحدا) طلب منا أن نعبد الله وحده و نترك عبادة الات و العزى و المناة و هبل و غيرها من الأصنام هذا شيء لا يعقل عندهم (ما سمعنا بهذا في الملة الأخرى) ملة آبائهم فهذا احتجاج بما عليه آباؤهم الحججة الملعونة التي احتجت بها الأمم من قبل إذا دعوا إلى عبادة الله. حتى فرعون يقول (قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى) (طه:51) فهم لما فهموا معنى لا إله إلا الله استعربوا هذا و استنكروه و تواصلوا برفسه و في الآية الأخرى يقول سبحانه و تعالى (إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَتِنَا لَشَاعِرٍ مَجْنُونٍ) (الصفات : 35-36)

و هذا يبين معنى لا إله إلا الله تماما و يوضحه و يقطع الجدال فإن فيه ردا على غلط في معنى لا إله إلا الله. فعلماء الكلام في مقرراتهم و عقائدهم يقولون لا إله إلا الله معناها لا خالق و لا رازق و لا قادر على الاختراع إلا الله هذا معنى الإله عندهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - (و الحاذق منهم قال أن الإله هو القادر على الإختراع و هذا غلط و جهل كبير باللغة و بالشرع المطهر إذ معنى الإله المعبود الذي تأله القلوب و تخضع له و تقرب إليه) (الدمورية ص 185، 186. بحقيق محمد بن عودة السعودي و مجموع الفتاوى 103/13) فهم لم يفهموا معنى الإله و لذلك يقولون لا إله إلا الله و يكثرون و لهم أوراد في الليل و النهار يرددونها و مع هذا يعبدون القبور و الأضرحة و يستغيثون بغير الله عز و جل فلم يفهموا معنى لا إله إلا الله و أنها تطلب منهم ترك عبادة القبور و الأضرحة و عبادة ما سوى الله من الأصنام و الأشجار و الأحجار فإذا قالوها لدمهم ترك هذه الأمور و الاتناقضوا، و المشركون الأولون توقفوا و لم يقولوها لأنهم قالوها لزمهم ترك عبادة الأوثان أما هؤلاء قالوها و عبدوا غير الله فالأولون أحذق منهم و لهذا يقول الشيخ : لا خير في رجل جهال المشركين أعلم منه .معنى لا إله إلا الله .⁶⁵

قوله (و تحققت أن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم قاتلهم ليكون الدعاء 1 كله لله و الذبح 2 كله لله و النذر 3 كله لله و الاستغاثة 4 كله بالله و جميع أنواع العبادة كله لله)

(1) قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين : الدعاء على نوعين :

الأول دعاء عبادة بأن يتعبد للمدعو طلبا لثوابه و خوفا من عقابه و هذا لا يصح لغير الله و صرفه لغير الله شرك أكبر مخرج عن الملة و عليه يقع الوعيد في قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) (غافر: من الآية 60)

النوع الثاني : دعاء المسألة و هو دعاء الطلب أي طلب الحاجات و ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

⁶⁵ شرح كشف الشبهات ص : 36-40

القسم الأول : دعاء الله سبحانه و تعالى بما لا يقدر عليه إلا هو و هو عبادة الله تعالى لأنه يتضمن الإفتقار إلى الله تعالى و اللجوء إليه و اعتقاد أنه قادر كريم واسع الفضل و الرحمة فمن دعا غير الله - عز و جل - بشيء لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر سواء كان المدعو حيا أو ميتا

القسم الثاني : دعاء الحي بما يقدر عليه مثل يا فلان اسقني فلا شيء فيه

القسم الثالث : دعاء الميت أو الغائب بمثل هذا فإنه شرك لأن الميت أو الغائب لا يمكن أن يقوم بمثل هذا فدعاؤه إياه يدل على أنه يعتقد أن له تصرفا في الكون فيكون بذلك مشركا

(2) الذبح : (إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص) و يقع على وجوه :

الأول : أن يقصد به تعظيم المذبوح له و التذلل له و التقرب إليه فهذا عبادة لا يكون إلا لله تعالى على الوجه الذي شرعه الله تعالى و صرفه لغير الله شرك أكبر لقوله تعالى (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ) (الأنعام: 162-163)

الثاني : يقصد به إكرام الضيف أو وليمة لعر و نحو ذلك فهذا مأمور به إما وجوبا أو استحبابا لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليكرم ضيفه) (البخاري / الأدب / باب من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر و مسلم / كتاب الإيمان / باب الحث على إكرام الجار و الضيف) و قوله لعبد الرحمن بن عوف حين تزوج (أو لم و لو بشاة) (البخاري / كتاب البيوع)

الثالث : أن يقصد به التمتع بالأكل أو الاتجار به و نحو ذلك فهذا من قسم مباح فالأصل فيه الإباحة لقوله تعالى (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ) (يس: 71-72) و قد يكون مطلوبا أو منهيًا عنه حسبما يكون وسيلة له

(3) النذر يطلق على العبادات المفروضة عموما و يطلق على النذر خاص و هو إلزام الإنسان نفسه بشيء لله تعالى و المراد به هنا الأول فالعبادات كلها لله تعالى (و قضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه) (الإسراء: 23)

(4) الإستغائة طلب الغوث و الإنقاذ من الشدة و الهلاك و هو أقسام :

الأول : الإستغائة بالله و هذا من أفضل الأعمال و أكملها هو داب
الرسل عليهم الصلاة و السلام و أتباعهم و دليله قوله تعالى (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي
مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) (الأنفال:9)

الثاني : الإستغائة بالأموات أو بالأحياء غير حاضرين القادرين عن الاغاثة فهذا شرك لأنه لا يفعله إلا من
يعتقد أن هؤلاء تصرفا خفيا في الكون فيجعل لهم حظا من الربوبية قال الله تعالى (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا
دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ) (النمل:62)

الثالث : الإستغائة بالأحياء العالمين القادرين على الإغاثة فهذا جائز كالإستغائة بهم قال الله تعالى في قصة
موسى عليه السلام (فَاسْتَعَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَّرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ) (القصص:
من الآية 15)

الرابع : الإستغائة بحى غير قادر من غير أن يعتقد أن له قوة خفية مثل أن يستغيث بمشلول على دفع عدو
صائل. فهذا لغو و سخرية بالمستغاث به و هو عاجز أن له قوة خفية ينقذ بها من الشدة⁶⁶

قال الشيخ صالح بن فوزان : أي لا يكون بعض ذلك لله و بعضه للبدوى و بعضه لله و بعضه للحسين لا
بد أن يكون الدعاء كله لله و الذبح كله لله و النذر كله لله و سائر العبادات كلها لله و هذا هو الدين
الصحيح. أما أن تكون العبادة مشتركة بين الله و بين القبور و الأضرحة و الأولياء و الصالحين فهذا ليس
هو التوحيد بل هو دين المشركين و إن كان صاحبه يعترف بتوحيد الربوبية و يصوم و يصلى و يحج و
يعتمر إلى غير ذلك⁶⁷

⁶⁶ شرح كشف الشبهات ص : 37-38

⁶⁷ شرح كشف الشبهات ص : 40

قال الشيخ عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف : فأما دليل على أن الدعاء يجب صرفه لله تعالى وحده لا شريك له فقولته تعالى (فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ) (الشعراء:213) و قوله تعالى (فَأَبْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرَّزْقَ وَأَعْبُدُوهُ) (العنكبوت: من الآية17) و قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (من مات و هو يدعو من دون الله دخل النار) (البخاري / كتاب التفسير 176/8 ح (4497))
يقول ابن تيمية - رحمه الله - (و من أعظام الاعتداء و العدوان و الذل و الهوان أن يدعو غير الله فإن ذلك من الشرك و الله لا يغفر أن يشرك به و إن الشرك لظلم عظيم) (الرد على البكري ص : 95)

أما النذر فهو عبادة باعتبار الوفاء به حيث أن الله مدح على الموفين به فقال سبحانه (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا) (الانسان:7)

يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - عن هذه الآية (يأخذ منه أن الوفاء بالنذر قرينة للثنا على فاعله لكن ذلك مخصوص بنذر الطاعة) (فتح الباري 703/11)

و قد أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالوفاء بالنذر بالطاعة فقال (من نذر أن يطيع الله فليطعه و من نذر أن يعصيه فلا يعصيه) (البخاري / كتاب الأيمان و النذور 581/11 ح (6696)

أما النذر ابتداء فقد نهى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن النذر و قال : (إنه لا يرد شيئا) (البخاري كتاب الأيمان و النذور 576/11 ح (6693) و مسلم كتاب النذر ح (1639))

و أما الذبح - و هو النسك - فهو عبادة و قرينة لله تعالى وحده لا شريك له قال تعالى (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) (الأنعام:162-163) و قال سبحانه (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ) (الكوثر:2)

أما الإستغاثة فهي طلب الغوث و يقال في النصرة و أعائه إذا نصره و قال بعضهم : الفرق بين الإستغاثة و الدعاء أن الإستغاثة لا تكون إلا من المكروب كما قال تعالى (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ) (الأنفال: من الآية9) و الدعاء أعم من الإستغاثة لأنه يكون من المكروب و غيره

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - (الإستعاذة و الإستجارة و الإستعانة من نوع الدعاء أو الطلب و هي ألفاظ متقربة (مجموع الفتاوى 227/15)⁶⁸

قوله (و عرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام و أن قصدهم الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء يريدون شفاعتهم و التقرب إلى الله بذلك هو الذي أحل دماءهم و أموالهم عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل و أبي عن الإقرار به المشركون)

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

قرر المؤلف - رحمه الله - أن التوحيد الذي بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه و سلم - كانوا يقرون بتوحيد الربوبية و مع هذا استباح النبي صلى الله عليه و سلم دماءهم و أموالهم على أنهم يعبدون الملائكة و غيرهم مما يعبدون من الأولياء و الصالحين يريدون بذلك أن يقربوهم إلى الله كما قال تعالى (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) (الزمر: من الآية3) فهم مقرون بأن الله و المقصود ولكنهم يقصدون الملائكة و غيرهم ليقربهم إلى الله و مع ذلك لم يدخلهم في التوحيد.

قال الشيخ صالح بن فوزان :

أي أنهم لم يقولوا أن الملائكة و الأنبياء و الأولياء الذين يعبدوهم يخلقون و يرزقون و يحيون و يميتون ما قالوا هذا و إنما اتخذوهم شفعاء و وسائط بينهم و بين الله كما قال تعالى (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ) (يونس: من الآية18) ما أرادوا منهم إلا الشفاعة و زعموا أن هذا تعظيم لله يقولون : الله عظيم ما يمكن أن نصل إليه بدعائنا لكن نتخذ من يوصل إليه حاجتنا من عباده الصالحين من الملائكة و الرسل و الصالحين و قاسوا الله على ملوك الدنيا الذين يتوسط عندهم أصحاب الحاجات بالمقربين عندهم فهم لم يعتقدوا فيهم أنهم يخلقون و يرزقون كما يقول الجهال :

⁶⁸ في صمن تعليقات على كشف الشبهات للشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف ص : 24

إن الشرك هو اعتقاد أن أحداً يخلق مع الله أو يرزق مع الله هذا ما قاله أحد من عقلاء بني آدم، إنما قصدهم الشفاعة و في الآية الأخرى (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) (الزمر: من الآية 3) يقولون نحن عباد ضعفاء و الله جل و علا شأنه عظيم لا نتوصل إليه فهو لاء يقربونا إلى الله زلفى شبهوا الله بملوك الدنيا هذا هو أصل الكفر فدل على أنهم لم يعتقدوا فيهم الشرك في الربوبية و إنما اعتقدوا فيهم الشرك في الألوهية فإذا سألت أي واحد الآن يذبح للقبور أو ينذر لها ما الذي حملك على هذا؟ فيهم يقولون كلهم بلسان واحد : و الله ما اعتقدنا أنهم يخلقون و يرزقون و أنهم يملكون شيئاً من السماوات و الأرض إنما اعتقدنا أنهم وسائط لأنهم صالحون يوصلون إلى الله حاجتنا و يملغونه حاجتنا هذا قصدنا. و مع هذا سماهم الله مشركين و أمر نبيه بجهادهم كما قال تعالى (فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُواهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (التوبة: 5) مع أنهم يقولون لا نعتقد أنهم يخلقون و يرزقون و يدبرون مع الله و إنما قصدنا اتخاذهم وسائط و نحن نذبح لهم و ننذر لهم و نتوصل بهم لأن الله لا يصل إليه شيء من أمورنا إلا بواسطتهم فهم يوصلونه إلى الله و يكونون وسائط يقربوننا إلى الله زلفى و شفعاء عند الله، هذه شبهتهم قديماً و هذه شبهة عباد القبور اليوم (تشابهت قلوبهم) فتشابهت أقوالهم و أفعالهم.⁶⁹

قال الشيخ عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف :

و قوله - رحمه الله - (و عرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية ... إلى قوله : و أبي عن الإقرار به المشركون) قد أكد المصنف على هذا المعنى في غير موضع و من ذلك قوله (و لكن الذي كفرهم و أحل دماءهم و أموالهم أنهم لم يشهدوا الله بتوحيد الألوهية و توحيد الألوهية هو أن لا يدعى و لا يرجى إلا الله وحده لا شريك له و لا يستغاث بغيره و لا يذبح لغيره و لا ينذر لغيره و لا لملك مقرب و لا نبي مرسل فمن استغاث بغيره فقد كفر و ذبح لغيره فقد كفر و من نذر لغيره فقد كفر و أشباه ذلك) (مؤلفات الشيخ 365/1،
70 (366

⁶⁹ شرح كشف الشبهات ص : 41-42

⁷⁰ تعلقات على كشف الشبهات ص : 24

قوله - رحمه الله - (و هذا التوحيد هو معنى قولك (لا إله إلا الله) فإن الإله عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور سواء كان ملكا أو نبيا أو وليا أو شجرة أو قبرا أو جنيا لم يريدون أن الإله هو الخالق الرازق المدبر فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قدمت لك و إنما يعنون بالإله ما يعنى المشركون في زماننا بلفظ (السيد) فأتاهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدوهم إلى كلمة التوحيد و هي (لا إله إلا الله)

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

... أي أن التوحيد الذي دعا إليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو معنى (لا إله إلا الله) أي لا معبود حق إلا الله فهم يعلمون أن معناها لا معبود حق إلا الله - عز و جل - و ليس معناه لا خالق أو لا رازق أو لا مدبر إلا الله أو لا قادر على الإختراع إلا كما يقولون كثير من المتكلمين فإن هذا المعنى لا ينكره المشركون و لا يريدون معنى (لا إله إلا الله) أي لا معبود حق إلا الله كما قال تعالى عنهم (أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ) (ص: 5-7)

و قوله - رحمه الله - (إنما يعنون ... إلى ... و هي لا إله إلا الله) يريد - رحمه الله - بيان أن المشركين لا يريدون يقول لا إله إلا الله أي لا مدبر و لا خالق إلا الله لأنهم يعرفون أن ذلك حق و إنما ينكرون معناها لا معبود حق إلا الله و هذا الذي بدأ به المؤلف و أعاد و إنما قاله للتأكيد و الرد على من يقول : إننا لا نعبد الملائكة أو غيرهم إلا من أجل أن يقربونا إلى الله زلفى و لسنا نعتقد أنهم يخلقون أو يرزقون.⁷¹

قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ :

⁷¹ شرح كشف الشبهات ص : 31

... هذا التوحيد هو معنى قولك لا إله إلا الله مطابقة و هي التي وصعت له واشتملت على ركنين : النفي و الإثبات نفي الألوهية عن كل ما سوى الله و إثباتها لله وحده و معناها لا معبود حق إلا الله وحده كل معبود سوى الله فعبادته و تألهه أبطل الباطل و أصل الضلال.

(و الإله عندهم) أي عند قريش و غيرهم الذين بعث فيهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ ... (هو الذي يقصد) بالذبح و النذر و الدعاء و نحو ذلك (لأجل هذه الأمور) و هي طلب الشفاعة و التقرب إلى الله (لم يريدوا أن الإله) إذ قالوا إله أنه - يرزق حقيقة ؟ لا . هذا يكذبه القرآن بل حاء القرآن بأنهم يقولون يصلحون و ينفع إذا اعتقد فيه و أنه يتصرف بالشفاعة عند رب الجميع . تعم في آخر الزمان يعتقدون أنه يفيس عليه من بركته هو الخالق الرازق المدبر فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده) كما تقدم ذلك بأدلة من الكتاب (قل من يرزقكم من السماء و الأرض) الآية و نحوها (و إنما يعنون بالإله ما يعنى المشركون في زماننا بلفظ (السيد) إذا قالوا هذا سيد يعنى إله و إن لم يستشعروا هذا اللفظ لكن المعنى أنه يصلح لأن يوسط بين أحد من الخلق و بين الله و أن الاعتقاد فيه ينفع إذا تشبث به و طلب منه أن يطلب لهم من الله حوائجهم يعنون أن هذا ولي و هذا معتقد لنا بمعنى أن المعتقد فيه ينفعه و يجيبه ، و أنه يصلح للإلتجاء إليه فيقربون إليه ليقربهم إلى الله يعنى أنهم وسائط .

(فاتلهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ يدعوهم إلى كلمة التوحيد و هي لا إله إلا الله) التي فيها ابطال جميع ما يتعلقون به على غير الله بشيء من أنواع العبادة المفردة رب العالمين بالألوهية استحقاقا و عملا و فهما لذلك.⁷²

قال الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف :

و قوله : (و هذا التوحيد هو معنى قولك (لا إله إلا الله) ... إلى قوله كما قدمت لك) : قرر الشيخ معنى الإله في أكثر من رسالة فقال في إحدى رسائله : (فإن الإله هو المقصود المعتمد عليه و هذا أمر هين عند من لا يعرف كبير عظيم عند من يعرفه) (الدرر السنية 40/2)

⁷² شرح كشف الشبهات ص : 35-37

و قال في موضع آخر (و الإله من التأله و هو القصد لجلب النفع و دفع المضرة) (تاريخ ابن غنام
(299/2)

كما بين المصنف معنى كلمة التوحيد و معنى الإله فقال : (اعلم أن معنى لا إله إلا الله نفي و إثبات لا إله
نفي إلا الله إثبات تنفى أربعة أنواع و تثبت أربعة أنواع. المنفى : الآلهة و الطواغيت و الأنداد و الأرباب. و
المثبت : القصد و المحب و الخوف و الرجاء. فالقصد كونك ما تقصد إلا الله) (الدرر 63/2 باختصار)
و ما أعظم فقه الشيخ - رحمه الله - لمعنى الإله حيث قال : (فإن الإله هو القصد ... إلى ... كبير عظيم
عند من يعرفه)

فإن الله تعالى وحده هو المستحق أن يكون هو المقصود المدعو المطلوب كما أنه سبحانه هو المعتمد عليه
المعين على المطلوب و هذا معنى قوله تعالى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (الفاتحة:5) (انظر الفتاوى لابن تيمية
(22/1)

فالعبد مجبول على أن يقصد شيئاً و يريده و يستعين بشيء و يعتمد عليه في تحصيل مراده و هذا أمر لازم في
حق كل إنسان و لذا أصدق الأسماء حارث و همام فكل إنسان له قصد و إرادة و لا بد له من شيء يعتمد
عليه. (الفتاوى لابن تيمية 34/1)

قد بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله (و إذا تدبر الإنسان حال نفسه و حال جميع الناس وجدهم لا
ينفكون عن هذين الأمرين و لا بد للنفس من شيء تطمئن إليه و تنهى إليه و محبتها و هو إلهها و لا بد من
شيء تثق به و تعتمد عليه في نيل مطلوبها هو مستعانها سواء كان ذلك هو الله أو غيره و إذا فقد يكون
عاماً و هو الكفر كمن غير الله مطلقاً و سأل غير الله مطلقاً مثل عباد الشمس و القمر و غير ذلك الذين
يطلبون منهم الحاجات و يفزون إليهم في النوائب.

و قد يكون خاصاً في المسلمين مثل من غلب عليه حب المال أو حب الشخص أو حب الرياسة حتى عبد
ذلك) (مجموع الفتاوى 35/1)

و قوله - رحمه الله - (إنما يعنون بالإله ... إلى قوله "لا إله إلا الله" ... و أوضح الشيخ هذه العبادة في مؤلفاته الأخرى فقال : (و أما قولي : إن الإله الذي فيه السر فمعلوم أن اللغات تختلف فالمعبود عند العرب و الإله سمون عوامنا (السيد) و (الشيخ) و (الذي فيه السر) و العرب الأولون يسمون الألوهية ما يسميها عوامنا (السر) لأن السر عندهم هو القدرة على النفع و الضر و كونه يصلح أن يدعى و يرجى و يخاف و يتوكل عليه. (تاريخ ابن غنام 106/2 و انظر تاريخ ابن غنام 17/1)

و قال في موضع آخر : (فاعلم أن هذه الألوهية هي التي تسميها العامة في زماننا : السر و الولاية و الإله معناه الذي فيه السر و هو الذي يسمونه الفقراء (يعنى الصوفية) الشيخ و يسمونه عامة السيد و أشباه ذلك. و ذلك إهم يظنون أن الله جعل لخواص الخلق منزلة يرصى أن الإنسان يلتجئ إليهم و يرجوهم و يستغيث بهم و يجعلهم واسطة بينه و بين الله) (تاريخ ابن غنا 264/2)

و المقصود أن الشيخ قرر أن من عبد شيئاً و تأله قائلاً (هذا سيد) أو (فيه سر) أو (ولي) فهو مشرك فالعبادة بالحقائق و الأسماء لا تغير من الحقائق شيئاً و الحكم يدور مع علته (منهاج التأسيس للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ص : 242)

و يحلى الشيخ العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن - رحمه الله - هذه المسألة بقوله (إنما قال الشيخ (محمد بن عبد الوهاب) إن المشركين الأولين يقصدون من لفظ الإله ما يقصده أهل زماننا بلفظ (السيد) و هذا صحيح فإن السيد عند أكثر المشركين في هذه الأزمان هو الذي يدعى و يستغاث به في الشدائد و يرجى للنوازل و يحلف باسمه و ينحز له على وجه التعظيم و القربة و بعضهم يطلق على ذلك الإسم الولي كما هو في اصطلاح كثير من أهل مصر و بعضهم يسمي هذا المعنى السر فيقول فلان فيه سر و من أهل السر و هذا مشهور معروف و الاصطلاحات تحدث و اللغات تختلف (منهاج التأسيس ص : 242، 343 و مجموعة الرسائل التحدية 308/3 ، و كشف الشبهات بتعليق الشيخ عبد العزيز بن مانع ص :

و قوله - رحمه الله - (و المراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها و الكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي صلى الله عليه و سلم بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بتعلق به و الكفر بما يعبد من دون الله و البراءة منه فإنه لما قال لهم قولوا (لا إله إلا الله) قالوا (أ جعل الألهة إلهها واحدا إن هذا لشيء عجاب) 1 (ص : 5)

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

قوله : (من هذه الكلمة) أي قول (لا إله إلا الله) .
1 هذه الجملة كالتي قبلها يبين فيها - رحمه الله - أن معنى لا إله إلا الله لا معبود حق إلا الله و أن المشركين قد فهموا هذا منها و علموا أنه ليس المراد بما مجرد لفظها و أن المراد بما لا معبود حق إلا الله و لهذا أنكروه مع أنهم لا ينكرون أن الله وحده هو الخالق الرازق⁷⁴

قال الشيخ صالح بن فوزان :

أي الكفار يعرفون معنى لا إله إلا الله و لهذا لما قال لهم النبي صلى الله عليه و سلم قولوا لا إله إلا الله قالوا : (أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ) (ص:5) و لما قال لهم قولوا لا إله إلا الله قالوا : (أَإِنَّا لَنَرَاكُمُ آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ) (الصفوات:36-37) فهم فهموا معنى لا إله إلا الله و أبوا أن يعترفوا به لأنه يلزمهم بترك عبادة الأصنام و هم لا يريدون هذا و إنما يريدون البقاء على عبادة الأصنام. و لم يجروا أن يقولوا لا إله إلا الله و يبقوا على عبادة الأصنام لأن في ذلك تناقضا و هو يأنفون من التناقض في حين أن كثيرا من المنسبين إلى الإسلام اليوم لا يأنفون من هذه التناقض فهم يقولون لا إله إلا الله بحروفها و لكنهم يخالفونها و يعبدون غير الله من القبور و الأصرحة و الصالحين و الأشجار و الأحجار و غير ذلك فهم لا يفهمون لا إله إلا الله. فلا يكفي التلفظ بلا إله إلا الله دون علم بمعناها و عمل بمقتضاها.

بل لا بد من العلم بمعناها أولاً ثم العمل بمقتضاها لأنه لا يمكن أن يعمل بمقتضاها وهو يجلب معناها ولهذا يقول جل وعلى : (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) (محمد: من الآية 19) فبدأ بالعلم قبل القول والعمل بمقتضاها على الوجه الصحيح⁷⁵

قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ :

فالتوحيد هو الحق وهو النور ولكن عقولهم فسدت و أفسد مزاجها الشرك لأنها نشأت عليه و ألفتها فصارت لا تستنكره فصاروا كالمريض الذي إذا أتى بالشيء الحلو قال هذا المر لفساد مزاجه و لم تنسأ على التوحيد فاستنكره⁷⁶.

قال الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف : قوله – رحمه الله – : (و المراد من هذه الكلمة معناها ... إلى ...) (... لشيء عجاب)

يقرر الشيخ وجوب فهم لا إله إلا الله و تحقيقها قولاً و عملاً و القيام بلزومها و مقتضاياتها كما بين ذلك في إحدى رسائله : (و ليس المراد قولها بللسان مع الجهل بمعناها فإن المنافقين يقولونها – و هم تحت الكفار في الدرك الأسفل من النار – مع كونهم يصلون و يتصدقون و لكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب و محبتها و محبة أهلها و بغص ما خالفها و معاداتها كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (من قال لا إله إلا الله مخلصاً) و في رواية (خالصاً من قلبه) و في رواية (صادقاً من قلبه) في حديث آخر : (من قال : لا إله إلا الله و كفر بما يعبد من دون الله) إلى غير ذلك من الأحاديث الداله على جهاله أكثر الناس بهذه الشهادة (تاريخ ابن عنام 362/2 و 64/2)⁷⁷

قوله – رحمه الله – (فإذا أن جهال الكفار يعرفون ذلك 1 فالعجب ممن يدعي الإسلام و هو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار 2 بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد

⁷⁵ شرح كشف الشبهات ص : 36

⁷⁶ شرح كشف الشبهات ص : 37

⁷⁷ تعليقات على كشف الشبهات ص: 29-30

القلب لشيء من المعاني و الحاذق منهم يظن أن معناها (لا يخلق و لا يرزق و لا يدبر الأمر إلا الله) فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى (لا إله إلا الله)

1) قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

أي يعرفون أن معنى لا إله إلا الله لا معبود حق إلا الله

2) يريد المؤلف - رحمه الله - أن يبين أن من الناس من يدعى الإسلام و يعرفون معنى كلمة (لا إله إلا الله) حيث يظنون أن المقصود هو التلفظ بحروفها دون معرفة معناها و اعتقاده و من الناس من يظن أن المراد بها توحيد الربوبية أي لا خالق إلا الله و لا رازق إلا الله و من الناس من يفسها بأن المراد بها (إخراج التيقن الصادق عن ذات الأشياء و إدخال اليقين الصادق عن ذات الله و هذا التفسير باطل لم يعرفه السلف الصالح و ليس المراد به أتيقن بالله - عز و جل - و تخرج اليقين من غيره و تخرج اليقين من غيره لأن هذا لا يمكن فإن اليقين ثابت في غير الله (لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين) و تيقن الأشياء الواقعة الحسية المعلومة لا ينافي التوحيد و من الناس من يفسرها بأنه " لا معبود إلا الله " و هذا التعريف لا يصح على ظاهره لأن هناك أشياء عبادت من دون الله تعالى

فيكون هؤلاء أجهل من الجهال الذين بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه و سلم فإنهم يعرفون من معناها لا يعرفه هؤلاء⁷⁸

قال الشيخ صالح بن فوزان : ... فصار هذا المدعى للإسلام يظن أن المراد بهذه الكلمة هو النطق بحروفها من غير اعتقاد لمعناها فصار يردد معها دعاء الموتى و المقبورين ليلا و نهارا⁷⁹

⁷⁸ شرح كشف الشبهات ص: 29-31

⁷⁹ شرح كشف الشبهات ص: 48

قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ :

" يظن أن معناها لا يخلق و لا يرزق إلا الله و لا يدبر الأمر إلا الله يعني أنها دلت على توحيد الربوبية و معلوم أن لا إله إلا الله دلت على توحيد الربوبية بالتضمن لكن معناها الذي وصعت له مطابقة أن يكون الله وحده هو المعبود دون كل من سواه ."

(فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه .بمعنى لا إله إلا الله) هذا رجل سوء لا خير فيه هذا أقل ما يقال فيه فالمصنف اقتصر و اقتصد على أدنى ما يقال فيه و إلا فهو يستحق أعظم بل لا خير فيه بحال. إذا كان أبو جهل فرعون هذه الأمة أضرا به أعلم منه .بمعناها فلا جهل فوق جهل من جهل معنى هذه الكلمة التي هو أصل دين الإسلام و قاعدته و أساسه (شرح كشف الشبهات 38-39)

قال الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف :

و قوله (و الحاذق منهم إلى قوله : لا إله إلا الله)
و هذا الحاذق هو ما عليه أهل الكلام و النظر - و من تبعهم من المرجئة كالأشاعرة و نحوهم - حيث ظنوا أن توحيد المطلوب هو أن الله تعالى واحد في أفعاله لا شريك له و أن صانع العالم واحد و أن معنى الإلهية القدرة على الاختراع و كذلك أهل التصوف ادعاء التحقيق و المعرفة - يجعلون توحيد الربوبية هو الغاية لا غاية و راءها (التدمورية ص: 179-187) (و الدرء 1/228)

و لما حصر أهل الكلام و التصوف التوحيد في ربوبية الله تعالى و أفعاله ففي المقابل فإن الشرك - عندهم - هو اعتقاد التدبير و الربوبية لغير الله تعالى و من ثم من ذبح لغير الله تعالى أو استغاث بالأموات - مثلا - فلا يعد مشركا عندهم ما دام أنه لا يعتقد في الأموات تدبيرا أو إيجادا⁸⁰

و هذا المفهوم الفاسد للتوحيد و يصاده كان سببا رئيسا في طهور الشرك و انتشاره في بلاد المسلمين – و
الله المستعان .⁸¹

و قوله – رحمه الله : (و إذا عرفت ما ذكرت لك معرفة قلب 1 و عرفت الشرك بالله الذي قال الله فيه
(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) (النساء: من الآية 48) 2 و عرفت دين الله
الذي أرسل به الرسل من أولهم إلى آخرهم الذي لا يقبل الله من أحد ديننا سواه 3 و عرفت ما أصبح
غالب الناس فيه من الجهل بهذا أفادك بفائدتين :)

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

(1) أ عرفت معرفة معنى لا إله إلا الله الحقيقي و أن معناها (لا معبود بحق إلا الله)⁸²

قال الشيخ صالح بن فوزان : أي إذا عرفت ما ذكرت لك من الفرق بين توحيد الربوبية و توحيد الألوهية
و عرفت أن المشركين أقروا بالأول و جحدوا الثاني فلم يدخلهم في الإسلام و قتلوا و استحلت دماءهم و
أمواهم إذا عرفت هذه الأمور معرفة قلب لا معرفة لسان فقط كأن يحفظ الإنسان هذا المعنى و يؤديه في
الإمتحان و ينجح فيه في قلبه و يفهمه تماما فهذا لا يكفي فالعلم هم علم القلب و علم البصيرة لا علم
اللسان فقط.⁸³

و قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ : يعني معرفة حقيقة واصلة إلى سويداء القلب ليست مجرد
دعوى باللسان فإن مجرد دعوى اللسان من غير معرفة القلب ليست معرفة⁸⁴

⁸¹ تعليقات على كشف الشبهات ص: 32

⁸² شرح كشف الشبهات ص: 32

⁸³ شرح كشف الشبهات ص: 49

⁸⁴ شرح كشف الشبهات ص: 39

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

(2) اختلف أهل العلم - رحمهم الله تعالى - في هذه الآية هل تشمل كل الشرك أم أنها خاصة بالشرك الأكبر : فمنهم من قال تشمل كل شرك و لو كان أصغر كالحلف بغير الله فإن الله لا يغفر و منهم من قال : إنها خاصة بالشرك الأكبر فهو الذي لا يغفره الله و شيخ الإسلام - رحمه الله - اختلف كلامه فمرة قال بالقول الأول فمرة قال بالقول الثاني⁸⁵ (في الفتاوى 329/7 و 524 ، قسم الفسق و الكفر ثم قسم الشرك ، قال : والأصغر مثل الرياء ، و استدل بقول الله تعالى : (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (الكهف: من الآية110) أي المرأة الأعمال الصالحة)

(3) و هو عبادة الله وحده كما قال تعالى (وما أرسلناك من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا الله فاعبدون) هذا هو الإسلام الذي قال الله فيه : (و من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه) قال الشيخ صالح بن فوزان : قوله تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ... إلى ... لمن يشاء) أي الشرك في العبادة لا الشرك الذي هو اعتقاد أن أحداً يخلق و يرزق و يدير مع الله بل الشرك الذي حذر الله منه هو اعتقاد أن أحداً يستحق العبادة أو شيئاً من العبادة مع الله

فالشرك هو دعوة غير الله معه أو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله هذا الشرك الذي حرمه الله و حرم على صاحبه الجنة و أخبر أن مأواه النار و هو الشرك الذي يحبط جميع الأعمال و هو الشرك في الألوهية و ليس الشرك في الربوبية و هذا تنبيه من الشيخ - رحمه الله - أنه كما تجب معرفة التوحيد تجب معرفة الشرك.

دين الرسل هو الإسلام و هو الاستسلام لله بالتوحيد و الانقياد له بالطاعة و الخلوص من الشرك و أهله هذا هو دين الرسل و هذا هو الإسلام. و أما الإنتساب إلى الإسلام في الظاهر دون الباطن أو الإنتساب إليه بالتسمى فقط دون التزام لأحكامه أو الإنتساب إليه مع ارتكاب ما يناقضه من الشرك و الوثنيات أو

الإنتساب إليه مع الجهل بحقيقته أو الإنتساب إليه دون الموالاة لأوليائه و معاداة لأعدائه فليس هذا هو الإسلام الذي جاءت به الرسل و إنما هو الإسلام اصطلاحي مصطنع لا يعنى و لا ينفع عند الله سبحانه و تعالى و ليس هو دين الرسل.⁸⁶

قال الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف : و قوله - رحمه الله - (إذا عرفت ما قلت لك معرفة قلب و عرفت الشرك بالله) :

يؤكد الشيخ على ضروره معرفة القلب و فهمه و من ذلك قوله : (مصداق كلامي لكم مرات عديدة أن الفهم الذي يقع في القلب غير فهم اللسان) (تاريخ ابن غنام 274/2)

يؤكد الشيخ - رحمه الله - على معرفة الشرك و التحذير منه و النهي عنه فالنهي عن الشرك يستلزم الكفر بالطواغيت كما حرره المصنف بقوله :

(و أما نهي نوح عليه السلام بنيه عن الشرك و أمرهم ب(لا إله إلا الله) فليس هذا تكرارا بل هذان أصلان مستقلان كبيران و إن كانا متلازمين فالنهي عن الشرك يستلزم الكفر بالطاغوت و لا إله إلا الله الإيمان بالله و الواقع أن كثيرا من الناس يقول (لا أعبد إلا الله و أن أشهد بكذا و أقر بكذا و يكثر الكلام) فإذا قيل له : ما تقول في فلا و فلان إذا عبد و عُبد من دون الله ؟ قال : ما علي من الناس أعلم بحالهم و يظن بباطنه أن ذلك لا يجب عليه فمن أحسن الإقتران أن الله فرق بين الإيمان بالله و الكفر بالطاغوت و البداءة بالكفر على الإيمان بالله) (تاريخ ابن غنام 275/2)

و يوصى الشيخ أتباعه بتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله و القيام بركنيها من الكفر بالطاغوت و إثبات الإلهية وحده فيقول : فالله يا إخواني تمسكوا بأصل دينكم و أوله و آخره و أشه و رأسه : شهادة لا إله إلا الله و اعرفوا معناها و أحبوا أهلها و اجعلوهم إخوانكم و لو كانوا بعيدين و اكفروا بالطوغيت و عادوهم و أبغضوهم و ابغضوا من أحبهم و جادل عنهم أو لم يكفّرهم و قال : ما على منهم أو قال : ما

كلفني الله بهم فقد كذب على الله و افترى فقد كلف الله بهم و فرص عليهم الكفر بهم و البراءة منهم و لو كانوا إخوانهم و أولادهم) (تاريخ ابن غنام 266/2)

و يعنى الشيخ بمعرفة الجاهلية و يؤكد على أهنية معرفتها فقول مخاطبا أحد مراسيله :
(قولك : اعلم يا أخي لا علمت مكروها ، فاعلم أن هذه الكلمة تضاد التوحيد و ذلك أن التوحيد لا يعرفه إلا من عرف الجاهلية و الجاهلية هي المكروه فمن لم يعلم المكروه لم يعلم الحق فمعنى هذه الكلمة : اعلم لا علمت خيرا و من لم يعلم المكروه لين لم يعلم المحبوب و بالجملة فهي كلمة عامية و لا ينبغي لأهل العلم أن يقندوا بالجهل) (تاريخ ابن غنام 73/2)⁸⁷

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين في قوله - رحمه الله - : " أفادك فائدتان : يحصل ذلك من وجهين : الوجه الأول : أن الله فتح عليك حتى عرفت المعنى الصحيح لهذه الكلمة العظيمة (لا إله إلا الله) هذا فضل العظيم من الله و رحمة و الفرح يمثل هذا مما أمر الله به و دليله ما ذكر المؤلف رحمه الله (قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) و فرح العبد بما أنعم الله عليه من العلم و العبادة من الأمور الحمودة كما جاء في الحديث : " للصائم فرحتان : فرح عند فطره و فرح عند لقاء ربه.⁸⁸

و قال - رحمه الله - : الأولى الفرح بفضل الله و رحمته كما قال الله تعالى (قل بفضل الله و رحمته فذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) و أفادك أيضا الخوف العظيم⁸⁹

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين في قوله (... الخوف العظيم) أي أن تقع في مثل ما وقع فيه هؤلاء من الجهل بمعناها و الخطر العظيم في ذلك

قال الشيخ صالح بن فوزان : الفائدة الأولى : أنك تفرح بفضل الله حيث من عليك بمعرفة الحق من الباطل فإنها نعمة عظيمة حرم منها الكثير من الخلق قال تعالى : (قل بفضل الله و رحمته و بذلك فليفرحوا هو

⁸⁷ تعليقات على كشف الشبهات ص: 32-33

⁸⁸ شرح كشف الشبهات ص: 34

⁸⁹ شرح كشف الشبهات ص: 34

خير مما يجمعون) و فضل الله هو الإسلام و رحمته هي القرآن (فاليفرحوا) فرح شكر و اعتراف بالنعمة و الفرح بفضل الله مشروع لأنه شكر الله تعالى على نعمة التوحيد و معرفة الشرك و هذه النعمة إذا وقعت لها فإنه قد جمع لك الخير كله و الفرح بالنعمة مشروع أما الفرح المنهي عنه فهو الفرح بالدنيا كما قال تعالى (وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ) (الرعد: من الآية 26) فالفرح بالدنيا و حطامها و الفرح بالباطل كما قال تعالى في أهل الباطل (كل حزب بما لديهم فرحون) مذموم أما الفرح بالدين و الفرح بالعلم النافع مشروع لأنه أمر به

و الفائدة الثانية : أنك إذا عرفت التوحيد الصحيح و عرفت الشرك القبيح فإن ذلك يفيدك الخوف أن تقع فيما وقع فيه كثير من الناس بالمخالفة لهذا الأصل و الوقوع في الشرك و أنت لا تدري فلا تأمن على نفسك من الفتنة فلا يغتر بعملك أو بفهمك و لكن قل لا حول و لا قوة إلا بالله و اسأل الله الثبات فإن إبراهيم الخليل الذي أعطاه الله من العلم و اليقين ما لم يعط غيره يقول : (وَاجْتَنِبِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ) (إبراهيم: 35-36) فأبراهيم لم يأمن على نفسه الفتنة مع علمه و يقينه و هو الذي كسر الأصنام بيده و ألقى في النار بسبب ذلك، و مع ذلك يخاف على نفسه من الفتنة فلا تغتر بعملك و تأمن على نفسك من الفتنة و لكن كن دائماً على الحضر من الفتنة بأن لا تنزل بك القدم و تغتر بشيء يكون سبباً لهلاكك و ضلالك فإن بعض المرورين اليوم يقول إن الناس تجوزوا مرحلة الجهل و البدائيه و صاروا مثقفين راعين لا يتصور أن يعودوا و الوثنية أو نحوها من هذا الكلام الفارغ و لم يفطن لعبادة الأصرحة التي تنشر في كثير من البلاد الإسلامية و لم ينظر فيما وصل إليه كثير من الناس من الجهل بالتوحيد.⁹⁰

قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ في قوله - رحمه الله - : (الأولى الفرح بفضل و برحمته) : إحداهما معرفتك دين المرسلين و اعتقاده و العمل به و معرفتك دين المشركين و محابته و الكفر به كون الله علمك دين المرسلين و ذلك سبيلهم و عرفك طريقهم. و تعظم النعمة إذا كانت مختصة بالقليل دون الكثير كما قال تعالى : (قل بفضل الله و برحمته فبذلك فإليفرحوا هو خير مما يجمعون) الفرح مذموم كما قال تعالى : (إن الله لا يحب الفرحين) (القصص : 76) ، لكن في الدين ممدوح و محبوب و واجب كما دلت عليه هذه الآية هو خير مما فرح الناس به و هو الدنيا لو اجتمعت لأحد مع أنها لا تجتمع لأحد، و لو اجتمعت فهي للزوال و الاضمحلال و ما كا لله مقصود به وجه الله فهو باق لا يزول. فأفاد أن الفرح بفضل الله و

⁹⁰ شرح كشف الشبهات ص: 51-53

برحمته واجب. و (أفادك أيضا الخوف العظيم) هذه هي فائدة الثانية يفيدك مع ما تقدم من الفرح العظم الخوف نفسك و دنك فتفرح بالدين و العمل به و تخاف على نفسك من زوال هذه النعمة و ذهاب هذا النور و هي معرفتك دين المرسلين و أتباعه و معرفتك دين المشركين و اجتنابه مع أن أكثر الناس في غاية الجهل به.⁹¹

قال الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف : فسر ابن عباس و قتادة و الحسن هذه الآية قالوا : فضل الله الإسلام و رحمته القرآن (تاريخ ابن غنام 73/2)

قال ابن القيم - رحمه الله - معلقا على هذا التفسير : فجعلوا رحمته أحص من فضله فإن فصله الخاص على أهل الإسلام و رحمته بتعليم كتابه لبعض دون بعض فجعلهم مسلمين بفضله و أنزل إليهم كتابه برحمته قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَ هُدًى وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) (يونس:57) و لا شيء أحق أن يفرح العبد من فضل الله و رحمته التي تضمن الموعدة و شفاء الصدور من أدوائها بالهدى و الرحمة.

فذلك خير من كل ما يجمع الناس من أعراض الدنيا و زينتها أي هذا هو الذي ينبغي أن يفرح به و من فرح به فقد فرح بأجل مفروح لا ما يجمع أهل الدنيا منها فإنه ليس بموضع الفرح لأنه عرص للآفات و وشيك الزوال و وخم العاقبة" (مدارج السالكين 156/3 ، 157 باختصار و انظر 106/3 ، 266 ، 274 و انظر الفتاوى لابن تيمية 49/16)⁹²

قوله - رحمه الله - : (فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه و قد يقولها و هو جاهل فلا يعذر بالجهل)

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين : تعليقنا على هذه الجملة من كلام المؤلف - رحمه الله - :

⁹¹ شرح كشف الشبهات ص: 40-41

⁹² في ضمن تعليقات كشف الشبهات ص: 33-34

أولا : لا أظن الشيخ لا يرى العذر بالجهل اللهم إلا أن يكون منه تفريط بترك التعلم مثل أن يسمع بالحق فلا يلتفت إليه و لا يتعلم فهذا لا يعذر بالجهل و إنما لا أظن ذلك من لأن له كلاماً آخر يدل على يعذر بالجهل فقد سئل - رحمه الله تعالى - عما يقاتل عليه ؟ و عما يكفر الرجل به ؟ فأجاب :

أركان الإسلام الخمسة أولها الشهادتان ، ثم الأركان الأربعة فالأربعة إذا أقر بها و تركها تهأونا فنحن إن قاتلناه على فعلها فلا نكفر بتركها و العلماء اختلفوا في كفر التارك لها كسلا من غير حجود و لا نكفر إلا أجمع عليه العلماء كلهم و هو : الشهادتان و أيضا : نكفره بعد التعريف إذا عرف و أنكرو فنقول : أعداؤنا معنا على أنواع.

النوع الأول : من عرف أن التوحيد دين الله و رسوله الذي أطهرنا للناس و أقر أيضا أن هذه الإعتقادات في الحجر و الشجر و البشر الذي هو دين غالب الناس : أنه الشرك بالله الذي بعث الله رسوله صلى الله عليه و سلم ينهى عنه و يقاتل أهله ليكون الدين كله لله و مع ذلك لم يلتفت إلى التوحيد و لا تعلمه و لا دخل فيه و لا ترك الشرك فهو كافر نقاتله بكفره لأنه عرف دين الرسول و لا من دخل فيه يمدح الشرك و لا يزينه للناس.

النوع الثاني : من عرف ذلك و لكن تبين في سب دين الرسول مع ادعائه أنه عامل به و تبين مدح من عبد يوسف و الأشقر و عبد أبا علي و الخضر من أهل الكويت و فضلهم على من وحد الله و ترك الشرك فهذا أعظم من الأول و فيه قوله تعالى (أَفَلَمْآ جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ) (البقرة: من الآية 89) و هو ممن قال الله فيه (وَإِنْ نَكُثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ) (التوبة: 12)

النوع الثالث : من عرف التوحيد و أحبه و اتبعه و عرف الشرك و تركه و لكن يكره من دخل في التوحيد و يجب من بقي على الشرك فهذا أيضا كافر فيه قوله تعالى : (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ) (محمد: 9)

النوع الرابع : من سلم من هذا كله و لكن أهل بلده يصرحون بعدواة أهل التوحيد و اتباع أهل الشرك و ساعين في قتالهم و يتعذر بأن ترك وطنه يشق عليه فيقاتل أهل التوحيد مع أهل بلده و يجاهد بماله و نفسه

فهذا أيضا كافر فيهم لو يأمرونه بترك صوم رمضان و لا يمكنه الصيام إلا بفراقهم فعل و موافقتهم على الجهاد معهم بنفسه و ماله و لو أنهم يأمرونه بتزويج امرأة أبيه و لا يمكن ذلك إلا بفراقهم فعل مع إهم يريدون بذلك قطع دين الله و رسوله أكبر من ذلك بكثير كثيرا فهذا أيضا كافر و هو ممن قال الله فيه (سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ) إلى قوله : (سُلْطَانًا مُبِينًا) (النساء: من الآية 91) فهذا الذي نقول.

و أما الكذب و البهتان فمثل قولهم إنا نكفر بالعموم و نوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه و إنا نكفر من لم يكفر و من لم يقاتل و مثل هذا أضعاف أصعافه فكل هذا من الكذب و البهتان الذي يصدون به الناس عن دين الله و رسوله.

و إذا كنا : لا نكفر من عبد الصنام الذي على قبر عبد القادر و الصنم الذي على قبر أحمد البدوي و أمثالهما لأجل جهلهم و عدم من ينيهم فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا أو لم يكفر و يقاتل ؟ (سبحانك هذا بهتان عظيم) (النور : 16)

بل نكفر تلك الأنواع الأربعة لأجل محادتهم بالله و رسوله فرحم الله امرأه أ نظر نفسه و عرف أنه ملاق الله الذي عنده الجنة و النار و صلى الله على محمد و آله و صحبه و سلم.

*تتمة :

الإختلاف في مسألة العذر بالجهل كغيره من الإختلافات الفقهية الإجتهدية و رعا يكون إختلافا لفظيا في بعض الأحيان من أجل تطبيق الحكم على شخص المعين أي أن الجميع متفقون على أن هذا القول كفر، أو هذا الفعل كفر أو هذا الترك كفر و لكن هل يصد الحكم على هذا الشخص المعين لقيام المقتضى في حقه و انتفاء المانع أو لا ينطبق لفوات بعض المقتضيات أو وجود بعض الموانع و ذلك أن الجهل بالمكفر على نوعين :

الأول : أن يكون من شخص يدين بغير الإسلام أو لا يدين بشيء و لم يكن يخطر بباله أن ديننا يخالف ما هو عليه فهذا تجري عليه أحكام الظاهر في الدنيا و أما في الآخرة فأمره إلى الله - تعالى - و القول الراجح أنه يمتحن في الآخرة بما يشاء الله - تعالى - و الله أعلم بما كانوا عاملين لكننا نعلم أنه لن يدخل النار الأبدن بقوله - تعالى - (و لا يظلم ربك أحدا) (الكهف : 49)

و إنما قلنا يجرى عليه الأحكام الطاهرة في النيا و هي أحكام الكفر لأنه لا يدين بالإسلام فلا يمكن أن يعطى حكمه و إنما قلنا بأن الراجح أنه يمتحن في الآخرة لأنه جاء في ذلك أثر كثيرة ذكرها ابن القيم - رحمه الله - في كتابه " طريق المحرتين " عند كلامه على المذهب الثامن في أطفال المشركين تحت الكلام على الطبقة الرابعة عشرة

النوع الثاني : إن يكون من شخص يدين بإسلام و لكنه عاش على هذا المكفر و لا يخطر بباله أنه مخالف للإسلام و لا نبه أحد على ذلك فهذا يجرى عليه أحكام الإسلام ظاهرا أما في الآخرة فأمره إلى الله عز و جل و قد دل الكتاب و السنة و أقوال أهل العلم قوله تعالى : (و ما كنا معذيين حتى نبعث رسولا) (الإسراء : 15) و قوله : (و ما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا و ما كنا مهلكي القرى إلا و أهلها ظالمون) (القصص : 59) و قوله (رسلا مبشرين و منذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) (النساء : 165) و قوله (و ما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومهم ليبين لهم فيضيل الله من يشاء و يهدي من يشاء) (ابراهيم : من الآية 4) و قوله تعالى (و ما كان الله ليضلل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) (التوبة : من الآية 115) و قوله تعالى (و هذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه و اتقوا لعلكم ترحموا أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا و إن كنا عن دراستهم لعافلين أو تقولوا لو أننا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم و هدى و رحمة) (الأنعام : 155-157) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الحجة لا تقوم إلا بعد العلم و البيان .

و أما السنة ففي صحيح المسلم 134/1 عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : (و الذي نفسي محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة - يعني أمة الدعوة - يهودى و لا نصرانى ثم يموت و لم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)

و أما كلام أهل العلم : فقال في المغنى 131/8 (فإن كان ممن لا يعرف الوجوب كحديث الإسلام و الناشيء بغير دار الإسلام أو بادية بعيدة عن الأمصار و أهل العلم لم يحكم بكفره) و قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى 229/3 مجموع ابن قاسم : (إني دائما و جالسي يعلم ذلك مني - من أعظم الناس نهما عن أن ينسب معين إلى التكفير و تفسيق و معصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالة التي من خالفها كان كافرا تارة و فاسقا أخرى ، و عاصيا أخرى و أني أقرر أن الله - تعالى - قد غفر لهذه الأمة خطأها و ذلك يعم الخطأ في المسائل الخيرية القولية و المسائل العملية و ما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل و لم يشهد أحد منهم على أحد لا يكفر و لا يفسق و لا بمعصية - إلى أقال - و كنت أبين

أن ما نقول عن السلف و الأئمة من الاطلاق القول بتكفير من يقول كذا و كذا فهو أيضا حق لكن يجب تفريق بين الاطلا و التعين - إلى أن قال : و التكفير هو من الوعيد فإنه و أن كان القول تكذيبا لما قاله الرسول صلدى الله عليه و سلم لكن الرجل قد يكون حديث عهدى الإسلام أنشأ ببادية بعيدة و مثل هذا لا يكفر بمجرد ما يجحد حتى تقو عليه الحجة و قد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص أو سمها و لم يثبت عنده أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها و إن كان مخطئا) أ.هـ

و قال شيخ الإسلام بن عبد الوهاب في 56/1 من درر السنة : (و أما التكفير فأنا أكفر من عرف دين الرسول ثم بعد ما عرفه سبه و نهي الناس عنه و عادى من فعله فهذا الذي أكفره) في ص: 66 (و الكذب و البهتان فقولهم إنا نكفر بالعموم و توجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه فكل هذا من الكذب و البهتان الذي يصدون به الناس عن دين الله و رسوله و إذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبر عبد القادر و الصنم الذي على قبر أحمد البدوى و أمثالها لأجل جهلهم و عدم من ينيهم فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا أو لم يكفر و يقاتل) ا.هـ

و إذا مان مقتضى نصوص الكتاب و السنة و كلام أهل العلم فهو مقتضى حكمة الله - تعالى - و لطفه و رافته فلن يعذب أحدا حتى يعذر إليه و العقول الاستقل بمعرفة ما يجب لله - تعالى - من الحقوق و لو كانت تستقل بذلك لم تتوقف الحجة على إرسال الرسل .

فالأصل فيمن ينتسب للإسلام بقاء إسلامه حتى يتحقق زوال ذلك عنه بمقتضى الدليل الشرعي و لا يجوز التساهل في تكفيره لأن في ذلك محذورين عظيمين :

أحدهما : اقتراء الكذب على الله - تعالى - في الحكم و على المحكوم عليه في الوصف الذي نزه به أما الأو فواضح حيث حكم بالكفر على من لم يكفره الله - تعالى - فهو كمن حرم ما أحل الله لأن الحكم بالتكفير أو عدمه إلى الله وحده كالحكم بالتحريم أو عدمه

و أما الثانى فلأنه وصف المسلم بوصف المضاد فقال : إنه كافر مع أنه برىء من ذلك و حري به أن يعود و وصف الكفر لما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : (إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما) و في رواية : (إن كان كما قال و إلا رجعت عليه) و

له من حديث أبي ذر - رضي الله عنه - أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (و من دعا رجلا بالكفر أو قال عدو الله و ليس كذلك إلا حار عليه) يعني رجع عليه و قوله في حديث ابن عمر (إن كان كما قال) يعني في حكم الله - تعالى - كذا قوله في حديث أبي ذر : (و ليس كذلك) يعني في حكم الله و هذا هو المحذور الثاني أعنى عود وصف الكفر عليه إن كان أخوه بريئا منه و هو محذور عظيم يوشك أن يقع به لأن الغالب أن من يسرع بوصف المسلم بالكفر كان معجبا بعمله محتقرا لغيره فيكون جامعا بين الإعجاب بعلمه الذي قد يؤدي إلى حبوطه و بين الكفر الموجب لعذاب الله - تعالى - في النار كما جاء في الحديث الذي أخرجه أحمد و أبو داود عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال الله عز و جل الكبرياء ردائي و العظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار) (أخرجه أحمد ج 2 ص 376 و أبو داود / كتاب اللباس / باب ما جاء في الكبر و ابن ماجه / كتاب الزهد / باب البراءة من الكبر)⁹³

فالواجب قبل الحكم بالتكفير أن ينظر في أمرين :

الأمر الأول : دلالة الكتاب و السنة على أن هذا مكفر لثلا يفترى على الله الكذب

الثاني : انطباق الحكم على الشخص المعين بحيث تتم شروط التكفير في حقه و تنتفي الموانع. و من أهم الشروط أن يكون عالما بمخالفته التي أوجبت كفره لقوله - تعالى - : (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) (النساء:115) فاشترط للعقوبة بالنار أن تكون المشاقه للرسول من بعد أن يتبين الهدى له.

و لكن هل يشترط أن يكون عالما بما يترتب على مخالفته من كفر أو غيره أو يكفي أن يكون عالما بالمخالفة و أن كان جاهلا بما يترتب عليها ؟

⁹³ صحيح ، انظر الصحيحة 2 / 79 و صحيح أبي داود 3 / 574

الجواب : الثاني : أي مجرد علمه بالمخالفة كاف في الحكم بما تقتضيه لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوجب الكفارة على المجامع في نهار رمضان لعلمه بالمخالفة مع جهله بالكفارة و لأن الزاني المحص العالم بتحريم الزنا يرحم و إن كان جاهلا بما يترتب على زناه و ربما و لو كان عالما ما زنا

و من الموانع من التكفير أن يكره على المكفر لقوله تعالى : (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (النحل:106)

و من الموانع أن يغلق عليه فكره و قصده بحيث لا يدري ما يقول لشدة فرح أو حزن أو غضب أو خوف و نحو ذلك، لقوله تعالى (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (الأحزاب: من الآية5) و في صحيح مسلم 2104 عن أنس بن مالك رضي الله عنه - أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : لله أسد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه و عليها طعامه و شرابه فأيس منها فأتى شجرة فاصطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا بها قائمة عنده فأخذ بجظامها ثم قيل من شدة الفرح : اللهم أنت عبيدي و أنا ربك أخطأ من شدة الفرح

و من الموانع أيضا أن يكون له شبهة تأويل بالكفر بحيث يظن أنه على حق لأن هذا لم يعتمد الإثم و المخالفة فيكون داخلا في قوله تعالى : (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (الأحزاب: من الآية5) قال في المغنى 131/8 : (و إن استحل قتل المعصومين و أخذ أموالهم بغير شبهة و لا تأويل فكذلك - يعنى يكون كافرا - و أن كان بتأويل كالخوارج فقد ذكرنا أن أكثر الفقهاء لم يحكموا بكفرهم مع استحلالهم دماء المسلمين و أموالهم و فعلهم ذلك متقربين به إلى الله تعالى) إلى أن قال : (و قد عرف من مذهب الخوارج تكفير كثير من الصحابة و من بعدهم و استحلال دماءهم و أموالهم و اعتقادهم التقرب بقتلهم إلى ربهم و مع هذا لم يحكم الفقهاء بكفرهم لتأويلهم و كذلك يخرج في كل محرم استحل بتأويل مثل هذا) و في فتاوى يشخ الإسلام ابن تيمية 30/13 مجموع ابن القاسم : (و بدع الخوارج إنما هي من سوء فهمهم للقرآن لم يقصدون معارضته و في صحيح مسلم 2104 عن أنس بن مالك رضي الله عنه - أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : لله أسد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه و عليها طعامه و شرابه فأيس منها فأتى شجرة فاصطجع في ظلها قد أيس

من راحلته فبينما هو كذلك إذا بها قائمة عنده فأخذ بحطامها ثم قيل من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي و
أنا ربك أخطأ من شدة الفرح

و من الموانع أيضا أن يكون له شبهة تأويل بالكفر بحيث يظن أنه على حق لأن هذا لم يعتمد الإثم و المخالفة
فيكون داخلا في قوله تعالى : (وَكَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَ لَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ) (الأحزاب :
من الآية 5) قال في المغنى 131/8 : (و إن استحل قتل المعصومين و أخذ أموالهم بغير شبهة و لا تأويل
فكذلك - يعنى يكون كافرا - و أن كان بتأويل كالخوارج فقد ذكرنا أن أكثر الفقهاء لم يحكموا بكفرهم
مع استحلالهم دماء المسلمين و أموالهم و فعلهم ذلك متقربين به إلى الله تعالى) إلى أن قال : (و قد عرف
من مذهب الخوارج تكفير كثير من الصحابة و من بعدهم و استحلال دماءهم و أموالهم و اعتقادهم
التقرب بقتلهم إلى ربهم و مع هذا لم يحكم الفقهاء بكفرهم لتأويلهم و كذلك يخرج في كل محرم استحل
بتأويل مثل هذا) و في فتاوى يشخ الإسلام ابن تيمية 30/13 مجموع ابن القاسم : (و بدع الخوارج إنما
هي من سوء فهمهم للقرآن لم يقصدون معارضته مكن فهموه ما لم يدل عليه فظنوا أنه يوجب تكفير
أرباب الذنوب) و في ص : 210 منه (فإن الخوارج خالفوا السنة التي أمر القرآن باتباعها و كفروا المؤمنين
الذين أمر القرآن بموالاهم ... و صاروا يتبعون المتشابه من القرآن فيتأولونه على غير تأويله من غير معرفة
منهم بمعناه و لا رسوخ في العلم و لا اتباع للسنة و لا مراجعة لجماعة المسلمين الذين يفهمون القرآن) و
قال أيضا 518/28 من المجموع المذكور : (فإن الأئمة متفقون على ذم الخوارج و تضليلهم و إنما تنازعوا في
تكفيرهم على قولين مسهورين) لكنه ذكر في 217/7 (أنه لم يكن في الصحابة من يكفرهم لا على بن أبي
طالب و لا غيره بل حكموا فيهم بحكمهم في المسلمين الظالمين المعتدين كما ذكرت الآثار عنهم بذلك في
غير هذا الموضع) و في 282/3 قال : (و الخوارج المارقون الذين أمر النبي صلى الله عليه و سلم بقتلهم
قاتلهم أمير المؤمنين على بن أبي طالب أحد الخلفاء الراشدين و اتفق على قتلهم أئمة الدين من الصحابة و
التابعين و من بعدهم و لم يكفرهم على بن أبي طالب و سعد بن أبي وقاص و غيرهما من الصحابة بل
جعلهم من المسلمين مع قتلهم و لم تقتلهم على حتى سفكوا الدم الحرام و أغاروا على أموال المسلمين
فقاتلهم لدفع⁹⁴ ظلمهم و بغيهم لا لأنهم كفار و لهذا لم يسب حرمتهم و لم يغنم أموالهم و إذا كان هؤلاء
الذين ثبت ضلالهم بالنص و الإجماع لم يكفروا مع أمر الله و رسوله صلى الله عليه و سلم بقتلهم فكيف

⁹⁴فليس بالشدة من يبين أباطيل أهل الزيغ و كذلك الجرح على من يستحق

بالطوائف المختلفين الذين استبه عليهم الحق في مسائل غلط فيها من هو أعلم منهم فلا يحل لأحد من هذه الطوائف أن يكفر الآخرى و لا يستحل دمها و ماها و أن كانت فيها بدعة محققة فكيف إذا كانت المكفرة لها مبتدعة أيضا و قد تكون بدعة هؤلاء أغلط و الغالب أنهم جميعا جهال بحقائق ما يختلفون فيه) إلى أن قال : (و إذا المسلم متولا في القتال أو التكفير لم يكفر بذلك) إلى أن قال في ص: 288 : (و قد اختلف العلماء و خطاب الله و رسوله هل يقبت حكمه في حق العبيد قبل البلاغ على ثلاثة أقوال في مذهب أحمد و غيره و صحيح ما دل عليه القرآن في قوله - تعالى - : (و ما كنا معذيين حتى نبعث رسولا) و قوله (رسلا مبشرين و منذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) و في الصحيحين عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ : (ما أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين و منذرين) (البخاري و مسلم)

و الحاصل أن الجاهل معذور بما يقوله أو يفعله مما يكون كفرا كما يكون معذورا بما يقوله أو يفعله مما يكون فسقا و ذلك بالأدلة من الكتاب و السنة و الإعتبار و أقوال أهل العلم⁹⁵

قال الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف :

و قوله : (أفادك أيضا ... إلى قوله ... : أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه) و لذا عقد المؤلف - رحمه الله - بابا في كتاب التوحيد بعنوان : (باب الخوف من الشرك) ، فساق النصوص الدالة على الخوف من الشرك و وسائله و من ذلك الخليل عليه السلام : (واجنبي و بني أن نعبد الأصنام) (إبراهيم : 35) قال إبراهيم التيمي : (و من يأمن البلاء بعد إبراهيم)

و من مسائل ساقها المؤلف - رحمه الله - عند قوله تعالى : (و لقد أوحى إليك و إلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك) (الزمر : 65) فقال : (شدة الحاجة إلى التعليم التوحيد فإذا كان الأنبياء يحتاجون إلى ذلك و يحرصون عليه فكيف بغيرهم ففيها رد على الجهال الذين يعتقدون أنهم عرفوه فلا يحتاجون إلى تعلمه) (مؤلفات الشيخ 4/435)⁹⁶

⁹⁵ شرح كشف الشبهات ص: 35-46

⁹⁶ في ضمن تعليقات كشف الشبهات ص: 34

و قوله : (قد يقوها و هو جاهل فلا يعذر بالجهل)

قال الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف :

... و جواب آخر أن يقال : إن الشخص لا يعذر بالجهل إذا كان مفرطاً و مقصراً في التعلم فكل جهل يمكن للمكلف دفعه لا يكون حجة للجاهل

و أما من كان عاجزاً فلم يقصر أو يفرط فإنه يعذر بالجهل حتى تقوم عليه الحجة.⁹⁷

و قوله - رحمه الله - (و قد يقوها و هو يظن أنها تقربه إلى الله كما شظن المشركون خصوصاً إن ألهمك الله تعالى ما قص عن قوم موسى مع صلاحهم و علمهم أنهم أتوه قائلين : (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة) فحينئذ يعظم خوفك و حرصك على ما يخلصك من هذا و أمثاله)

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

حينما حذر الشيخ من أمرين أحدهما خوف الإنسان على نفسه من أن يظن ما ظن هؤلاء في معنى التوحيد أنه هو إفراد الله تعالى بالخلق و الرزق و التدبير بين - رحمه الله - أن الواجب على الإنسان أن يكون على الخوف دائماً ثم يذكر حال القوم الذين قالوا لموسى : (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الإسراء: 138) فبين لهم أن سؤالهم أن يجعل لهم آلهة من الجهل فهذا يؤدي إلى خوف الإنسان على نفسه من أن يتيه من الضلالات و الجهلات حيث يظن أن معنى (لا إله إلا الله) أي لا خالق و لا رازق و لا مدبر إلا الله - تعالى - و هذا الذي قال الشيخ - رحمه الله - و حذر منه وقع فيه عامة المتكلمين الذين تكلموا في التوحيد حيث قالوا معنى (لا إله إلا الله) أي لا مخترع و لا قادر على الإختراع إلا الله ففسروا هذه الكلمة العظيمة بتفسير باطل لم يفهمه أحد من المسلمين و لا غير المسلمين

حتى المشركون الذين بعث فيهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا يعرفون معنى هذه الكلمة أكثر مما يعرفها هؤلاء المتكلمين.⁹⁸

قال الشيخ صالح بن فوزان :

... فانظر كيف خفي عليهم هذا الأمر مما يدل على خطورة الجهل بالتوحيد و عدم معرفة حقيقة الشرك مما يسبب أن الإنسان قد يقول الكلمة التي تقتضى الكفر و الخروج من الدين و هو لا يدري و لا يخلصك من هذا و أمثاله إلا العلم النافع الذي به تعرف التوحيد من الشرك و تحذر به من القول أو الفعل اللذين يوقعاك في الشرك من حيث لا تدري و هذا يدل على بطلان قول من قال : أن من قال كلمة الكفر أو عمل الكفر لا يكفر حتى يعتقد بقلبه ما يقول و يفعل و من يقول : إن الجهل يعذر مطلقا و لو كان بإمكانه أن يسأل و يتعلم و هي مقالة ظهرت ممن ينتسبون إلى العلم و الحديث.⁹⁹

قوله - رحمه الله - : (و اعلم أنه سبحانه من حكمته لم يبعث نبيا بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء كما قال الله تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا) (الأنعام: من الآية 112)

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

نبه المؤلف في هذه الجملة على فائدة عظيمة حيث بين أن من حكمة الله - عز و جل أنه لم يبعث نبيا إلا جعل له أعداء من الإنس و الجن و ذلك أن و حود العدو بمحص الحق و يبينه فإنه كلما و حد المعارض قويت حجة الآخر و هذا الذي جعله الله للأنبياء جعله أيضا لأتباعهم فكل أتباع الأنبياء يحصل لهم مثل ما يحصل للأنبياء قال الله تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا) (الأنعام: من الآية 112) و قال : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ

⁹⁸ شرح كشف الشبهات ص: 46-47

⁹⁹ شرح كشف الشبهات ص: 54-55

وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا) (الفرقان:31) فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمِينَ يَعْتَدُونَ عَلَى الرُّسُلِ وَاتَّبَاعِهِمْ وَعَلَى مَا جَاءَ بِهِ بِأَمْرَيْنِ : الأول : التشكيك و الثاني : العدوان

أما التشكيك فقال الله - تعالى - : (و كفى بربك هاديا) لمن أراد أن يضلّه أعداء الأنبياء. فالله يهدى الرسل و أتباعهم و ينصرهم على أعدائهم و لو كانوا من أقوى الأعداء. فعلينا أن لا نياس لكثرة الأعداء وقوه من يقاوم الحق فإن الحق كما قال ابن القيم

الحق منصور و وممتحن فلا تعجب فهدي سنة الرحمن فلا يجوز لنا أن نياس بل علينا أن نطيل النفس و أن نتظر و ستكون العاقبة للمتقين. فالأمل الدافع قوي للمضى في الدعوة و السعى في انجاحها كما أن اليأس سبب للفشل و التأخير في الدعوة

قال الشيخ صالح بن فوزان في قوله - رحمه الله - (و اعلم أن الله - تعالى - بحكمته لم يبعث نبيا بهذا التوحيد ... إلى ... و قد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة و كتب و حجج كما قال تعالى : (فَلَمَّا جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ) (غافر: من الآية83) حكمة الله في هذا تلخص في أمرين :

الأمر الأول : أنه ما بعث نبيا من أنبيائه إلا جعل له أعداء من المشركين كما في الآية التي ذكرها المؤلف و كما في الآية : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا) (الفرقان:31) و لله في ذلك الحكمة من أن يتبين الصادق من الكاذب و يتبين المطيع من العاصي. إذا بعث الأنبياء يدعون إلى الهدى صار هناك دعاة للضلال من أجل أن يمتحن الناس أيهم يتبع الأنبياء و أيهم يتبع دعاة الضلال و لو لا ذلك لكان الناس كلهم يتبعون الأنبياء و لو في الظاهر و لا يتميز الصادق في اتباعه من المنافق لأن الأنبياء يتبعهم المؤمن الصادق و يتبعهم المنافق الكاذب و الذي يميز هذا من هذا هو الإبتلاء و الإمتحان فالشذائد هي الذي تبين الصادقين من المنافقين فالله جعل أعداء للأنبياء لحكمة من أجل الإبتلاء و الإمتحان (لِيَمَيِّزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ) (الأنفال: من الآية37) هذه هي الحكمة بأن الله جعل لكل نبي عدوا شياطين الإنس و الجن و الشيطان هو المراد العاصي فكل من تمرد عن طاعة الله فإنه الشيطان سواء كان من الجن أو من الإنس حتى الدواب المتمردة تسمى شيطانا و هو من شاط الشيء إذا

اشتد أو من شطن إذا ابتعد فالشيطان¹⁰⁰ يكون من عالم الجن و يكون من عالم الإنس و قوله تعالى (يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ) (الأنعام: من الآية 112) الزخرف في الأصل الذهب و زخرف القول هو القول المموه المزور لأجل أن يغر الناس. فالقول هو الباطل المغلف بشيء من الحق و هذا من أعظم الفتنة لأن الباطل لو كان مكشوفاً ما قبله أحد لكن إذا غطي بشيء من الحق فإنه يقبله كثير من الناس و يندعون بهذه الزخرفة فهو باطل في صورة الحق (و لو شاء ربك ما فعلوه) الله قادر على منعهم من ذلك لكنه شاء إن يفعلوه من أجل الإبتلاء و الإمتحان و إذا كان مع الأنبياء فكيف بغيرهم من الدعاة إلى الله و علماء التوحيد. فأتباع الأنبياء أيضا يكون لهم أعداء من دعاة الباطل في زمان و في كل مكان هذا امستمر في الخلق وجود دعاة الحق و إلى جانبهم دعاة الباطل في زمان و مكان.

الأمر الثاني : هو العجيب أن دعاة الباطل يكون عندهم علوم و عندهم كتب و عندهم حجج يجادلون بها أهل الحق كما قال تعالى : فلما جائتهم رسالهم (غافر : 83) يعنى الكفار (بالبينات) الحقائق البينة و العلم النافع (فرحوا بما عندهم من العلم) الذي توارثهم عن أجدادهم و آبائهم و الذي هو عبارة عن كتبهم و عن حججهم التي توارثها و هذا وقع الآن فكم في الساحة من كتب أهل الباطل ككتب الجهمية و كتب المعتزلة و كتب الأشاعرة و كتب الشيعة كم في الساحة من كتب هؤلاء ؟ و عندهم حجج مركبة مريفة تغر الإنسان الذي ليس عنده ثمك من العلم فعلم الكلام و علم المنطق اعتمدوه و جعلوه هو العلم الصحيح الذي يفيد اليقين.¹⁰¹

قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ في قوله - رحمه الله - (يعظم خوفك و حرصك على يخلصك من هذا و أمثاله) : و من أسباب الخلوص من هذا الدعاء و العضال التفتسيس عن مبادئه و وسائله و ذرائعه خشية أن تقع فيه و أنت لا تشعر و كان حديفة ابن اليمن رضي الله عنه - يقول (كان أصحاب رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم يسألونه عن الخير و كنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني) (البخاري في علامة النبوة و أبو داود في الفتن) و من أسباب تخلص من هذا الشرك الإبتهال إلى الله و سؤله التثبيت و كثيرا ما كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم يدعو بهذا الدعاء : (اللهم يا مقلب القلوب و الأبصار ثبت قلبي على

¹⁰⁰ و الثاني أكثر (تاريخ العروش 253/9)

¹⁰¹ شرح كشف الشبهات ص: 55-58

دينك) (الترمذي) كما ابتهل الخليل عليه السلام إلى الله : (رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ) (ابراهيم:35-36) و في الحديث (من أمن الله عن دينه طرفة عين سلبه إياه).

و قوله : (إلا جعل له أعداء) إلا قيصر له أعداء قصدهم الإغواء و الصدق عن دين الله، هذا الصراط المستقيم و هذه حكمة بالغة إبتلاء الأحياء بالأشرار ليكمل لأخيار مراتب الجهاد و إلا لو شاء لما جعل للأشرار من السلطة (ذلك و لو يشاء الله لانتصر منهم و لكن لئبلوا بعضكم ببعض) سنة البالغة أن يسلط الأشرار على الأخيار سلط الأشرار على الرسل فما دونهم و ليس هوانا بالأنبياء عليهم السلام و أتباعهم و لكن ليقوم الأخيار بالجهاد فيعظم الدرجة و يعظم الأجر و ينالوا المراتب العلية لأن الجنة غالية لا تنال إلا بالصبر على المصائب و المشاق. و اعلم أن أتباعهم كذلك من صدق الله في أتباعه للرسل كانوا أعظم أعدائه كما قال تعالى : (و كذلك جعلنا لكل نبي عدوا) يشمل جميع الأنبياء ثم بين العدو فقال (شياطين الإنس و الجن) يعنى من هؤلاء و هؤلاء و شياطين هم الذين فيهم تمرد و علو قال بعضهم أنه بدأ بشياطين الإنس لأهم أعظم في هذا المقام من شياطين الجن لأن شياطين الإنس يأتي في صورة ناصح محب لين الجانب و اللسان ثم بين الذي به يصدفون على الحق فقال : (يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) فتبين لك أن تعرف القول بالعبارة له تأثير و أن الحق قد يعرض له من يجعله في صورة الباطل كما قال الشاعر :

في زخرف القول تحسين لباطله و الحق قد يعتريه سوء تعبير
تقول هذا مجاج النحل تمدحه و أن شئت قلت هذا فيء الزنابير
مدحا و دما و ما جاوزت و صفها و الحق قد يعتريه سوء تعبير

قال ابن القيم - رحمه الله - و الزخرف الكلام المزين كما يزين الشيء بالزخرف و هو الذهب و هو الغرور لأنه يغر السامع و الشبهات المعارضة للوحي هي كلام زخرف يغر السامع (و لتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) فانظر إلى إصنعاء المستجيبين لهؤلاء و رضاهم بذلك و اقترافهم المترتب عليه (الصواعق ص: 1041)

(و لو شاء ربك ما فعلوه) و لكنه جعلهم ابتلاء و امتحانا ليتبين المجاهد من القاعد و الصابر من غير الصابر و المجد من المخلد (فذرهم و ما يفترون) (الأنعام : 112) و هذا وعيد شديد و تهديد و تغليظ (و قد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة) لغوية (و كتب) يرجعون إليها (و حجج) لكنها عند التحقيق مثل السراب عند المناظرة تبين أنها لا شيء (كَسْرَابٍ بَقِيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا) (النور: من الآية39) عند الحاجة إليها و من تلك حجج ما تقدم و منها ما يأتي الجواب عنه. و العلم هو المورث عن الأنبياء عليهم الصلاة و السلام . أما علمهم إما منامة – أحلام – ترهات باطلة لا أصل لها و منها شيء صحيح في نفسه لكن لا يفهمونه و هو في الحقيقة لا يدل على باطلهم بل هو رد عليهم و الدليل أن عندهم علوم كثيرة و كتب و حججا قوله تعالى : (فَلَمَّا جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) (غافر:83)¹⁰²

قال الشيخ عبد العزيز بن علي آل عبد اللطيف :

و لشيخ الإسلام ابن كلام حسن في بيان معنى قوله تعالى (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا) (الأنعام:112) الآية حيث قال : (فأخبر أن جميع الأنبياء لهم أعداء و هم شياطين الإنس و الجن يوحى بعضهم إلى بعض القول المزخرف و هو المزين المحسن يغرون به و الغرور التلبيس و التمويه و هذا شأن كل كلام و كل عمال يخالف ما جاءت به الرسل ...) (مجموع الفتاوى 56/18)

و يقول في موضع آخر - : (و من أعظام أسباب ظهور الإيمان و الدين و بيان حقيقه أنباء المرسلين ظهور المعارضين لهم من أهل الإفك المبين كما قال تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا) (الأنعام: من الآية112) و ذلك أن الحق إذا جحد و عورض بالشبهات عما يظهره من أدلة الحق و براهينه الواضحة و فساد ما عارضها من الحجج الداحضة. فالقرآن لما كذب المشركون و اجتهدوا على إبطاله بكل طريق كان ذلك مما دل ذوي الألباب على عجزهم عن المعارضة مع شدة الإجتهد و قوة الأسباب و لو اتبعوه من غير معارضة لم يظهر عجزهم عن معارضته التي بها يتم الدليل و كذا سائر أعداء الأنبياء من المجرمين شياطين الإنس و الجن الذين يوحى بعضهم إلى

بعضهم زحرف القول غرورا إذا أظهروا من حججهم ما يحتجون به على دينهم المخالف لدين الرسل كان ذلك من أسباب ظهور الإيمان الذي وعد الله تعالى بظهور على الدين كله بالبيان والحجة والبرهان ثم بالسيف والسنان) (الحواب الصحيح 1/ 13-15 باختصار)¹⁰³

قوله - رحمه الله - (إذا عرفت أن الطريق إلى الله لا بد له من أعداء قاعدين عليه أهل فصاحة و علم و حجج فالواجب عليك أن تتعلم من دين الله ما يصير لك سلاحا تقاتل به هؤلاء الذين قال إمامهم لربك - عز و جل - (قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَأَنبِتَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) (الأعراف: 16-17)

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

إذا عرفت هذا أي أن هؤلاء الأعداء كتبوا و علوموا و حججا يلبسون بما فعليك أن تستعد لهم و الإستعداد لهم يكون أمرين :

أحدهما : ما أشار إليه المؤلف - رحمه الله - بأن ا يكون لديك من الحجج الشرعية العقلية ما تدفع به حجج هؤلاء و باطلهم.

الثاني : أن تعرف ما عندهم من الباطل حتى ترد عليهم به و لهذا قال شيخ الإسلام - رحمه الله - في كتابه درء التعارض النقل و العقل : (إنه ما من إنسان يأتي بحجة يحتج بها على الباطل إلا كانت حجة عليه و ليست حجة له)

و هذا الأمر كما قال - رحمه الله - فإن الحجة الصحيحة إذا احتج بها المبطل على باطله فإنها تكون حجة عليه و ليست حجة له فعلى من أراد أن يجادل هؤلاء يتأكد يلاحظ هذين الأمرين :
الأول : أن يفهم ما عندهم من العلم حتى يرد عليهم به

¹⁰³ تعليقات على كشف الشبهات ص: 37-38

الثاني : أن يفهم الحجج الشرعية و العقلية التي يرد بها على هؤلاء.¹⁰⁴

قال الشيخ صالح بن فوزان :

أما أدلة القرآن و السنة فهي حجج ظنية بزعمهم لا تفيد اليقين و هذا من تمام الفتنة و التزييف على الناس. لأن الواقع الصحيح هو العكس و هو أن أدلة القرآن تفيد اليقين و أدلة المنطق و الجدل تفيد الشك و الحيرة و الاضطراب كما بذلك كبرائهم عند الموت أو عند توبتهم و رجوعهم عن علم الكلام إن كان هؤلاء عندهم فصاحة و عندهم حجج و عندهم كتب فلا يليق بك أن تقابلهم و أنت أعزل بل يجب عليك أن تتعلم من كتاب الله و سنة رسول الله - صَلَّى الله عليه و سلم ما تبطل به حجج هؤلاء الذين قالوا إبليس أمهم و مقدمهم لربك عز وجل (لأقعدن لهم) أي لبني آدم (صراطك المستقيم) أي الطريق الموصل إليك (ثم لأتينهم من بين أيديهم و من خلفهم و عن أيمنهم و عن شمائلهم و لا تجد أكثرهم شاكرين) تعهد الخبيث أنه سحاول إصلال بني آدم و كذلك اتباعه من شياطين الإنس من أصحاب الكتب الضالة و الأفكار المنحرفة يقومون بعمل إبليس في ضلال الناس.¹⁰⁵

قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ :

فإذا الطريق الذي هي صفته مقعود عليه و مرصود عليه بأنواع الصدوف و أنواع القيود و أنواع السلاح و أنواع الحجج و البيئات و أنواع الكيد و المكر و الخداع فكيف يأمن الإنسان و لا يخاف؟! و مما تقدم تعرف العبد عن صفة التعب و الهوينا بل الأمر جد كل الجد. فمعلوم أن المقيض له أعداء لا يكون عفة عنهم و ليس مقصدهم سف الدم فقط لا بل الدين. و كم أهلك في الطريق الذي شياطين الإنس و الجن مراصدين مع جعل لهم من السلطة على القلب و نحو ذلك يحسبون أنه آمن و لا خافوا من مخافه و لا علموا من الشرع طرقه و مخاوفه.¹⁰⁶

قال الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف :

¹⁰⁴ شرح كشف الشبهات ص: 49

¹⁰⁵ شرح كشف الشبهات ص: 57-58

¹⁰⁶ شرح كشف الشبهات ص: 45-47

فمما يزيد هذه العبارة وضوحا ما سطر الشيخ المصنف - رحمه الله - في بيان معنى قوله تعالى (لأقعدن لهم صراطك المستقيم) اثناء تقريره للفوائد المستبطة من قصة آدم مع إبليس فقال : (و منها و هي من أعظمها و عرفة الطرق التي يأتينا منها عدو الله كما ذكر الله عنه في القصة أنه قال : (لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم و من خلفهم و عن أيمنهم و عن شمائلهم) و انما تعرف عظم هذه الفائدة بمعرفة من معاني هذا الكلام.

قال جمهور المفسرين : انتصب صراط بحذف (على) و التقدير لأقعدن لهم على صراطك قال ابن القيم : و الظاهر أن الفعل مصمر فإن القاعد على الشرك ملازم له فكأنه قال : لازمته و لأرصدنه و نحو ذلك قال ابن عباس : دينك الواضح (من بين أيديهم) يعنى الدنيا و الآخرة (و من خلفهم) يعنى الآخرة و الدنيا (و عن أيمنهم) أشبه عليهم أمر دنيهم و عنه أيضا من قبل الحسنات وقوله (و عن شمائلهم) الباطل أرغبه فيه قال الحسن : السيئات يحثهم عليها و زينها في أعينهم.

قال قتادة : (أتاك الشيطان يا ابن آدم من كل وجه إلا أنه لم يأتك من فوقك و لم يستطيع أن يحول بينك و بين رحمة الله و هو يوافق قول من ذكر هذه الأوجه للمبالغة في التوكيد أي انصرف لهم في الاضلال من جميع جهاتهم ...) (مؤلفات الشيخ 87/4، 88)¹⁰⁷

وقوله - رحمه الله - : (و لكن إذا أقبلت على الله و أصغيت إلى حججه و بيناته فلا تخف و لا إن كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) (النساء: من الآية 76)

قال الشيخ ابن العثيمين :

يريد المؤلف - رحمه الله - أن يشجع من أقبل على الله - تعالى - و عرف الحق بأن لا يخاف من حجج أهل الباطل لأنها حجة واهية و هي من كيد الشيطان و قد قال الله تعالى (إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا)(النساء: من الآية76)

و في ذلك يقول القائل :

حجج تهافت كالرجاج تحاها حقا و كل كاسر و مكسور¹⁰⁸

قال الشيخ صالح بن فوزان :

كما قال تعالى : (فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا) فهم مهما كان عندهم من القوة الكلامية و الجدل و البراعة في المنطق و الفصاحة إلا أنهم ليسوا على حق و أنت على حق ما دمت متمسكا بالكتاب و السنة و فهمت الكتاب و السنة فاطمئن فإنهم لن يضروك أبدا (إن كيد الشيطان كان ضعيفا) لكن هذا يحتاج إلى الرجوع إلى الكتاب و السنة فإنك بذلك لا تخاف مهما كان معهم من الحجج و الكتب لأنها سراب كما قال الشاعر :

حجج تهافت كالرجاج تحاها حقا و كل كاسر و مكسور (الفتاوى 28/4)

فالسراب يزول كذلك هذه الحجج إذا طلعت عليها شمس القرآن و بينات القرآن زال هذا الضباب الذي معهم و هذه سنة الله - تعالى - (بَلْ يَقْدِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ) (الانبياء:18)

(قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْدِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمُ الْغُيُوبِ) (سبأ:48) قدئف الحق تدمر الباطل مها كان.¹⁰⁹

¹⁰⁸ شرح كشيهاة ص: 50

¹⁰⁹ شرح كشيهاة ص: 58-59

قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ :

(و لكن إذا أقبلت على الله) بقلبك و قلبك و علم منك اللجأ إليه و التبرىء و التخلى من الحول و القوة إلا به و (أضعيت) كل الإصغاء (إلى حجج الله و بيناته) من الكتاب و السنة (فلا تخف و لا تحزن) من الأعداء القاعدين على الصراط المستقيم. فعندك ما يحضك من هذا فالخوف عليك عندما تعرض عن حجج الله و بيناته، الخوف و الحزن عليك من جهة نفسك أن لا تتقبل و لا تصغى و أما إن لجأت إليه فلا (إن كيد الشيطان كان ضعيفا) و إن كان قسمه و حظه من الألف تسعمائة و تسعين فليس كثرة جزبه من قوة كيده بل كيده ضعيف و لكن أكثر الخلق أطاعوه و تولّوه و مكنوه من أنفسهم فلما جعلوا له سلطانا كان له عليهم سلطان و إلا كل عباد الله ليس له عليهم سلطان و لو أنهم لم يجعلوا له عليهم سلطانا لما كان له عليهم سلطان فهم الذين أعطوه القيادة لأجل الشهوات و إيثار العاجل على الآجل أعطوه ذلك فصاروا إلى حيزه من جانب فصارت قوة نسبية كما قال تعالى : (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) (النحل: 99-100) فمن استولى عليه الشيطان في شيء فهو الذي ولاه على نفسه و إذا أطاعه في شيء انتظر منه شيئا آخر و هكذا حتى يوصله إلى الهلاك و العياذ بالله.¹¹⁰

قال الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف :

فالشيخ - رحمه الله - يقرر أن جهاد المبتدعة و الرد على الخصوم يحتاج إلى أمرين مهمين:
أحدهما : الإقبال على الله تعالى و التعلق به عز و جل و التوكل عليه
و الآخر : بذل الأسباب من التفقه و التعلم و اعداد العدة
و لعل هذا التقرير مستفاد من قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ (احرص على ما ينفع و استعن بالله و لا تعجز) (أخرجه مسلم كتاب القدر (2664)) فعلى المسلم أن يحرص على ما ينفعه من علم نافع أعمال صالح و أن يجتهد في تحصيله مع الصدق اللجأ إلى الله و الإستعانة به على نيلها فلا يتكل على حوله و قوته.

¹¹⁰ شرح كشف الشبهات ص: 47-48

قوله - رحمه الله - : (و العامى الموحد يغلب ألفا من علماء هؤلاء المشركين كما قال تعالى : (وَإِنَّ جُنُدَنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ) (الصفات:173)¹¹¹

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

قال الشيخ - رحمه الله - و العامى من الموحدين يغلب ألفا من علماء هؤلاء المشركين و استدل بقوله تعالى : (وَإِنَّ جُنُدَنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ) العامى الموحدين يعنى من الذين يقرون بالتوحيد بأنواعه الثلاثة يغلب ألفا علماء المشركين لأن علماء هؤلاء المشركين يوحدون الله - عز و جل - توحيدا ناقصا ليس هو توحيدا في الحقيقة بدليل أن النبي صلى الله عليه و سلم قاتل المشركين الذين يوحدون بهذا التوحيد و لم ينفعهم هذا التوحيد و لم تعصم به دماؤهم و أموالهم، و العامى من الموحدين يقر بأنواع التوحيد الثلاثة : توحيد الربوبية و الألوهية و الأسماء و الصفات فيكون خيرا من هؤلاء.

قال الشيخ صالح بن فوزان :

هذا من العجائب أن العامى غير المتعلم من الموحدين يغلب ألفا من علماء المشركين ذلك لأن العامى عنده الفطرة السليمة التي لم تتلوث بالشكوك و الاوهام و قواعد المنطق و علم الكلام. أما العالم المشرك فليس عنده فطرة سليمة و لا علم صحيح و صاحب الفطرة السليمة يغلب على الذي ليس عنده فطرة و لا علم لأن علمه جهل. إذا فالناس ثلاثة أقسام :

القسم الأول : من عنده علم صحيح و فطرة سليمة و هذا أعلى الطبقات و هذا هو الذي أقبل على ربه و أصغى إلى حججه و بيناته فصار عنده علم صحيح و فطرة سليمة.

القسم الثانى : من ليس عنده علم لكن عنده فطرة سليمة و هو العامى من الموحدين.

القسم الثالث : من ليس عنده فطرة سليمة و لا علم صحيح و إنما عنده سراب لا حقيقه له فهذا يهزم أمام العامى فكيف أمام العالم الذي علم صحيح و فطرة سليمة ؟ فهذا يدل على أن تعلم العلم النافع يكون سلاحاً للمؤمن أمام أعداء الله و رسوله.¹¹²

قال الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف :

و قوله (و العامى ... إلى من علماء المشركين) و مما ستأنس به في تفرير هذا المعنى ما قال الشيخ العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب : (و قد استدل بعض من يدعى العلم على مسألة تتصرف الأولياء و أنهم يدعون بقوله تعالى : (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) (آل عمران:169) قال بعض عوام الناس : (إن كانت القراءة يرزقون - بفتح الباء - فذلك متجه و إلا فالآية حجة عليك) (محفة الطالب و الجليس في كشف شبه داود بن جرجيس ص: 56 و انظر تأسيس تقديس للشيخ عبد الله أبي بطين ص: 85)¹¹³

قوله - رحمه الله - : (و جند الله هم الغالبون بالحجة و اللسان كما أنهم هم الغالبون بالسيف و السنان)

قال الشيخ ابن العثيمين :

أشار الشيخ - رحمه الله - إلى أن جند الله و هم عباده المؤمنين الذين ينصرون الله و رسوله يجاهدون الناس بأمرين :

الأول : الحجة و البيان و هذا بالنسبة للمنافقين الذين لا يظهرون عداوة المسلمين.

الثاني : من يجاهد بالسيف و السنان و هم المظهرون للعداوة و هم الكفار الخالص المعلنون بكفرهم و في هذا و قبله يقول تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَاِنَّهَا لَمَصِيرٌ)

¹¹² شرح كشف الشبهات ص: 59-60

¹¹³ تعليقات على كشف الشبهات ص: 40

(التوبة:73)

و الجهاد بالحجة و البيان يكون للكفار الخالص المعننين لكفرهم أولا ثم يجاهدون بالسيف و السنان ثانيا و لا يجاهدون بالسيف إلا بعد قيام الحجة عليهم.

و الواجب على الأمة الإسلامية أن تقاتل كل سلاح يصوب نحو الإسلام بما يناسبه فالذين يجاربون الإسلام بالأفكار و الأقوال يجب أن يبين بطلان ما هم عليه بالأدلة النظرية العقلية إضافة إلى الأدلة الشرعية. و الذين يجاربون الإسلام من الناحية الإقتصادية يجب أن يدافعوا بل أن يهاجموا إذا أمكن بالأسلحة يجب أن يقاوموا بما يناسب تلك الأسلحة.¹¹⁴

قال الشيخ صالح بن فوزان :

قال تعالى : (و إن جندنا لهم الغالبون) (الصفات : 173) أضاف الجند إليه تعالى و جند الله هم المؤمنون يقال لهم جند الله و يقال لهم حزب الله كما في قوله تعالى (أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (المجادلة: من الآية22)

و الجند جمع جندي و هو المقاتل و المدافع عن دين الله أضافهم إلى نفسه تشريفا لهم و جعل لهم الغلبة بالحجة و السلاح.

جند الله هم الغالبون بالحجة و اللسان يعنى بالعلم و المعرفة و مجادله أهل الباطل فما تقابل أهل حق و أهل باطل في خصومة إلا تغلب أهل الحق على أهل الباطل في الخصومات و المناطرات دائما و أبدا. فهم الغالبون بالحجة مع المبطلين كما أنهم الغالبون بالسيف و السنان في المعارك إذا تقابل الجندان المسلمون و الكفار فإنه ينصر المسلمون على الكفار إذا توفرت شروط النصر فيهم بأن أعدوا العدة و توكلوا على الله و اعتصموا بالله و أطاعوا الله و رسوله فإن حصل فيهم خلل لحقت بهم الهزيمة كما حصل للصحابة في وقعة أحد لما

¹¹⁴ شرح كشف الشبهات ص: 50

عصوا الرماة أمر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَ نزلوا من الجبل الذي قال لهم لا تتزلوا منه سواء انتصرونا أ
هزمتنا فلما خالفوا وَ نزلوا من الجبل حلت الهزيمة بالمؤمنين (أخرجہ البخارى في كتاب الجهاد و السير باب
ما يكره من التنازع و الاختلاف في الحرب و عقوبة من عصى أمامه ...)¹¹⁵

قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ :

(و إن جندنا لهم الغالبون) فهذه الآية أفادت حصر الغلبة في جند الله و هو يقتضى بعموم الغلب في جميع
النواحي و لا تظن أنه يرد عليه تسليط أهل الشر في زماننا فإنه بسبب إضاعته و الا دين رب العالمين محفوظ
مؤمن بحفظ من يقوم به و لا تظن أنه يرد عليه إدالة أهل الباطل بعض الأحيان فإنه تمحيص و رفعة و غرور
لأهل الباطل.¹¹⁶

و قوله - رحمه الله - : (و إنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق و ليس معه سلاح)

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

أي أن الخوف من أعداء الأنبياء إنما هو على الموحد الذي يسلك الطريق و ليس معه سلاح لأنه ليس علم
يستلح به فيخشى أن يجادله أحد من هؤلاء المشركين فتصعب فيهلك فلا بد أن يكون عند الإنسان علم يدفع
به الشبهات و يفحم به الخصم لأن المجادل يحتاج إلى أمرين : الأول : اثبات دليل قوله و الثاني : إبطال دليل
خصمه .

و لا سبيل إلى ذلك إلا بمعرفة ما هو عليه من الحق و ما عليه خصمه من الباطل ليتمكن من دحض
حجته.¹¹⁷

قال الشيخ صالح بن فوزان :

¹¹⁵ شرح كشف الشبهات ص: 60-61

¹¹⁶ شرح كشف الشبهات ص: 48-49

¹¹⁷ شرح كشف الشبهات ص: 52

هذا الواقع فالموحد الذي يسلك الطريق يواجه الكفار و يقول أنا أدعو إلى الله و ليس عنده علم لو يقف أمامه واحد من عوامهم و يلقي عليه شبهة ما استطاع الجواب فهذا مما يوجب على طلبة العلم و على الدعاة إلى الله خصوصا أن يتفقهوا في دين الله و أن يتعلموا حجج الله و براهينه و أن يطلعوا على ما عند الحصوص و يكونوا على معرفة به و النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ لما أرسل معاذا إلى اليمن قال له : (إنك تأتي قوما من أهل الكتاب) (رواه البخارى في صحيحه 125/2) من أجل أن يستعد لأن أمامه أهل كتاب و أهل علم و عندهم شبهات و عندهم تليس فلا بد أن يكون معاذ رضي الله عنه على استعداد من أجل أن يقوم الدعوة و يرد الباطل قم قال له : (فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله) فهذا مما يؤكد على الموحدين عموما و على طلبة العلم خصوصا و على الدعاة إلى الله بصفة أخص أن يتعلموا ما يدفَعوا به الباطل و ينصرون به الحق و إلا فإنهم سينهزمون أمام أي شبهة تعرض لهم و المشكلة إذا عجز الداعية إلى إن يجيب على شبه الملبس أمام الناس أو أجاب بجهل و هذا أشد و لا يتعارض هذا من قول الشيخ : (و العامي من الموحدين يغلب ألفا من علماء المشركين) لأن العامي الموحد و إن كان كذلك فعليه الخوف من شرهم و أخذ الخذر منهم يتعلم العلم النافع و قد اشتسكل بعض الإخوان هذه العبادة و هي قول الشيخ (و العامي من الموحدين يغلب ألفا من علماء المشركين) مع قوله (إنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق و ليس معه سلاح) و الجواب عن هذا الإشكال أن الشيخ - رحمه الله - يقصد أن العامي عنده فطرة سليمة يستنكر بها الباطل أما علماء الضلال فطرهم فاسدة و حججهم واهية فالعامي يغلبهم بالفطرة السليمة من حيث الجملة لا من حيث التفاصيل.

فالعامي الموحد أحسن حالا من علماء الكلام و المنطق فكتاب الله لا ترك شيئا نحتاج إليه من أمور ديننا إلا و بينه لنا لكن يحتاج منا إلى تفقه و تعلم و لو كان عندك سلاح و لكن لا تعرف تشغيله فإنه لا يدفع عنك العدو و كذلك القرآن لا ينفع إذا مهجورا و كان الإقبال على غيره من العلوم.¹¹⁸

قوله - رحمه الله - : (و قد منَّ اللهُ علينا بكتابه الذي جعله (تَبَيَّانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) (النحل: من الآية 89)

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

من الله علينا بكتاب العزيز (لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)
(فصلت: 42) و جعله تعالى تبياناً أي مبيناً لكل شيء يحتاجه الناس في معاشهم و معادهم ثم إن تبيان القرآن
للأشياء ينقسم إلى القسمين :

الأول : أن يبين الشيء بعينه مثل قوله تعالى (حرمت عليكم الميتة و الدم و لحم الخنزير) (المائدة : 3) و
قوله تعالى : (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ
وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّن الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ
نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ
وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ) (النساء: 23-24)

الثاني : أن يكون التبيان بالإشارة إلى موضع البيان مثل قوله تعالى : (و أنزل الله عليك الكتاب و الحكمة)
فأشار الله تعالى إلى الحكمة هي السنة فإنها تبين القرآن و كذلك قوله تعالى : (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ) (النحل: من الآية 43) و أيضا الأنبياء : 7)

فهذا يبين أننا نرجع في كل شيء إلى أهله الذين هم أهل الذكر به و لهذا يذكر أن بعض أهل العلم أتاه
رجل من النصارى يريد الطعن في القرآن الكريم و كان في مطعم فقال له هذا النصراني : أين بيان كيف
يصنع هذا الطعام ؟ فدعا الرجل صاحب المطعم و قال له : ضع لنا كيف تصنع الطعام ؟ فوضعه فقال :
هكذا جاء في القرآن . فتعجب النصراني و قال كيف ذلك ؟ فقال : إن الله - عز و جل - يقول :
(فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) فبين لنا مفتاح العلم بالأشياء بأن نسأل أهل الذكر بما أي أهل
العلم به و هذا من بيان القرآن بلا شك فالاحالة على من يحصل بهم العلم هي فتح للعلم.¹¹⁹

قوله - رحمه الله - : (قال بعض المفسرين هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم
القيامة و أنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله في كتابه جواباً لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا)

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين : قال المؤلف - رحمه الله - مستدلا على أن الرجل الموحد ستكون له حجة أبلغ و أبين من حجة غير الموحد مهما بلغ من الفصاحة و البيان كما قال تعالى : (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) (الفرقان:33) أي لا يأتيونك بمثل يجادلونك به و يلبسون الحق بالباطل إلا جئناك بالحق و أحسن تفسيراً و لهذا تجد في القرآن كثيراً ما يجيب الله تعالى عن أسئلة هؤلاء المشركين و غيرهم ليبين - عز و جل - للناس الحق و سيكون بينا لكل أحد.

ولكن هاهنا أمر يجب التفطن له و هو : أنه لا ينبغي للإنسان أن يدخل في مجادلة أحد إلا بعد أن يعرف حجته و يكون مستعداً لدرها و الجواب عنها لأنه إذا دخل في غير معرفة صارت العاقبة عليه إلا أن يشاء الله كما أن الإنسان لا يدخل في ميدان المعركة مع العدو إلا بسلاح و شجاعة ثم ذكر المؤلف - رحمه الله - أنه سيذكر في كتابه هذا كل حجة أتى بها المشركون ليحتجوا بها على شيخ الإسلام - رحمه الله - و يكشف هذه الشبهات لأنها في الحقيقة ليست حججاً لكنها تسيبه و تلبس.¹²⁰

قال الشيخ صالح بن فوزان :

هذه قاعدة معروفة لأن الله جل و علا يقول عن القرآن : (تبياناً لكل شيء) (النحل : 89) و يقول : (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) (الفرقان:33) فلا يوجد شبهة في الدنيا أو باطل في الدنيا يدلى به الكافر أو ملحد إلا في القرآن ما يرد عليه لكن لا يتبين هذا إلا بمعرفة القرآن و التفقه فيه و دراسته حق الدراسة حتى يعرف ما فيه من الكنوز و ما فيه من السلاح و ما فيه من الذخيرة التي تقاوم بها أعداءنا فنقبل على كتاب الله حفظاً و تفهماً و تلاوةً و تدبراً و عملاً حتى نكون مسلحين بهذا السلاح. أما مجرد وجود القرآن عندنا من غير أن نعتني به و ندرسه فلا يكفي و أهل الكتاب ضلوا و كفروا و عندهم التورة و الإنجيل لما تركوا تعلمهما و العمل بهما.

لكن لا بد من دراسة القرآن على ضوء السنة النبوية و تفسير السلف الصالح لا على ضوء دراسات المعاصرة المبنية على التخصص أو الجهل أو ما يسمونه بالأعجاز العلمي فليس هذا خاصاً بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ

سَلَّم و أهل زمانه مع القرآن بل هذا عام لكل أمتة إلى أن تقوم الساعة لكن يحتاج إلى عناية بالقرآن و دراسة للقرآن كما ينبغي لأن فيه بيان الحق و الرد على أهل الباطل.¹²¹

قال الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف : ... حيث ضرب للناس في هذا القرآن من كل مثل و المثل هو القياس فلا يأتي أهل الشرك بمثل أو سؤال أو اعتراض إلا و في القرآن يبطل ذلك (تفسير ابن جرير 11/ و مجموع الفتاوى لب ن تيمية 46/2 و شرح الطحاوية 38/1)

قال مسروق - رحمه الله - : ما أحد من أصحاب الأهواء إلا في القرآن ما يرد عليهم و لكنها لا تهتدى له (الهروى في ذم الكلام ص: 69)

قال الإمام الشعبي - رحمه الله - : ما ابتدع في الإسلام بدعة إلا و في كتاب الله ما يكذبه (الخلال في السنة 547/1 سنده صحيح)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (فالقرآن قد دل على جميع المعاني التي تنازع فيها دقيقتها و جليلها) (الدرء 56/5)¹²²

قوله - رحمه الله - : (فنقول : جواب أهل الباطل من طريقين : مجمل ز مفصل أما المجمل : فهو الأمر العظيم و الفائدة الكبيرة لمن عقلها و ذلك قوله تعالى : (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ) (آل عمران : من الآية 7)

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

بين المؤلف - رحمه الله - أنه سيجيب على هذه الشبهات بجوابين : أحدهما مجمل عام صالح لكل شبهة.

¹²¹ شرح كشف الشبهات ص: 63-64

¹²² تعليقات على كشف الشبهات ص: 41-42

الثاني : مفصل هكذا ينبغي لأهل العلم في باب المناظرة و المجادلة أن يأتوا بجواب مجمل حتى يشمل ما يحتمل أن يورده الملبسون المشبهون و يأتى بجواب مفصل لكل مسألة بعينها قال الله تعالى : (الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) (هود:1) فذكر في الجواب المجمل - رحمه الله - : أن هؤلاء الذين يتبعون المتشابه هم الذين في قلوبهم زيغ كما صح ذلك عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ في قوله تعالى : (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ...) (آل عمران: من الآية7) (كما في فتح الباري تفسير آل عمران 209/8 و مسلم كتاب العلم 2053 و سنن أبي داود كتاب السنة 198/4)

و لهذا تجد أهل الزيغ و العياذ بالله يأتون بالآيات المتشابهات ليلبسوا بها على باطلهم فيقولون مثلاً قال الله كذا و قال في موضع كذا فكيف يكون و هذا مثل ما حصل لنافع ابن الأزراق مع ابن عباس رضي الله عنهما في مناظرته التي ذكرها السيوطي في الاتقان و ربما يكون غيره ذكرها و هي مفيدة ننقلها لتعرف كيف لبس أهل الباطل الحق.¹²³

قال الشيخ صالح بن فوزان :

هذا هو الرد المجمل على الشبهات قال تعالى : (هو الذي أنزل عليك الكتاب) يعنى القرآن (منه آيات محكمات هن أم الكتاب) المحكم هو الذي لا يحتاج في بيانه إلى غيره.

فالقرآن منه أية على هذا الشكل (محكمات) يعنى بينات و اضحات في معانيها لا تحتاج إلى غيرها (هن أم الكتاب) أم الشيء هو الأصل يرجع إليه (و آخر متشابهات) المتشابه هو الذي يحتاج إلى غيره فيرد إلى المحكم و من المتشابه المحتمل لمعاني متعددة و يحتاج إلى غيره من بيان المراد منه و منه المطلق و منه المنسوخ. و قد ذكر تعالى موقف الناس من هذين القسمين المحكم و المتشابه فقال : (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه) يأخذون الآيات غير الواضحات أو الآيات المحتملة و يستدلون بها على ما يريدون مع أنها محتملة ليست نصاً فيما يقولون لكن يريدون التلبس على الناس و يقولون نحن استدللنا بالقرآن

¹²³ شرح كشف الشبهات ص: 55-56

من حديث عائشة رضي الله عنها

فيأخذون الآيات التي لا يتضح معناها بنفسها أو الآيات المحتملة لعدة معان فيستدلون بها على ما يريدون (ابتغاء الفتنة) أي التشكيك و الصلل أو (ابتغاء تأويله) التأويل يطلق على معينين كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في رسالته التدمورية (التدمورية ص: 809 و ما بعدها تحقيق الدكتور محمد بن عودة السعدي)

المعنى الأول : أن المراد به التفسير و هذا هو المعروف عند المتقدمين. و لذلك تجد ابن جرير الطبري في تفسيره يقول : القول في تأويل قوله تعالى أي في تفسيره فإن كان هذا هو المقصود في الآية (و ما يعلم تأويله إلا الله) فإنه يعطف الراسخون في العلم على لفظ الجلالة هكذا (و ما يعلم تأويله إلا الله و الراسخون في العلم) يعنى و الراسخون في العلم يعلمون تأويله و هو التفسير و ذلك برده إلى المحكم الذي يبين المراد منه.

فتفسير القرآن على هذا الوجه لا يعلمه تأويله إلا الله و أهل العلم المختصون و أما العوام و الجهال فلا يعلمون تفسيره و أهل الزيغ يأخذون المتشابه و لا يردون إلى المحكم و يقطعون بعض القرآن عن بعض فيأخذون بعض الآيات و يتركون بعض الآخر.

أما المعنى الثاني : للتأويل هو الحقيقة التي يؤول إليها الشيء و ما يصير إليه في المستقبل مثل حقائق ما في الجنة من أعناب و نخيل و فواكه و لبن و خمر و عسل و أسياء لا يعلم حقائقها إلا الله تعالى لأنها من علم الغيب و كذلك كيف أسماء الله و صفاته لا يعلمها إلا الله تعالى فالتأويل على هذا المعنى ما يؤول إليه الشيء في المستقبل فإذا أريد هذا المعنى يعين الوقف في الآية على لفظ الجلالة لأنه لا يعلم تأويله على هذا الوجه إلا هو سبحانه. ¹²⁴

قال الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف :

¹²⁴ شرح كشف الشبهات ص: 65-67 و انظر تفسير ابن كثير سورة آل عمران الآية 7:

هذا الجواب المحمل قال عنه المؤلف - ابتداء - (فهو الأمر العظيم و الفائدة الكبيرة لمن عقلها) منا قال عنه في آخره : (و هذا جواب سديد) و صدق - رحمه الله - فهو جواب سديد و حجة ظاهرة تحاه كل شبة و قد ساق المؤلف مثالا في هذا الجواب. فإقرار مسركي العرب بتوحيد الربوبية و أن كفرهم بسبب اتخاذهم وسائط بينهم و بين الله يسألونهم و يدعونهم بعد أمرا محكما بينا ظاهرا لا استباه فيه و لا لتباس و أما احتجاج المبتدع لباطله ببعض النصوص الشرعية فهو أمر مستبه و مشكل لا يعلم معناه بالنسبة لذلك الموحد - و لا يترك المحكم الواضح و يتبع المتشابه إلا أهل الزيغ.

مع يقيننا أن أدلة الحق لا تتناقض سمعية كانت أو عقلية فالنصوص الشرعية بصد بعضه بعضا فما كان متساها فيرد إلى ما كان محكما بل يجزم أن أهل البدع لا يكادون يحتجون بحجة سمعية و لا عقلية إلا و هي عند التأمل حجة عليهم لا لهم (مجموع الفتاوى لابن تيمية 254/6 ، 514)

كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (أنا ألتزم أنه لا يحتج مبطل بآية أو حديث صحيح على باطله إلا و في ذلك الدليل ما يدل على يفيض قوله) (حادى الأرواح لابن القيم ص: 108)

و يمكن أن نسألك هذا الجواب المحمل المهم في مسائل متعددة أثناء الرد على الخصوم سواء كانوا من المبتدعة الكفرة فلو احتج نصراني بقوله تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون) (الحجر: 9) على تعدد الآلهة. فإن الاعتقاد بأن الله هو الإله الواحد الأحد فلا شريك له في ربوبيته و إلهيته يعد أمرا محكما معلوما من الدين بالضرورة حيث دلت عليه النصوص متواترة الثبوت ظاهرة الدلالة كقوله تعالى : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) و قوله تعالى : (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) (البقرة:163) و قوله تعالى : (وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ) (النحل: من الآية51) و غير ها كثير...

فلا ندعو هذا المحكم الجلى لذلك المتشابه المحتمل مع أن صيغة الجمع في مثل قوله تعالى : (إنا نحن نزلنا) تحتل الواحد العظم و تحتل الواحد الذي له شركاء فما كان محاملا لأكثر من معنى يرد إلى ما لا يحتمل إلا معنى واحدا كقوله تعالى : (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) (البقرة:163)

و مثال آخر : لو احتج حارحي أو معتزلي بنص شرعي على تخليد عصاة الموحدين. فذلك متشابه يحتاج إلى بيان لا يعارض ما كان معلوما من الدين بالضرورة و ثابتا بنصوص قطيعة ظاهرة و هو أن عصاة الموحدين مآلهم إلى الجنة و من دخل منهم نار جهنم فلا يخلد فيها.

فأهل الزيغ يتبعون المتشابه إبتغاء الفتنة كما وصفهم أحمد بن حنبل - رحمه الله - بقوله (هم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب مجموعون على مفارقة الكتاب يقولون على الله و في الله و في كتاب الله بغير علم يتكلمون بالمتشابه من الكلام و يخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم فنعوذ بالله من فتن المضلين) (من مقدمة كتابه (الرد على الزنادقة و الجهمية ص: 52 (ضمن عقائد السلف)¹²⁵

قوله - رحمه الله - : (و قد صح عن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم أنه قال : (إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم)

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

استدل - رحمه الله - بهذا الحديث على أن الرجل الذي يتبع المتشابه من القرآن أو من السنة و صار يلبس به على باطله فهؤلاء هم الذين سماهم الله و وصفهم بقوله (فأما الذين في قلوبهم زيغ) الآية ثم أمر النبي صَلَّى الله عليه و سلم بالحدز منهم فقال احذروهم من أن يضلوكم عن سبيل الله باتباع هذا المتشابه و احذروا طريقهم أيضا فالتحذير هنا يشمل التحذير عن طريقهم و التحذير منهم أيضا ثم صرب المؤلف لهم مثلا بأن يقول لك المشرك أليس الله يقول : (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (يونس:62) أو ليس للأولياء جاه عند الله تعالى ؟ أو ليس الشفاعة ثابتة بالقرآن و السنة ؟ و ما أشبه ذلك من هذه الأشياء فقل : نعم كل هذا حق ولكنه ليس فيه دليل على أن تشرك هؤلاء الأولياء أو هؤلاء الرسل أو هؤلاء الذين عندهم شفاعة عند الله - و دعواك أن هذا يدل على ذلك دعوى باطلة لا يحتج بها إلا

¹²⁵تعليقات على كشف الشبهات ص:42-45

مبطل و ما أنت إلا من الذين قال الله فيهم : (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه) و لو أنك رددت هذا المتشابه إلى المحكم لعلمت أن هذا لا دليل لك فيه.¹²⁶

قال الشيخ صالح بن فوزان :

صح عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الذي رواه البخاري و مسلم¹²⁷ أنه قال : (إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه) أي من القرآن و السنة و يأخذون بالنصوص المحملة و يتركون النصوص المفصلة (فأولئك الذين سمى الله) في هذه الآية : (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه) (فاحذروهم) أي احذروا أصحاب هذه الطريقة لا يلبسون عليكم أمر دينكم فهذا فيه التحذير من علماء الضلال و من المبتدعة لئلا يلبسوا علينا أمر ديننا فهؤلاء من الذين (وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ) (البقرة: من الآية 27)¹²⁸

قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ : لا يزيغون بكم عن سبيل الحق كما زاغوا عن الحق. حذر منهم لأن مخالطتهم و سماع كلامهم الداء العضال و مرض القلوب و لا يتكل الإنسان على ما معه من الحق بل يبعد عن أهل الزيغ و بجانبهم و لو معه من الحق. فإن السلف كان هذا شأنهم و يستدلون بالحديث و هذا حكم أهل الباطل أن يبعد عنهم لئلا يدخل القلب شبهه يعسر التخلص فإن أهل الباطل لا يألون جهد أن تكونوا مثلهم في زيغ القلوب و هم أضر على الناس من أهل المعاصي الشهوانية.

و قوله - رحمه الله - : (و ما ذكرته لك من أن الله تعالى ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية و أن كفرهم بتعلقهم على الملائكة و الأنبياء و الأولياء مع قولهم (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) (يونس : 18) هذا أمر محكم بين لا يقدر أحد يغير مهناه

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

¹²⁶ شرح كشف الشبهات ص: 56-57

¹²⁷ البخاري في صحيحه 165/5، 166، و مسلم في صحيحه 2053/4 كتاب العلم

¹²⁸ شرح كشف الشبهات ص: 67-68

ذكر - رحمه الله - كيف نرد المتشابه إلى المحكم أن المشركين كانوا مقرين بتوحيد الربوبية و يؤمنون بذلك إيماناً لا شك فيه عندهم لكنهم يعبدون الملائكة و غيرهم و يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله و مع هذا كانوا مشركين استباح النبي صلى الله عليه و سلم دماءهم و أموالهم و هذا نص محكم لاشتباه فيه دال على أن الله لا شريك له في ألوهيته و في عبادته كما أنه لا شريك له في ربوبيته و ملكه و أن من أشرك بالله في ألوهيته فهو مشرك و إن وحده في الربوبية.¹²⁹

قال الشيخ صالح بن فوزان في قوله - رحمه الله - : (و مثال ذلك إذا قال لك بعض المشركين : (ألا إن أولياء الله لا خوفٌ عليهِمْ وَلَا هُمْ يحزنونَ) (يونس:62) أو إن الشفاعة حق و أن أولياء لهم جاه عند الله أو ذكر كلاماً للنبي صلى الله عليه و سلم يستدل به على شيء من باطله و أنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره فجوابه بقولك : إن الله ذكر في كتابه أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم و يتبعون المتشابه و ما ذكرته لك من أن الله تعالى أن المشركين يقرون بالربوبية و أن كفرهم بتعلقهم على الملائكة و الأنبياء و الأولياء مع قولهم (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) هذا أمر محكم بين لا يقدر أحد أن يغير معناه و ما ذكرت لي أيها المشرك في القرآن أو كلام النبي صلى الله عليه و سلم لا أعرف معناه و لكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض و أن كلام النبي صلى الله عليه و سلم لا يخالف كلام الله عز و جل و هذا جواب سديد لا يفهمه إلا من وفقه الله فلا تستهن به فإنه كما قال تعالى : (وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) (فصلت:35)

أي إذا قال لك واحد من علماء المشركين الذين يتعلقون بالأولياء و يطلبون منهم المدد و يستغيثون بهم كما هو الحال الواقع الان عند عباد القبور و يقولون إن الله يقول : ألا إن أولياء الله لا خوفٌ عليهِمْ وَلَا هُمْ يحزنونَ) (يونس:62)

و هؤلاء أولياء و النبي صلى الله عليه و سلم أخبر أن الصالحين يشفعون و أن الأولياء يشفعون و أن الرسول يشفعون فالجواب أن الشفاعة حق لا شك فشه و لكنها كما ذكر الله لا بد لها من شرطين :

الإذن للشافع أن يشفع

و أن يكون المشفوع فيه من أهل التوحيد

و لا شك أن الله تعالى وعد الأوليا أنهم لا خوف عليهم و لا هم يحزنون، و لكن من الأولياء؟ هل الأولياء طائفة مخصوصة من الناس عليهم عمائم و لباس خاص؟ أو الأولياء من بني علي قبورهم قباب؟ ليس كذلك ليس كذلك لأن الله بينهم بعد هذه الآية مباشرة حيث قال: (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) (يونس:63) فكل مؤمن يقى ولي لله ليست الولاية خاصة بطائفة معينة أو أشخاص معينين لهم لباس خاص و لهم سمات خاصة أو على قبورهم قباب و زخرفات، الأولياء كل مؤمن تقى فإنه ولي لله بنص هذه الآية و الولاية تختلف باختلاف الإيمان و التقوى منهم من هو ولي كامل الولاية و منهم من هو ولي دون ذلك بحسب إيمانه و بحسب تقواه فليست الولاية خاصة بما تزعمون من هؤلاء الأشخاص أو هؤلاء المقبورين و النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لا بره) (رواه مسلم في صحيحه كتاب البر و الصلة و الأدب باب فضل الضعفاء و الخاملين حديث رقم 138 (2622) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه)

فقد يكون الولي غير معروف و لا له مكانة عند الناس هذا من ناحية و من ناحية الثانية لو ثبت أنه ولي لله عز و جل فإن هذا لا يعطيه شيئا من الربوبية و لا شيئا من حق الله لأنه عبد الله محتاج إلى ربه عز و جل لا يملك من الأمر شيئا لا يخلق و لا يرزق فليس معناه أنه إذا كان وليا أننا نتعلق به و نترل حاجاتنا به و نستغيث به و نطلب منه لأن الله قال: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)(النساء: من الآية48) لا من الأولياء و لا غيرهم فالله لا يرضى بهذا. فليس معنى قوله تعالى: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (يونس:62) أنهم يملكون شيئا من الربوبية و أنهم ينفعون و يضررون و أنهم يعطون الشفاعة و أنهم و أنهم ... كما يزعمون القبوريون. فمن تعلق بالأولياء و طلب منهم الشفاعة و هم أموات أو طلب منهم الإغاثة و هم أموات أو طلب منهم قضاء الحاجات و هم في قبورهم فإنه مثل المشركين الأولين الذين قال الله فيهم: (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ) (يونس: من الآية18) هم يقولون لا نعتقد أنهم يخلقون و يرزقون و إنما من أجل أن نجعلهم وسائط بيننا و بين الله لأنهم أولياء و نحن مقصرون و نحن مذنبون فهؤلاء بصلاحهم و جاههم و مكانتهم عند الله يشفعون لنا و الله رد عليهم فقال (سبحان الله و تعالى عما يشركون) فسمى هذا شركا و قال في الآية أخرى (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ

دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) (الزمر: من الآية 3) يريدون الوسائط فقط عند الله تعالى و إلا فإنهم معترفون أن الله هو الخالق الرازق المحي و المميت فيعترفون بتوحيد الربوبية تماما كما ذكر الله عنهم و إنما قصدوا بفعلهم هذا وسائط هؤلاء الصالحين عند الله فنذروا لهم و ذبحوا لهم و استغاثوا بهم : يا سيدي اشفع لي عند الله افعل كذا الذي يقولونه عند القبور بل هذا يختلف عما قاله المشركون من قبل الذين رد عليهم جل و علا بقوله : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ) (الزمر: من الآية 3) حكم عليهم بالكذب و حكم عليهم بالكفر فعملهم هذا كفر و كذب. و في سورة يونس نزه نفسه عن ذلك فقال : (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (يونس: من الآية 18) سماه شركا

فالأولياء عباد صالحون لهم قدرهم و نحترمهم و نحبهم و نفتدى بهم في الأعمال الصالحة لكن ليس لهم شركه مع الله سبحانه و تعالى هم مثلنا يحتاجون إلى الله عز و جل فقراء إلى الله عز و جل بما فيهم من الأنبياء و الرسل بما فيهم من الملائكة عليهم السلام كلهم فقراء إلى الله سبحانه و تعالى فهذا مما يزيل اللبس لأن هؤلاء يأخذون بعض القرآن و يستدلون به و يتركون البعض الآخر يأخذون الآية التي يمدح الأولياء و تثني عليهم و يتركون الأخرى التي تبين أنهم لا يعبدون من دون الله عز و جل و أن من طلب منهم شيئا و هم أموات فإنه مشرك كافر يتركون هذه الآيات و هذا من الزيغ الذي ذكر سبحانه و تعالى فلتكن عند هذه القاعدة أن الإنسان مهما بلغ من الصلاح و الكرامة و المترلة عند الله فإنه ليس له من الربوبية شيء و إنه لا يدعى مع الله و إنه لا يكون له شيء من العبادة و هو لا يرضى بذلك و ينهون عنه أشد النهي إنما يرضى بذلك الطواغيت الذين يدعون الناس إلى عبادة أنفسهم. أما أولياء الله فحاشهم من هذا لا يرضون به و إنما يرضى به أولياء الشيطان هذا معنى قول الشيخ رحمه الله.

(لكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض و أن كلام الرسول صلى الله عليه و سلم لا يخالف كلام الله) فيجب رد النصوص بعضها إلى بعض و تفسير بعضها ببعض حتى يتصح المطلوب و هذا كما قال الشيخ جواب سديد تجب العناية به لأنه مبني على على كتاب الله فمن وفق فهو ذو حظ عظيم.¹³⁰

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين في قوله - رحمه الله - : (و هذا جواب سديد ...) يعني قول الإنسان لخصمه أن كلام الله لا يتناقض و أن كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ لا يخالف كلام الله و أن الواجب رد المتشابه إلى المحكم فهذا أجاب بجواب سديد ساد لخله لا يمكن لأحد أن يناضقه أو يرد عليه ما ينقضه لأنه كلام محكم مبني على الدليلين : السمعى و العلقى و ما كان كذلك فإنه جواب لا يمكن لأي مبطل أن ينقضه.

قوله (و لكن لا يفهمه) إلى آخره يعني أن هذا الجواب لا يفهمه إلا من فقه الله فكشف عنه فتنة الشبهات و فتنة الشهوات ثم استدل لذلك بقوله تعالى : (وَمَا يُلَاقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا) (فصلت: من الآية 35) أي ما يوفق للدفع بالتي هس أحسن.¹³¹

قوله - رحمه الله - : (و أما الجواب المفصل فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل يصدون بها الناس عنه منها قولهم نحن لا نشرك بالله بل نشهد أنه لا يخلق و لا يرزق و لا ينفع و لا يضر إلا الله وحده لا شريك له و أن محمدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ لا يملك لنفسه نفعا و لا ضرا فضلا عن عبد القادر أو غيره)

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

... الجواب الأول كان مجملا يرد به الإنسان على كل شبهة ثم هناك جواب مفصل أي مميز بعضه عن بعض بحيث تدفع به شبهة كل واحد بعينها.

قوله - رحمه الله - : (و لكن أنا مذنب و الصالحون لهم جاه عند الله و أطلب من الله بهم فجوابه بما تقدم و هو أن الذين قاتلهم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ مقرون بما ذكرت و مقرون بأن أوثانهم لا تدبر شيئا و إنما أرادوا الجاه و الشفاعة و أقرأ عليهم ما ذكر الله في كتابه و وضحه).

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

¹³¹ شرح كشف الشبهات ص: 59

... هذا بقية كلام المشبه فأجبه بأن ما ذكرت هو ما كان عليه المشركون الذين قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم واستباح دماءهم ونساءهم وأموالهم ولم يغنهم هذا التوحيد شيئاً.

قوله (و اقرأ عليهم ...) يريد بذلك أن تقرأ عليهم ما ذكر الله في كتابه في توحيد الألوهية فإنه جل و علا أبداً فيه و أعاد و كرر من أجل تشبيته في قلوب الناس و إقامة الحجة عليهم فقال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) (الانبيا:25) و قال (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذريات:56) و قال : (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (آل عمران:18) و قال : (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) (البقرة:163) و قال : (فَيَا أَيُّهَا الْعَبْدُونَ) (العنكبوت: من الآية56) إلى غير ذلك من الآيات كثيرة الدالة على وجوب التوحيد - عز و جل - في عبادته و أن لا أحد سواه فإذا اقتنع.

بذلك فهذا هو المطلوب و إن لم يقتنع فهو مكابر معاند يصدق عليه قوله تعالى : (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) (النمل:14)¹³²

قوله - رحمه الله - : (فإن قال : هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام كيف يجعلون الصالحين مثل الأصنام ؟ أم يجعلون الأنبياء أصناماً ؟ فجأوبه بما تقدم) .

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

(هؤلاء) يعني أهل الشرك هذه الآيات نزلت في المشركين الذين يعبد الأصنام و هؤلاء الأولياء ليسوا بأصنام .

¹³² شرح كشف الشبهات ص: 60-61 و اقرأ أيضا الآيا : الأنعام : 40-41 ، النمل 53-54 ، فاطر : 13-14 ، يونس : 18 ، يس : 22-23

فجاوبه بما تقدم أي بأن كل من عبد غير الله جعل معبوده وثنا فأى فرق بين من عبد الأصنام و عبد الأولياء و الأنبياء ؟ إذ أن الجميع لا يعنى شيئاً عن عابديه.¹³³

قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ :

... من شأن أهل الباطل و أسبابهم نستهم من نزل الصالحين منازلهم أن يقولوا : تنقصوهم و هضمهم و في الحقيقة هم الناقصون المتفصون للرسول و أرادوا أن يعطوا باطلا. و أهل الحق نزلوهم منازلهم الحق الاثفة بهم و ما جاءوا به و لا زادوا و ما نقصوا أعطوه حقهم الواجب و نزهوهم عما لا يصلح لهم من الباطل.¹³⁴

قال الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف : بأن الكفار يدعون الصالحين و الملائكة و الأنبياء كما كانوا يدعون الأصنام و الأحجار.

يقول العلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني جوابا عن هذه الشبهة : (فإذا قلت : أ فيصير هؤلاء الذين يعتقدون في القبور و الأولياء و الفسقة و الخلقاء مشركين كالذين يعتقدون في الأصنام ؟ قلت نعم قد حصل منهم ما حصل من أولئك و ساووهم في ذلك بل زادوا في الإعتقاد و الإستعباد فلا فرق بينهم) (تطهير الإعتقاد ص: 23)

و مما قاله العلامة محمد بن علي الشوكاني - رحمه الله - في الرد على هذه الشبهة : (الشرك أن يفعل لغير الله شيئا يحتص به سبحانه سواء اطلق على ذلك الغير ما كان تطلقه عليه الجاهلية - كالصنم و الوثن - أو اطلق عليه اسما آخر - كالولى و القبر و المشهد) (الدرر النصيب ص: 18)

¹³³ شرح كشف الشبهات ص: 61

¹³⁴ شرح كشف الشبهات ص: 61-62

و إن أراد الخصم بقولته : هؤلاء الآيات نزلت على من عمل علمهم فهذا من أعظم الضلال و أشنع الفساد.

كما قال الشيخ المصنف عن هذا المسلك : (فهذا ترس قد أعده الجهال الضلال لرد كلام الله . إذا قال لهم أحد : قال الله كذا قالوا : نزلت في اليهود نزلت في النصارى نزلت في فلان ...)
و جواب هذه الشبهة الفاسدة أن يقال : معلوم أن القرآن نزل بأسباب فإن كان لا يستدل به إلا في تلك الأسباب بطل استدلاله و هذا خروج من الدين و ما زال العلماء من عصر الصحابة و من بعدهم يستدلون بالآيات التي نزلت في اليهود و غير على من يعمل بها) (تاريخ ابن غنام 285/2)

و يحدث الشيخ عبد الله بن بطين - رحمه الله - عن خطر مقولة الخصم فقل : (أما قول من يقول : إن الآيات التي نزلت بحكم المشركين الأولين فلا تتناول من فعل فعلهم فهذا كفر عظيم مع أن هذا قول مايقوله إلا ثور مرتكس في الجهل فهل يقول إن الحدود المذكورة في القرآن و السنة لأناس كانوا اتقروا ؟ فلا يجد الزاني اليوم و تقطع يد السارق و نحو ذلك مع أن هذا قول يستحي من ذكره . أ فيقول هذا إن المخاطبين بالصلاة و الزكاة و سائر شرائع الإسلام اتقروا و بطل حكم القرآن) (الدرر السنية 8 / 237)
كما بين الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن - رحمه الله - : أن هذه المقولة من الأسباب المانعة عن فهم القرآن فقال : (و من الأسباب المانعة عن فهم القرآن أنهم ظنوا أن ما حكى الله عن المشركين و ما حكم عليهم و وصفهم به حاص بقوم مضوا و أناس سلوا و اتقروا لم يعقبوا وارثا .
و ربما سمع بعضهم قول من يقول من المسرين هذه نزلت في عباد الأصنام هذه في النصارى فظن الغر أن ذلك محتص بهم و أن الحكم لا يتعداهم و هذا من أكبر الأسباب التي تحول بين العبد و بين فهم القرآن و السنة) (دلائل الرسوخ ص: 44 ، مصباح الضلال للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ص: 140 و كشف غياهب الظلام لابن سمحان ص: 195 و صيانة الإنسان عن وسوسة دحلان للسهيواني ص: 135)
487

قوله - رحمه الله - : (فاذا ذكر له أن الكفار منهم من يدعو الأصنام و منهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم : (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ) (الاسراء: من الآية57) و يدعوون عيسى بن مريم و أمه و قد قال الله تعالى : (مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (المائدة:75-76)

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين : يعنى فاذا ذكر له أن هؤلاء المشركين منهم من يدعو الأصنام لطلب الشفاعة كما أنت كذلك موافق لهم في المقصود و منهم من يعبد الأولياء كما أنت كذلك موافق لهم في المقصود و المعبود و دليل أنهم يدعوون الأولياء قوله تعالى : (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ) (الاسراء: من الآية57) و كذلك يعبدون الأنبياء كعباد النصارى المسيح ابن مريم و كذا يعبدون الملائكة كقوله تعالى (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ) (سبأ:40) فتبين بذلك الجواب عن تبيسه بكون المشركين يعبدون الأصنام و هو يعبد الأولياء و الصالحين من وجهين : الوجه الأول : أنه لا صحة لتليسه لأن من أولئك المشركين من يعبد الأولياء و الصالحين.

الوجه الثاني : لو قدرنا أن أولئك المشركين لا يعبدون إلا الأصنام فلا فرق بينه و بينهم لأن الكل عبد من لا يغنى عنه شيئاً.¹³⁶

قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ : فمعبوداتهم متنوعة ليست الأصنام وحدها من دليل تنوعها هذه الآية : (الإسراء : 52) فإنها نزلت في أناس يعبدون الجن و بقى الإنس على عبادتهم و قيل نزلت فيمن يعبد العزير و المسيح كما هو قول أكثر المفسرين و لا منافاة بيت القولين فإنها نزلت فيمن يدعو مدعوا و ذلك المدعو صالح في نفسه يرجو رحمة الرب و يخاف عقابه و كان الله تعالى قال في الرد عليهم : إن من تدعونه عبيدي كما أنكم عبيدي يرجون رحمتي و يخافون عذابي فينبغى أن تفعلوا مثل ما تفعل تلك الإلهية فصار عبيده بثلاثة أشياء : بعبادته وحده و رجائه وحده و خوفه وحده. هذا هو الموصل لهم و الوسيلة و

السبب الموصل لاعبادة سواه من الأولياء و نحوهم فهذه الآية من جملة الأدلة على أن من معبوداتهم الأولياء.¹³⁷

قال الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف :

و مراد المؤلف من إيراد هذه الآيات أن يبين أن من الكفار من يدعو الأنبياء و الأولياء و هم كفار بذلك كما أنهم كفار بعبادة الأصنام فلا فرق من قصد الأصنام و هو كافر و كذا من قصد الأنبياء و الأولياء و من فرق بينهما في الحكم فقد فرق بين المتماثلين.

ففي قوله تعالى : (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ) (الاسراء: من الآية 57) رد على من يدعو صالحا و يقول : أنا أشرك بالله شيئا الشرك عبادة الأصنام (فتح المجيد 208/1 و القول الفصل النفيس ص: 83 و تأسيس التقديس ص: 71 و 58 ، 59 و الهدية السنة ص : 54 ، 55 و خطاب بن بليهد ص: 7)

و مما قاله الشيخ المصنف في معنى هذه الآية : (ذكر المفسرون في تفسيرها أن جماعة كانوا يعتقدون في عيسى عليه السلام و عزيز فقال الله تعالى : (هؤلاء عبيدي كما أنتم عبيدي يرجون رحمتي كما أنتم ترجون رحمتي و يخافون عذابي كما أنتم تخافون عذابي)

فيا عباد الله يفكروا في كلام ربكم تبارك و تعالى إذا كان ذكر عن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه و سلم أن دنيهم الذي كفرهم به هو الاعتقاد في الصالحين و ذكر أنهم اعتقدوا فيهم و دعوهم و ندبوهم لأجل أنهم يقربوهم إلى الله زلفى هل بعد هذا البيان بيان ؟) (تاريخ ابن غنام 338/2)
فهذه الآية الكريمة تتناول كل من دعا ميتا أو غائبا من الأنبياء و الصالحين حيث نهي الله تعالى عن دعائهم و بين أنهم لا يملك كشف الضر عن الداعين و لا تحويله) (مجموع الفتاوى لابن تيمية 226/15)

و يقرر الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن - رحمهم الله - عموم هذه الآية و أشباهها بقوله : (و هل وقعت الخصومة و جرد الشيف و دعى من دعى من أهل الكتاب إلى المباحلة و أمر بقتالهم حتى يسلموا أ يطوا الجزية إلا لأجل عبادة الأنبياء و الصالحين و دعائهم و هل صورت الأصنام و عبدت إلا باعتبار من هي على صورته و تمثاله من الأنبياء و الملائكة و الصالحين و الآيات التي يعبر فيها بالموصول وصلته كقوله (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ) (فاطر: من الآية 13) و نحوها من الآيات كقوله تعالى : (وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ) (يونس: 106) (قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ) (الاسراء: 56-57)

فهذه الموصولات في كلام الله و كلام رسوله واقع على كل مدعو و معبود نبيا أو ملكا أو صالحا إنسيا أو جنيا حجرا أو شجرا متناولة لذلك بأصل الوضع فإن الصلة كاشفة مبية للمراد و هي واقعة على كل مدعو من غير تخصيص) (يحفة الطالب و المجلس ص: 88-89)

و مما كتب شيخ الإسلام في بيان عموم قوله تعالى : (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهؤلاءِ) (سبأ: من الآية 40) قوله : (كل من عبد غير الله فإنما يعبد الشيطان و إن يظن أنه يعبد الملائكة و الأنبياء ، قال تعالى : وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا...) و لهذا اتمثل الشياطين لمن يعبد الملائكة و الأنبياء و الصالحين و يخاطبونهم فيظنون أن الذي حاطبهم ملك أو نبي أو ولي و إنما هو الشيطان جعل نفسه ملكا من الملائكة.

و كذلك الذين يدعون المخلوقين من الأنبياء و الأولياء قد يتمثل لأحدهم من يخاطبه فيظنه النبي أو الصالح الذي دعاه و نما هو الشيطان تصور في صورته ... و هذا كثير يجري لمن يدعو المخلوقين من النصارى و من المنتسبين إلى الإسلام) (مجموع الفتاوى 283/14)¹³⁸

قوله : (فإن قال : الكفار يريدون ... إلى قوله تعالى : (و يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) : (فإن قال المشرك الكفار يريدون منهم أي يريدون أن ينفعوهم أو يضرهم و أنا لا أريد إلا من الله تعالى و الصالحين ليس لهم من الأمر شيء و أنا لا أعتقد فيهم و لكن أتقرب بهم إلى الله - عز و جل - ليكونوا شفعا. فقل له : و كذلك المشركون الذين بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه و سلم هم لا يعبدون الأصنام لإعتقادهم أنها تنفع و تضر و لكنهم يعبدونهم لتقربهم إلى الله زلفى كما قال تعالى : (ما نعبدهم إلا ليقربون إلى الله زلفى) و قال : (و يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) فتكون حاله كحال هؤلاء المشركين سواء بسواء) (شرح كشف الشبهات لابن عثيمين ص: 64)
كما أقول المشرك : لكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم يناقص دعواه أنه لا يريد إلا من الله و عبادته و رجائه.

و كما قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن عبد الوهاب - رحمه الله - : (لا ريب أن اتحاد الشفعاء و التوجه إليهم بالقلب و اللسان ينافي إسلام القلب و الوحه لله وحده ... و الإستشفاع بالأموات يتضمن أنواعا من العبادة : سؤال غير الله و إنزال الحوائج به من دون الله و رجائه و الرغبة إليه و الإقبال عليه بالقلب و الوجه و الجوارح و اللسان و هذا هو الشرك الذي لا يغفره الله) (القول الفصل النفيس ص: 86، 90)¹³⁹

قوله - رحمه الله - : (و اعلم أن هذه الشبهة الثلاث هي أكبر عندهم فإذا عرفت أن الله وضحها لنا في كتابه و فهمتها فهما جيدا فما بعدها أيسر منها)

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

الشبهة الأولى : قولهم : (أننا لا نعبد الأصنام إنما نعبد الأولياء)
الشبهة الثانية : قولهم : (أننا ما قصدناهم و إنما قصدنا الله تعالى في العبادة)

الشبهة الثالثة : قولهم : (أننا ما عبدناهم لينفعونا أو يضرونا فإن النفع و الضر بيد الله عز و جل و لكن ليقرّبونا إلى الله زلفى فنحن قصدنا شفاعتهم بذلك يعنى نحن لا نشرك بالله تعالى)¹⁴⁰

قال الشيخ صالح بن فوزان :

الشبهة الأولى : أنهم يقولون نحن نشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله صَلَّى الله عليه و سلّم و نعلم أنه لا ينفع و لا يضر إلا الله تعالى و أن النبي صَلَّى الله عليه و سلّم لا يملك نفعا و لا ضرا فضلا عن عبد القادر لكن هؤلاء لهم جاه عند الله فنطلب من الله بهم يعنى نجعلهم وسائط بينهم و بين الله لما لهم من الفضل.

فالجواب سهل جدا من كتاب بأن تقول إن المشركين مع أصنامهم ما كانوا يعتقدون فيها أنها تخلق و ترزق و تنفع و تضر و إنما اتخاذها وسائط بينهم و بين الله و هذا واضح في قوله تعالى (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَبْتَغُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (يونس:18)

نزه نفسه عن فعلهم و سماه شركا مع أنهم يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله و يعتقدون أنهم لا ينفعون و لا يضرّون و إنما قصدهم التعلق بالجاه فقط. فالآيات تدل على أن المشركين معترفون بأنه لا يخلق و لا يرزق و لا يدبر الأمر إلا الله تعالى و أن أصنامهم و معبوداتهم لا تخلق و لا ترزق و لا تدبر مع الله و إنما اتخذوها وسائط و لا فرق بينكم و بينهم.

و إذا كنت مذنبا فلماذا لا تستغفر الله و تطلب من الله و الله جل و علا أمرك بالاستغفار و وعدك بالتوبة و أن يقبل منك و يغفر ذنوبك و لم يقل إذا أذنبت فاذهب إلى قبر الولي الفلاني أو العبد الصالح الفلاني و توسل به واجعله واسطة بيني و بينك.

و يقول أيضا : هؤلاء إذا كان لهم جاه عند الله فإن جاههم لهم صلاحهم لهم و أنت ليس لك إلا عملك و صلاح الصالحين لهم و جاههم عند الله لهم ما علاقتك بعمل فلان و صلاح فلان كل له عمله (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (البقرة:134) فجاههم و صلاحهم

لهم و لا ينفَعك إذا كنت مذنباً حتى والدك أقرب الناس أن ينفَعك (يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ) (الانفطار:19) (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ) (المدثر:38) (وَاحْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئاً) (لقمان: من الآية33) (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ) (عبس:34-36)

الشبهة الثانية : إذا قرأت عليه قوله تعالى : (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ) (يونس: من الآية18) (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) (الزمر: من الآية3) و بينت له أن المشركين ما أرادوا ممن عبدوهم إلا الشفاعة و قال لك : هذه الآية نزلت في الذين يعبدون الأصنام و أنا لست أعبد الأصنام و إنما أتوسل إليه بالصالحين فكيف تجعل الصالحين أصناماً ؟

و الجواب عن هذا واضح جدا و هو أن الله ذكر أن المشركين منهم من يعبد الأصنام و منهم من يعبد الأولياء و الصالحين و سوى الله بينهم في الحكم و لم يفرق بينهم و أنت فرقت بينهم في ظنك أن عبادة الأصنام لا تجوز و أن عبادة الصالحين تجوز إذا كانت يقصد التوسط و الدليل على هذا أن الله ذكر أنواعا من المشركين فمنهم من يعبد الصالحين و منهم من يعبد الملائكة و الملائكة من أصلح الصالحين قال الله تعالى (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مَنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ) (سبأ:40-41)

في يوم القيامة الله جل و علا سأل الملائكة و هو أعلم سبحانه و تعالى لكن لأجل إبطال حجة هؤلاء (أ هؤلاء إياكم كانوا يعبدون) فدل على أن منهم من يعبد الملائكة لكن الملائكة تتبرأ منهم يوم القيامة و تقول نحن ما أمرناهم بذلك و لا رضينا بذلك (سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مَنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ) يعنى الشياطين هي التي أمرتهم بعبادة الملائكة لا تأمر إلا بعبادة الله (وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكْ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) (الانبيا:29) فدل على أن منهم من يعبد الملائكة و الملائكة أصلح الصالحين كما قال تعالى : (بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِ رَبِّهِمْ يَعْمَلُونَ) (الانبيا:27) و منهم من يعبد الأولياء و الصالحين كالمسيح ابن مريم و أمه.

و إذا أبطل التوسل بالملائكة و الأنبياء و دعاؤهم من دون الله بطل التوسل بغيرهم من الصالحين و دعاؤهم من دون الله كما قال تعالى : (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ) (الزمر:3) لأن الواجب إخلاص العبادة لله عز و جل بجميع أنواعها من الدعاء و الذبح و النذر و غير ذلك. فمن ذبح لغير الله و دعا غير الله كان مشركا خارجا من الدين.

الشبهة الثالثة : إذا سلّم بأن الدعاء لغير الله شر و لكنه قال أنا لا أدعو النبي صلّى الله عليه و سلّم و غيره و هذا الذي أفعله ليس دعاء و إنما هو طلب لشفاعة النبي صلّى الله عليه و سلّم و هل تنكر شفاعة النبي صلّى الله عليه و سلّم فإنك حينئذ تدخل معه في خصومة أخرى و شبهة أخرى و هي أنه سمي دعاء النبي صلّى الله عليه و سلّم و الإستغاثة به طلبا للشفاعة و لم يسمه دعاء و يقول إن النبي صلّى الله عليه و سلّم أعطى الشفاعة و أنا أطلب منه الشفاعة التي أعطىها.

فتقول له : أنا لا أنكر الشفاعة و أقر أن شفاعة النبي صلّى الله عليه و سلّم حق و أنه شافع مشفع أنا لا أنكر هذا و لكن الشفاعة لا تطلب من النبي صلّى الله عليه و سلّم و هو ميت و إنما تطلب من الله لأن الشفاعة ملك لله عز و جل قال الله تعالى : (قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ) (الزمر: من الآية44) فجميع أنواع الشفاعة ملك لله و ما دامت ملكا لله فإنها لا تطلب إلا ممن يملكها و هو الله سبحانه و تعالى و النبي صلّى الله عليه و سلّم لا يملك الشفاعة و لا أحد يملك الشفاعة إلا بإذن الله و إنما هي ملك لله عز و جل. و أيضا الشفاعة لا تنفع كل أحد و إنما تنفع أهل التوحيد و أنت لست من أهل التوحيد لأنك تدعو غير الله فالشفاعة لها شرطان :

الشرط الأول : أن تطلب من الله تعالى و لا تطلب من غيره و لا بد أن يأذن فيها.

الشرط الثاني : أن يكون المشفوع فيه من أهل التوحيد لا من من أهل الشرك و الكفر و الدليل على الشرط

الأول قوله تعالى : (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى) (الانبياء: من الآية28) و هو لا يرضى إلا عن أهل التوحيد و دليل الشرط الثاني قوله : (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) (البقرة: من الآية255) لا الملائكة

و لا الرسل و لا الأولياء و لا الصالحون و لا أحد يشفع عند الله إلا بعد أن يأذن الله (وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُعْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى) (النجم:26)
 فلا تطلب الشفاعة من المخلوق الميت و إنما تطلب الشفاعة من الله فتقول : اللهم شفّع فيّ نبيك. لا تطلبها من الأموات و هذا الذي تقول إنه طلب للشفاعة هو الذي كفر الله به المشركين فإن المشركين حينما لجأوا إلى الأولياء و الصالحين و على الملائكة و إلى الأنبياء يطلبون منهم الشفاعة كفرهم الله بذلك فقال تعالى :
 (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (يونس:18) فهذا الذي تقوله هو الذي كفر الله به المشركين و هو عبادة الأولياء و الصالحين طلباً لشفاعتهم.¹⁴¹

قوله – رحمه الله – : (فإن قال : أنا لا أعبد إلا الله و هذا الإلتجاء إليهم و دعائهم ليس بعبادة)

قال الشيخ ابن العثيمين : و جوابها أن تقول : إن الله فرض عليك إخلاص العبادة له وحده فإن قال نعم فاسأله مامعنى إخلاص عبادة الله ؟ فإما أن يعرف ذلك و إما أن لا يعرف فإن كان لا يعرف فبين له ذلك ليعلم أن دعاءه للصالحين و تعلقه بهم عبادة.

قال الشيخ صالح بن فوزان :

... فإنك تقوله : الإلتجاء إلى الله عبادة و الإلتجاء إلى غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك. لأن من التجأ إلى غير الله في الشدائد فقد أشرك مع الله فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى لأنه هو الذي يجيب المضطر غدا دعاه و يكشف الشوء و إليه الملجأ تعالى و لذا لجأ إليه النبي صلى الله عليه و سلم حيث يقول : لا ملجأ و لا منجأ و لا ملتجأ منك إلا إليك) (رواه البخاري في صحيحه 147/7 عن البراء بن عازب رضي الله عنه)

قال الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف : سلك المصنف - رحمه الله - إزاء هذه الشبهة مسلك التدرج مع الخصم و الانتقال مما هو متفق عليه مع الخصم إلى هو مختلف فيه و جعل المجمع عليه دليلاً على المختلف فيه و تبين - من خلال هذا المسلك - ظهور حجة المصنف و قوة إلزامه.

و قول المشرك : (أنا لا أعبد إلا الله) ينقضه - بالكلية - تنمة كلامه حيث قال : (و هذا الإلتجاء إلى الصالحين و دعاؤهم ليس بعبادة) فالإلتجاء من معاني الإستعاذة و الإستعاذة من العبادات التي أمر الله تعالى بها فلا تكون إلا بالله فالإستعاذة هي الإعصام و التحرز و الإلتجاء إلى الله وحده و الإلتصاق بجانبه من شر كل ذي شر (فتح المجيد ص: 195)

و الدعاء : السؤال و الطلب و هو من أجل العبادات و أعظمها فتحريد العبادة لله وحده إيمان و توحيد و دعاء غيره كفر و تنديد بل إن الدعاء يجمع أنواعاً كثيرة من العبادة كإسلام الوجه لمن يدعوه و الرغبة إليه و الإعتماد عليه و الخضوع له و الاطراح و التذلل ... (الرد على شبهات المستعنين بغير الله لأحمد بن عيس ص: 47)

و يدل على ذلك حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول على المنبر : (إن الدعاء هو العبادة) ثم قرأ : (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) (غافر:60) (أخرجه أحمد 267/4 و أبو داود ح (1479) و الترمذى ح (3372) و صححه النووي في الأذكار ص : 333 و قال ابن حجر في الفتح (49/1) : (إسناده جيد)¹⁴²

قوله - رحمه الله - : (فقل له أنت تقر أن الله فرض عليك العبادة لله و هو حقه عليه فإذا قال نعم فقل له : بين لي هذا الذي فرض عليك و هو إخلاص العبادة لله وحده و هو حقه عليك فإن كان لا يعرف العبادة و لا أنواعها فبينها له بقولك : قال الله تعالى : (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (لأعراف:55) فإذا علمته بهذا فقل له هل علمت هذا عبادة لله فلا بد أن يقول نعم و الدعاء مخ العبادة)

¹⁴²تعليقات على كشف الشبهات ص: 56

قال الشيخ ابن العثيمين : ... أي بين له أنواع العبادة فقل له إن الله يقول : (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (لأعراف:55) و الدعاء عبادة و إذا كان عبادة فإن الدعاء غير الله إشراكا بالله - عز و جل - و على هذا فالذي يستحق أن يدعى و يعبد و يرجى هو الله وحده لا شريك له.¹⁴³

قال الشيخ صالح بن فوزان في قوله - رحمه الله - : (فقل له إذا أقررت أنه عبادة و دعوت الله ليلا و نهارا خوفا و طمعا ثم دعوت في تلك الحاجة نبيا أو غيره هل أشركت في عبادة الله غيره ؟ فلا بد أن يقول : نعم) أي تسأله عن معنى العبادة و ما الفرق بينها و بين الإلتجاء. و قل له هل العبادة واجه أو مستحبة ؟ فلا بد أن يعترف أن العبادة أمر واجب و حتم على العباد و أنها حق الله على العباد، فإذا اعترف بهذا فقل له : فسر لي العبادة ما معناها و بين لي ما أنواعها و دامت أنك اعترفت أن العبادة لله و أنها واجبة على العبد فإنه يجب عليك أن يعرف معناها و أن تعرف أنواعها و إلا فكيف يوجب الله عليك شيئا و أنت تجهله و لا تعرفه فإنه لا يعرف العبادة و لا يعرف أنواعها و هذه آفة الجمل و من هنا يتعين على العباد أن يتعلموا ما أوجب الله عليهم و ما فرض الله عليهم حتى يؤدوه على وجهه الصحيح و يتجنبوا ما يحل به و ما يبطله أما أن تعبد الله على جهل فإن هذه طريق النصارى الضالين يعبدون الله على جهل و ضلال و الله أمرك أن تسأل أن يجنبك فتقول (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) (الفاتحة:6-7) فالضالون هم الذين يعبدوا الله على غير علم و على غير معرفة بالعبادة و إنما يعبدوا الله بالعادات و التقاليد و ما وجدوا عليه آباءهم و أجدادهم دون أن يرجعوا إلى ما جاءت به الرسل و نزلت به الكتب و هذا هو سبب الضلال. و الإلتجاء هو طلب الحماية من أمر محوف لا يدفه إلا الله فهو نوع من أنواع العبادة و الله يجير و لا يجار عليه و يعيد من استعاذ به فمن إلتجأ إلى ميت فقد عبده من دون الله و كذلك من أعظم العبادة الدعاء حيث قال الله تعالى : (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (لأعراف:55) و أنت بالتجائك إلى غير الله قد دعوت غير الله و هذا شرك.¹⁴⁴

قال الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف في قوله - رحمه الله - : بين لي هذا الذي فرض عليك و هو إخلاص العبادة لله و هو حقه عليه) : و الإخلاص هو إفراد الله تعالى بالقصد في الطاعة و قال بعضهم بصفية العمل عن كل شوب (مدارج السالكين 91/2 ، 92)

¹⁴³ شرح كشف الشبهات ص: 66

¹⁴⁴ شرح كشف الشبهات ص: 81-83

و مقصود المصنف - رحمه الله - أن يقرر وجوب إفراد الله تعالى بالعبادة و التجرد من الشرك و أن تلبس بالشرك لم يكن محققا لعبادة الله تعالى وحده و لذا قال المصنف في كتاب التوحيد : العبادة هو التوحيد) (فتح المجيد 109/1)

و عرف المصنف العبادة في هذا المقام - بآكد أنواعها القولية - و هو الدعاء - و العملية و هو الذبح، فالدعاء عبادة حيث أمر الله به في مثل قوله تعالى : (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً) (لأعراف:55) و العبادة كما عرفها طائفة من أهل العلم - ما أمر به شرعا من اطراد عرفي و لا اقضاء عقلي (رساله تعريف العبادة لأبي بطين (صمن مجموعة التوحيد) ص: 400)

فإذا كان الدعاء عبادة فيجب صرفه لله تعالى وحده لقوله تعالى : (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) (الجن:18) و أحد كلمة تصدق على كل ما دعى مع الله تعالى (مؤلفات الشيخ و قوله تعالى : (فَاتَّبِعُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ) (العنكبوت: من الآية17) و قوله : (فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ) (الشعراء:213)

و قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (من مات و هو يدعو لله ندا دخل النار) (أخرجه البخارى ، كتاب التفسير (176/8) ح (4497)

و لذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (و من أعظم الاعتداء و العدوان و الذل و الهوان أن يدعو غير الله فإن ذلك من الشرك و الله لا يغفر أن يشرك به و إن الشرك لظلم عظيم فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا و لا يشرك بعبادته أحدا) (الرد على البكرى ص: 95)
و قرر الشيخ هذا المعنى في رسالة أخرى فقال : (فمن عبد الله ليلا و نهارا ثم دعا نبيا أو وليا عند قبره فقد اتخذ اليهين اثنين) (تاريخ ابن غنام 190/2)¹⁴⁵

قوله - رحمه الله - : (فَإِذَا عَمَلْتَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ) (الكوثر:2) و أطعت الله و نحرت لله هل هذا عبادة فلا بد أن يقول نعم. فقل له : فإذا نحرت لمخلوق نبي أو جني أو لغيرهما هل أشركت في هذه العبادة غير الله ؟ فلا بد أن يقول نعم)

قال الشيخ صالح بن فوزان : و إذا كان من دعا غير الله و لو كان مرة في العمر يكون مشركا مع أنه يدعوا الله في الليل و النهار فكيف بالذي يلهج دائما بذلك و يقول يا حسين و يا بدوى و يا عبد القادر و يا فلان فيصد منه الشرك كثيرا.

فإذا كان من ذبح لغير الله أو صلى لغير الله يكون مشركا فكيف بمن يلجأ إلى غير الله في كشف الشدائد ألا يكون مشركا ؟ بلى لأن الباب واحدا و أنواع العبادات كلها باهما واحد و لا يجوز أن يخلص الله في بعضها و يشرك بالله في بعض الآخر.¹⁴⁶

قال الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف :

فالذبح إن قصد به التوجه و التقرب إلى الله وحده فهو من العبادات و يسمى نسكا لأن النسك هو العبادة و القرية كما قال تعالى : (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) (الأنعام:162-163)

و قد استدل المؤلف على هذه العبادة بقوله تعالى (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ) (الكوثر:2) و لشيخ الإسلام كلام جميل في معنى هذه الآية الكريمة حيث قال : أمر الله أن يجمع هاتين العبادتين العظيمتين و هما الصلاة و النسك الدالتان على القرب و التواضع و الافتقار و حسن الظن و قوة اليقين و طمأنينة القلب إلى الله و إلى عدته و أمره و فضله عكس أهل الكبر و النفرة و أهل الغنى عن الله الذين لا حاجة في صلاحهم إلى ربهم و الذين لا ينحرون له خوفا من الفقر و تركا لإعانتة الفقراء و إعطائهم و سوء الظن منهم برهيم و لهذا جمع بينهما في قوله تعالى : (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ) (الأنعام:162) و النسك هو الذبيحة إبتغاء وجهه و هي أجل العبادات المالية و يجتمع للعبد في نحره من إيثار الله و حسن الظن به و قوة اليقين و الوثوق بما في يد الله أمر عجيب إذا قارن ذلك الإيمان و الإخلاص.

و قد امثل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أمر ربه فكان كثير الصلاة لربه كثير حتى يجر بيده في حجة الوداع ثلاثا و ستين بدنة و كان ينحر في الأعياد و غيرها) (مجموع الفتاوى 16 / 531 ، 532)
فإذا تقرر أن الذبح من العبادات التي يجب صرفها لله وحده فمن ذبح لغير الله فقد أشرك و لذا يقول المؤلف - في إحدى رسالته - (فمن ذبح لغير الله من جني أو قبر فكما لو سجد له) (الدرر السننية 54/2)¹⁴⁷
قوله - رحمه الله - : (و قل له أيضا : المشركون الذين نزل فيهم القرآن هل كانوا يعبدون الملائكة و الصالحين و الات و غير ذلك ؟ فلا بد أن يقول نعم. فقل له : و هل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء و الذبح و الإلتجاء و نحو ذلك و إلا فهم مقرون أنهم عبيده و تحت قهره و أن الله هو الذي يدبر الأمر و لكن دعوهم و التحوُّوا إليهم للجاه و الشفاعة و هذا ظاهر جدا).

قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ : تقدم الجواب الأول و هو جواب كاف و اف و أردفه بهذا الجواب الثاني عن شبهته السابقة - كما هو شأنه رحمه الله يذكر جوابا و افيا ثم يزيده الجواب و الجوابين و الثلاثة - و هي قوله : أنا لا أعبد إلا الله و هذا الإلتجاء إليهم و دعاؤهم ليس بعبادة.¹⁴⁸

قال الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف :

هذا كلام ظاهر فمن دعا الصالحين و التجأ إليهم فهو مشرك من جنس مشركي العرب الذين يعبدون الملائكة و الصالحين و يدعوهم و يذبحون لهم.

و مراد المؤلف بقوله (و إلا فهم مقرون أنهم عبيده و تحت قهره) أي خاضعون و منقادون لربوبيته و تدبيره - كما سبق إيراده.¹⁴⁹

¹⁴⁷تعليقات كشف الشبهات ص: 59-60

¹⁴⁸شرح كشف الشبهات ص: 70

¹⁴⁹تعليقات على كشف الشبهات ص: 61

قوله - رحمه الله - : (أ تنكر شفاعة رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و تبرأ منها ؟ فقل : لا أنكرها و لا أتبرأ منها بل صَلَّى الله عليه و سلم الشافع المشفع و أرجو شفاعته و لكن الشفاعة كلها لله كما قال تعالى : (قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً) (الزمر: من الآية 44) و لا تكون إلا بعد إذن الله كما قال تعالى : (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) (البقرة: من الآية 255) و لا يشفع النبي صَلَّى الله عليه و سلم في أحد إلا بعد أن يأذن الله فيه كما قال تعالى : (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى) (الانبياء: من الآية 28) و هو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد كما قال تعالى : (وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ) (آل عمران: من الآية 85) فإذا كانت الشفاعة كلها لله و لا تكون إلا من بعد إذن الله و لا يأذن الله إلا لأهل التوحيد تبين لك أن الشفاعة كلها لله و أطلبه منه فأقول : اللهم لا محز مني شفاعته اللهم سفه في، و أمال هذا .)

قال الشيخ صالح بن فوزان : شفاعة النبي صَلَّى الله عليه و سلم لأهل الكبائر لا ينكرها إلا أهل الباطل و الفرق الضالة كالخوارج و المعتزلة أما أهل السنة و الجماعة فإن أصول عقيدتهم الإقرار بشفاعة النبي صَلَّى الله عليه و سلم و شفاعة الأولياء و الصالحين و لكنها لا تطلب منهم و هم أموات و إنما تطلب من الله لأن أحدا لا يشفع عند الله إلا من بعد إذنه و لا بد أن يكون المشفوع فيه ممن يرضى الله عنه من أهل التوحيد و النبي صَلَّى الله عليه و سلم و هو أعظم الشفعاء يوم القيامة إذا تقدم له أهل المحشر و طلبوا منه أن يشفع لهم عند الله في فصل القضاء بينهم فإنه لا يشفع ابتداء و إنما يستأذن ربه و يطلب منه أن يأذن له بالشفاعة فيحرر ساجدا بين يدي ربه و يدعوه و ينصرع إليه و يستمر حتى يقال له : يا محمد ارفع رأسك و سل تعط و اشفع تشفع (رواه البخاري 105/4 ، 106 ، و مسلم 184/1 - 186) و لكن كيف تطلب الشفاعة ؟ الشفاعة تطلب من الله و لا تطلب من المخلوق فنقول : اللهم لا تحرمني شفاعة نبيك اللهم شفعه في و أمثال هذا و النبي صَلَّى الله عليه و سلم بعد موته لا تطلب منه شيء و لا شفاعة و لا غيرها لأن طلب الأشياء من الأموات شرك أكبر.¹⁵⁰

قال الشيخ محمد بن إبراهيم أهل الشيخ :

... هذا شأن أعداء الله القبوريين إذا أنكر عليهم الباطل قالوا هذا إنكار للحق و إذا أنكر عليهم دعاء غير الله قالوا هذا إنكار للشفاعة من شأن أهل الباطل المشهين أهل الشرك المباهة و إلباسهم أهل الحق الشبهة

الباطلة إذا أنكر عليهم دعاء غير الله و شركياتهم و ضلالاتهم أخذوا في الطعن على التوحيد قالوا إنكم تنكرون الشفاعة و أنتم تنقصون الأولياء و الصالحين - و ليس كذلك - خالفوا طريقة الرسل و الزموم أن يكونوا راضين بذلك و هذا عكس ما دعوهم إليه.¹⁵¹

قال الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف : يظن الخصم أن هذه الشبهة الزما لأهل التوحيد يتجويزه دعاء الرسل صَلَّى الله عليه و سَلَّم و طلب الشفاعة منه فإثبات الشفاعة للرسل و غيره من الشفعاء عند أولئك الخصوم - تعني سؤالهم و دعاءهم

و قد رد المؤلف - و انصار دعوته - على من ألصق بهم فرية إنكار شفاعة الرسول صَلَّى الله عليه و سَلَّم فقال : (يزعمون أننا ننكر شفاعة الرسول صَلَّى الله عليه و سَلَّم فنقول سبحانك هذا بهتان عظيم بل نشهد أن رسول الله صَلَّى الله عليه و سَلَّم الشافع المشفع صاحب المقام المحمود نسأل الله رب العرش العظيم أن يشفعه فينا و أن يحشرنا تحتي لوائه) (دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ ص: 286-287 و مؤلفات الشيخ 47/5 ، 113/5 و الهدية السنوية ص : 42، 107 و مجلة البحوث العلمية 94 ص: 323)
فالنبي صَلَّى الله عليه و سَلَّم الشافع أى صاحب الشفاعة و المشفع أن تقبل شفاعته.

وقد أجاد شيخ الإسلام ابن تيمية في تقريره أن الشفاعة كلها لله تعالى فكان مما قاله : (قوله تعالى (وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ) (الزخرف: من الآية 86) هذا عام مطلق فإن أحدا - ممن يدعو من دونه - لا يملك الشفاعة بحال ولكن الله إذا أذن لهم شفَعوا من من غير أن يكون ذلك مملوكا لهم)
مجموع الفتاوى 14 / 397)

و قال أيضا : (فلا يملك مخلوق الشفاعة نحال ولا يتصور أن يكون بنى فمن دونه مالكا لها بل هذا ممتنع كما يمتنع أن يكون خالقا و ربا وهذا كما قال تعالى (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْ ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ) (سبأ: 22) فنفى الملك مطلقا ثم قال : (وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ) (سبأ: من الآية 23) فنفى نفى الشفاعة

¹⁵¹ شرح كشف الشبهات ص: 72

إلا لمن استثناه لم يثبت أن مخلوقا يملك الشفاعة بل هو سبحانه له الملك وله الحمد لا شريك له في الملك (مجموع الفتاوى 14 / 406)

و يقول الشيخ أحمد بن عيسى - في بيان أن الشفاعة ملك لله وحده- (قد أخبر تعالى أن الشفاعة جميعها له فمن طلبها من غير الله فقد طلبها ممن لا يملكها ولا يسمع ولا يستجيب و في غير الوقت الذي تقع فيه و لا قدرة له عليها إلا برضاه ممن هي له و اذنه فيها و قبوله. فطلبها ممن هي له في دار العمل عبادة من جملة العبادات و صرفها ذلك الطلب لغيره شرك عظيم.) (الرد على شبهات المستعنيين بغير الله ص: 45) و يقرر الشيخ عبد الرحمن بن حسن أن الشفاعة كلها لله تعالى قائلا : (و قوله تعالى : (قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا) (الزمر: من الآية 44) أي هو مالكها و ليس لمن تطلب منه شيء منها و إنما تطلب ممن يملكها دون كل ما سواه لأن ذلك عبادة و تأله لا يصلح إلا لله) (فتح المجيد 1 / 354)

و مما قرره الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن في شأن الشفاعة و أنها لا تطلب إلا من الله تعالى وحده حيث قال : (و حقيقتها أن الله إذا أراد رحمة عبده بنجته أذن لمن شاء في الشفاعة رحمة للمشفوع فيه و كرامة للشافع و قيدت الشفاعة المثبتة بقيود منها : إذنه تعالى للشافع، و لكن القيد و سره صرف الوجوه إلى الله و إسلامها له و عدم التعلف على غيره لأجل الشفاعة و لذلك يساق هذا بعد ذكر التوحيد و ما يدل على وجوب عبادة الله وحده ...) (محفة الطالب و الجليس ص: 93)¹⁵²

قوله - رحمه الله - (فإن قال : النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعطي الشفاعة و أنا أطلبه مما أعطاه الله تعالى. فجواب : أن الله أعطاه الشفاعة و هناك عن هذا فقال تعالى : (فَلَا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) (الجن: 18) فإن كنت تدعو الله أن يشفع نبيه فيك أطعه في قوله : (فَلَا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) (الجن: 18) و أيضا فإن الشفاعة أعطيها غير النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فصح أن الملائكة يشفعون و الأفرات يشفعون و الأولياء شيفعون ، أ تقول : إن الله أعطاهم الشفاعة و اطلبها منهم فإن قلت : هذا رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكرها الله في كتابه و إن قلت : لا يطل قولك أعطاه الله الشفاعة و أنا أطلبه مما أعطاه الله)

¹⁵² تعليقات كشف الشبهات ص: 61-66

قال الشيخ ابن العثيمين :

فالجواب من ثلاثة وجوه :

الأول : أن الله أعطاه الشفاعة و هناك أن تشرك به في دعائه (فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) (الجن: من الآية18)

الثاني : أن الله أعطاه الشفاعة و لكن صَلَّى الله عليه و سَلَّمَ لا يشفع إلا بإذن الله و لا يشفع إلا لمن ارتضاه الله و من كان مشركا فإن الله لا يرضيه فلا يأذن يشفع له كما قال تعالى أولا يشفعون (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى) (الانبياء: من الآية28)

أن الله أعطي الشفاعة غير محمد صَلَّى الله عليه و سَلَّمَ ... ثم إن هذا المشرك المشبه ليس يريد من رسول الله صَلَّى الله عليه و سَلَّمَ أن يشفع له و لو كان يريد ذلك لقال : (اللهم شفّع فيّ نبيك محمدا رسول الله صَلَّى الله عليه و سَلَّمَ) و لكنه يدعو رسول الله صَلَّى الله عليه و سَلَّمَ مباشرة و دعا غير الله شرك أكبر مخرج من الملة فكيف يريد هذا الرجل الذي يدعو مع الله غيره أن يشفع له أحدا عند الله ؟
و قال المؤلف : (إن الملائكة يشفعون و الأولياء يشفعون) سنده حديث أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه عن النبي صَلَّى الله عليه و سَلَّمَ الذي رواه مسلم مطولا و فيه يقول الله : (شفعت الملائكة و شفّع النبيون و شفّع المؤمنون)

الأفراط هم الذين ماتوا قبل البلوغ و سنده حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صَلَّى الله عليه و سَلَّمَ قال : (لا يموت لمسلم ثلاثة و الولد فيلج النار إلا مخلة القسم) أخرجه البخارى و له عنه و عن أبي سعيد من حديث آخر (لم يبلغوا الحنث)¹⁵³

قال الشيخ صالح بن فوزان :

أي ليس من لازم إعطاء النبي صَلَّى الله عليه و سَلَّمَ و غير الشفاعة جواز طلبها منهم و هم أموات بدليل أن الله سبحانه نفى أن يشفع أحد عنده إلا بإذنه و رضاه عن المشفوع فيه و لأن طلب الشفاعة من

الأموات شرك و الله قد حرم الشرك و أحبط عمل صاحبه و حرم عليه الجنة و قد أنكر سبحانه على الذين يدعون غيره و يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله و نزه نفسه عن ذلك و سماه شركا و أيضا إعطاء الله الشفاعة ليس خاصا بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ فهل كل من أعطى الشفاعة تطلب منه من دون الله كما كان المشركون الأولون يفعلون ذلك (وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ) (يونس: من الآية 18)¹⁵⁴

قال الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف :

قال الأمير الصنعاني : (فجعل الله إتخاذهم للشفعاء شركا و نزه نفسه عنه لأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه فكيف يثبتون شفعاء لهم لم يأذن الله لهم في الشفاعة و لا هم أهل لها و لا يغنون عنهم من الله شيئا) (تطهير الإعتقاد ص: 8)

كما لا يوجد دليل على دعواهم بتجويز طلب الشفاعة من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ بعد وفاته و لذا قال الشيخ - في إحدى رسائله - : (القائل أنه يطلب الشفاعة بعد موته يورد علينا الدليل من كتاب الله أو من سنة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أو من إجتماع الأمة و الحق أحق أن يتبع) (مؤلفات الشيخ 48/5) قد قرر الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بقوله : (و ليس قولهم إنه أعطي الشفاعة بمعنى ملكها و حازها كسائر العطايا و الاملاك التي يعطاها البشر و أيضا فإن الله يعطى رسله و أوليائه ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر أ فيقال أن الله أعطاهم ذلك و ملكهم إياه فيطلب منهم و يرغب إليهم فيه فإن كان ذلك مشروعا و سائغا فالشفاعة قيدت بقيود لم تقيد بها هذه العطايا و المواهب السنية و قد قال تعالى (قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (الزمر: من الآية 44) و قد قال تعالى : (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى) (الانبياء: من الآية 28) و قال تعالى : (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) (البقرة: من الآية 255) (مصباح الظلام ص: 255)¹⁵⁵

¹⁵⁴ شرح كشف الشبهات ص: 86-87

¹⁵⁵ تعليقات على كشف الشبهات ص: 60-61

قوله - رحمه الله - : (فإن قال أنا لا أشرك بالله حاشا و كلا و لكن الإلتجاء إلى الصالحين ليس بشرك .
فقل له : إذا كنت تقر أن الله حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا و تقر أن الله لا يغفره فما هذا الأمر الذي
حرمه الله و ذكر أنه لا يغفره ؟ فإنه لا يدري . فقل له : كيف تبرىء نفسك من الشرك و أنت لا تعرفه ؟
أم كيف يحرم الله عليك هذا و يذكر أنه لا يغفره و لا تسأل عنه و لا تعرفه ؟ أ تظن أن الله يحرمه و لا يبينه
لنا ؟

فإن قال : الشرك عبادة الأصنام و نحن لا نعبد الأصنام . فقل له : ما معنى عبادة الأصنام ؟ أ تظن أنهم
يعتقدون أن تلك الأخشاب و الأحجار تخلق و ترزق و تدبر أمر من دعاها ؟ فهذا يكذبه القرآن
و إن قال : هو من قصد خشبة أو حجرا أو بنيه على قبر أو غيره يدعون ذلك و يذبحون له و يقولون إنه
يقربنا إلى الله زلفى و يدفع الله عنا بركته أو يعطينا بركته .
فقل صدقت و هذا هو فعلكم عند الأحجار و الأبنية التي على قبور و غيرها . فهذا أقر أن فعلهم هذا هو
عبادة الأصنام فهو المطلوب .

و يقال أيضا قولك الشرك عبادة الأصنام هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا و أن الإعتماد على الصالحين و
دعائهم لا يدخل في ذلك ؟ فهذا يردده ما ذكر الله في كتابه من كفر من تعلق على الملائكة أو عيسى أو
الصالحين فهو الشرك المذكور في القرآن و هذا هو المطلوب
و سر المسألة : أنه إذا قال أنا لا أشرك بالله . فقل له : و ما الشرك بالله ؟ فسر له ! فإن قال : هو عبادة
الأصنام . فقل : و ما معنى عبادة الأصنام ؟ فسر له ! فإن قال أنا لا أعبد إلا الله فقل : ما معنى عبادة الله
؟ فسر له ! فإن فسرها بما بينه القرآن فهو المطلوب . و إن لم يعرفه فكيف يدعى شيئا و هو لا يعرفه ؟
و إن فسره بغير معناه بينت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله و عبادة الأوثان و أنه الذي يفعلونه
في هذه الزمان بعينه

و أن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرون علينا و يصبحون فيه كما صاح اخوانهم حيث قال
(أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ) (ص:5)

قال الشيخ ابن العثيمين : إذا قال هذا المشرك أنا لا أشرك بالله ... إلى ليس بشرك

فجوابه : أن يقال أ لست تقر أن الله حرم الشرك أعظم من تحريم الزنى و أن الله لا يغفره فما هذا الشرك ؟ فإنه سوف لا يدري و لا يجيب بصواب ما دام يعتقد ما دام طلب الشفاعة من رسول الله صلى الله عليه و سلم ليس بشرك فهو دليل على أنه لا يعرف الشرك الذي عظمه الله و قال فيه : (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) (لقمان: من الآية 13)

و قوله (فقل كيف تبرئ نفسك) إلح يعنى إذا برأ نفسه من الشرك يلجؤه إلى الصالحين فجوابه من وجهين :

الأول : إن يقال : كيف تبرئ نفسك من الشرك و أنت لا تعرف ؟ و هل الحكم على الشيء إلا بعد تصويره فحكمك براءة نفسك من الشرك الذي حرمه الله تعالى أعظم من تحريم قتل النفس و الزنى و أوجب لفاعله النار و حرم عليه الجنة ؟ أ تظن أن الله حرمه على عباده و لم يبين لهم ؟ حاساه من ذلك و إذ قال لك المشبه : الشرك عبادة الأصنام و نحن لا نعبد الأصنام فأجبه بجوابين :

الأول : قل : ما هي عبادة الأصنام ؟ أ تظن أ من عبدها يعتقد أنها تخلق و ترزق و تدبر الأمر من دعاها ؟ فإن زعم ذلك فقد كذبه القرآن. إن قال عبادة الأصنام أن يقصد خشبته أ حجرا أو بنية على قبر أو غيره يدعون ذلك و يذبحون له و يقولون إنه يقربنا إلى الله زلفى. قلنا : صدقت و هذا هو فعلك سواء بسواء و عليه فتكون مشركا باقرارك على نفسك و هذا هو المطلوب.

و الجواب الثانى : أن يقال : هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا (بعبادة الأصنام) و أن الإعتماد على الصالحين و دعاء الصالحين لا يدخل في ذلك و هذا يرده القرآن. فلا بد أن يقر لك بأن من أشرك في عبادة أحد من الصالحين فهو الشرك المذكور في القرآن و هذا هو المطلوب

و قوله (و سر المسألة) يعنى ليها أنه إذا قال أنا لا أشرك بالله فاسأله ما معنى الشرك ؟ فإن قال هو عبادة الأصنام. فاسأله ما معنى عبادة الأصنام ؟ ثم حادله على ما سبق بيانه.

و إذا ادعى هذا المشرك أنه لا يعبد إلا الله وحده فاسأله : ما معنى عبادة الله وحده و حينئذ لا يخلو من ثلاث حالات :

الأولى : أن يفسرها بما دل عليه القرآن فهذا هو المكلوب و المقبول و به يتبين أنه لم يحقق عبادة الله وحده حيث أشرك به.

الثانية : أنه لا يعرف معناها فيقال : كيف تدعى شيئاً و أنت لا تعرفه ؟ أم كيف تحكم به لنفسك و الحكم على الشي فرع عن تصوره ؟

الثالثة : أن يفسر عبادة بغير معناها و حينئذ يبين له خطؤه ببيان المعنى الشرعى للشرك و عبادة الأوثان و أنه الذي يفعلونه بعينه و يدعون أنهم موحدون غير مشركين.

و يبين له أيضا أن عبادة الله وحده هي التي ينكرونها علينا و يصرخون بها علينا كما فعل ذلك أسلافهم حين قالوا للرسول صلى الله عليه و سلم : (أَجْعَلِ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ وَأَنْطَلِقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ) (ص:5-7)¹⁵⁶

قال الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف : و قد عرف العلماء الشرك تعرفا جامعاً و شاملاً لأنواعه : كما في التعريفات

قول شيخ الإسلام ابن تيمية : (و أصل الشرك أن تعدل بالله تعالى مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده فإنه لم يعدل بالله شيئاً من المخلوقات في جميع الأمور فمن عبد غيره أو توكل عليه فهو مشرك) (الإستقامة 44/1)

و يقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن : (الشرك قد عرفه النبي صلى الله عليه و سلم بتعريف جامع كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : يا رسول الله أي الذنب أعظم ؟ قال : (أن تجعل لله نداً و هو خلقك) (أخرجه البخارى (163/8) ح (4477) و مسلم (90/1) ح (141) و الند : الشبيه و المثل فمن صرف شيئاً من العبادات لغير الله فقد أشرك به شركاً يبطل التوحيد و ينفيه) (الدرر السنية 153/2)

و عرف الشيخ عبد الرحمن السعدي هذا الشرك بتعريف جامع مانع فقال : (إن حد الشرك الأكبر و تفسيره الذي يجمع أنواعه و أفراده أن يصرف العبد نوعا أو فردا من أفراد العبادة لغير الله تعالى فلكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع فصرفه لله وحده توحيد و إيمان و إخلاص و صرفه لغير الله شرك و كفر فعليك بهذا الضابط للشرك الأكبر الذي لا يشذ عنه شيء) (القول السديد ص: 43 و الحق الواصح المبين ص: 59)¹⁵⁷

قوله - رحمه الله - : (فإن قال : إنهم لا يكفرون بدعاء الملائكة و إنما يكفرون لما قالوا : الملائكة بنات الله فإننا لم نقل عبد القادر ابن الله و لا غيره .

فالجواب : أن نسبة الولد إلى كفر مستقل قال الله تعالى : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) (الإخلاص: 1-4)

و الأحد الذي لا نظير له و الصمد المقصود في الحوائج فمن جحد هذا فقد كفر و لو لم يجحد السورة و قال الله تعالى : (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ) (المؤمنون: من الآية 91) ففرق بين النوعين و جعل كلا منهما كفرا مستقلا و قال تعالى : (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ) (الأنعام: من الآية 100) ففرق بين كفرين .

و الدليل على هذا أيضا : أن الذين كفروا بدعاء الات مع كونه رجلا صالحا لم يجعلوه ابن الله و الذين كفروا بعبادة الجن لم يجعلوهم كذلك .

و كذلك أيضا العلماء في جميع المذاهب الأربعة يذكرون في (باب حكم المرتد) أن المسلم إذا زعم أن لله ولدا فهو مرتد و يفرقون بين النوعين و هذا في غاية الوضوح .
و إن قال : (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (يونس: 62) فقل : هذا هو الحق و لكن لا يعبدون .

و نحن لم ننكر إلا عباهم مع الله و شركهم معه و الا فالواجب عليك حبهم و اتباعهم و الإقرار بكرماتهم و لا يجحد كرامات الأولياء إلا أهل البدع و الضلال و دين وسط بين طرفين و هدى بين ضلالتين و حق بين باطلين)

قال الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف : قوله (فإن قال : إنهم لا يكفرون بدعاء الملائكة) أحاب المؤلف - رحمه الله - عن هذه الشبهة من أربعة أوجه :

الوجه الأول : أن نسبة الولد إلى الله كفر مستقل. قال تعالى : (قل هو الله أحد) إلى آخر السورة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - (قوله تعالى : (و لم يكن له صاحبة) نفى الولادة المعهودة و قوله : (و خلق كل شيء) نفى للولادة العقلية و هي التولد لأن خلق كل شيء ينافي تولدها عنه) (مجموع الفتاوى 442/2)

و في الحديث يقول تعالى : (يشمئني ابن آدم و ما ينبغى له ذلك و يكذبني ابن آدم و ما ينبغى له ذلك فأما شتمه إياي فقله إني اتخذت ولدا و أنا الأحد الصمد الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد) (أخرجه البخارى (287/6) ح (3193)

الوجه الثاني : أن الله فرق بين الكافرين : نسبة الولد إلى الله و اتخاذ شركاء مع الله تعالى كما في قوله تعالى :

(مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ) (المؤمنون: من الآية 91)

الوجه الثالث : أن الذين كفروا بدعاء اللات مع كونه رجلا صالحا لم يجعلوه ابن الله.

الوجه الرابع : أن العلماء في جميع المذاهب الأربعة يذكرون في حكم المرتد أن المسلم إذا زعم أن الله ولدا فهو مرتد و يفرقون بين النوعين - السابقين - و هذا ظاهر لا خفاء فيه.

فإن احتج المؤلف بهذه الآية (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (يونس: 62) تجويز دعاء الصالحين و سواهم. و الدليل حق و صواب و لكن استدلاله في غاية الفساد. فإن الله تعالى أكرم أولياءه بالأمن و الحياة الصيبة حيث قال تعالى : (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) (يونس: 62-63)

و ذلك بسبب اعانهم و تقواهم و تمام عبوديتهم لله تعالى وحده لا شريك له و من ثم تعين حبهم و تقديرهم

و الإقرار بكرامتهم الثابتة لهم دون غلو أو إفراط فلا يعبدون مع الله تعالى و هذا هو المسلك الوسط و العدل بين طرفي الإفراط و التفريط و الجفاء و الغلو.
كما قال المؤلف في إحدى رسائله : (و أما الصالحون فهم على صلاحهم و لكن نقول ليس لهم شيء في الدعوة قال الله تعالى : (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) (الجن:18) (مؤلفات الشيخ
101/5)

قال العلامة السعدي - رحمه الله - : (و الناس في معاملة الصالحين ثلاثة أقسام :
أهل الجفاء الذين يهضمونهم حقوقهم لا يقومون بحقوقهم من الحب و الموالاتة لهم و التوقير و التبجيل
و أهل الغلو الذين يرفعون فوق منزلتهم التي أنزلهم الله بها

و أهل الحق الذين يحبونهم و يواليهم و يقومون بحقوقهم الحقيقة و لكنهم يرفعون من الغلو فيهم و ادعاء
عصمتهم) (القول السديد 76 ، 77)

و قول الشيخ (و يجحد كرامات الأولياء إلا أهل البدع) : كالمعتزلة و من تبعهم فقد كذب أكثر المعتزلة
بالكرامات و قالوا : لا تخرق العادة إلا لنبي (النبوات لابن تيمية ص: 5 ، 67)
مع أن كرامات الأولياء من معجزات الأنبياء و آياتهم فهي لا تعارض معجزات الأنبياء فإنما وقعت الكراما
للأولياء بسبب اتباعهم للأنبياء (النبوات لابن تيمية ص: 4 ، 10 ، 121 ، 282 و مدارج السالكين
505/2)

و مما يحسن التبيه إليه ان الكرامة ليست من لوازم علو المرتلة فقد يعطى ضعيف الإيمان الكرامة لتقوية إيمانه و
سد حاجته (مجموع الفتاوى 283/11)

يقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن : ليست الكرامة من لوازم المرتلة و علة الدرجة مشى
قوم فوق البحار و مات عطشا من هو أفضل منهم و أقوى إيمانا و قد كثرت في القرن الثاني و الثالث و في
القرن الأول من هو أفضل و أحل ممن وقعت له هذه الخوارق (محفة الطالب و الجليس ص: 72)¹⁵⁸

¹⁵⁸تعليقت على كشف الشبهات ص: 78-79

قوله - رحمه الله - : (فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا (كبير الإعتقاد) هو الشرك الذي في القرآن و قاتل رسول الله صلى الله عليه و سلم الناس عليه فاعلم أن الشرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين : أحدهما : أن الأولين لا يشركون و لا يدعون الملائكة و الأولياء و الأوثان مع الله إلا في الرخاء و أما الشدة فيخلصون لله الدعاء كما قال الله تعالى : (وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ فَلَمَّا نَجَّكُم إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا) (الاسراء:67) و قوله : (قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلْ إِلَاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ) (الأنعام:40-41) و قوله : (وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ) إلى قوله (تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) (الزمر:8)

و قوله تعالى : (وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) (لقمان: من الآية32) قال الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف : قوله فإذا عرفت ... إلى (كبير الإعتقاد) كقوله - في مطلع هذه الرسالة (و عرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا الإعتقاد)

فشرك المتأخرين أعظم و أشنع من شرك الأولين بأمرين : أحدهما : أن مشركي زماننا يشركون في الرخاء و الشدة و أما المشركون الأولون فيشركون في الرخاء و يخلصون في الشدة كما دلت ذلك الأدلة التي ساقها المصنف كما قال الشيخ المصنف في أحد كتبه (واعلم أن المشركين في زماننا قد زادوا على الكفار في زمان النبي صلى الله عليه و سلم بأنهم يدعون الأولياء و الصالحين في الرخاء و الشدة و يطلبون منهم تفريج القربات و قضاء الحاجات) (تاريخ ابن غنام 99/2 و منهاج التأسيس ص: 50-55)

و قد أورد حسين بن مهدي النعمى و حسين بن غنام و الصنعاني - رحمهم الله - و غيرهم أمثلة متعددة و مظاهر متنوعة لمشركين هذا الزمان و ما وقعوا فيه من الشرك في الرخاء و الشدة (معارج الألباب للنعمى ص: 181-187 تاريخ ابن غنام 11/1-19 و تطهير الإعتقاد ص: 21 و رحلة الصديق إلى بيت العتيق ص: 171)

و الأمر الثاني : أن الأولين يدعون مع الله أناسا صالحين أو أشجارا أو أحجارا خاضعة مطيعة لله تعالى و أما مشركو هذا الزمان فيدعون مع الله تعالى أناسا يحكون عنهم أعظم الفسق و الفساد.
و من ذلك ما يفعل بعض أهل نجد عند قبّة أبي طالب و هم يعلمون انه حاكم متعدي غاصب حيث كان يخرج إلى بلدان نجد و يضع عليهم خراجا من المال فإن اعطى ما أراد انصرف و إلا عاداهم و حاربهم فصاروا يأتون قبره و يستغيثون به عند حلول المصائب (تاريخ ابن غنم 13/1)
و حكى الشيخ عبد الرحمن بن حسن ما عليه بعض المصريين تحاه أحمد البدوي فقال : (كما جرى لأهل مصر و غيرهم فإن أعظم المههم أحمد البدوي و هو لا يعرف له أصل و لا فضل و لا علم و لا عبادة و مع هذا فصار أعظم التهم مع أنه لا يعر إلا أنه دخل مسجد يوم الجمعة فيال فيه ثم خرج و لم يصل) (قرّة عيون الموحدين ص: 114)

و قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن - في هذا المقام : (و قد حدثني خليل الرشيدى بالجامع الأزهر أن بعض أعيان المدرسين هناك قال : لا يدق و تد في القاهرة إلا بأذن أحمد البدوي قال : فقلت له : هذا لا يكون إلا لله. فقال : حبي في سيدى أحمدوى اقتضى هذا و حكى أن رجلا سأل الآخر : كيف رأيت الجمع عند زيارة الشيخ الفلاني ؟ فقال : لم أر أكثر منه إلا في حبال عرفات إلا إني لم أرهم سجدوا لله قط و لا صلوا مدة ثلاثة أيام ...) (منهاج التأسيس ص: 33 ، معارج الألباب لحسن النعمى ص: 177)¹⁵⁹

قوله - رحمه الله - : (فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه و هي أن المشركين الذين قاتلهم النبي صاى الله عليه و سلّم يدعون الله و يدعون غيره في الرخاء أما في الضراء و الشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له و ينسون سادتهم تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا و شرك الأولين و لكن اين من يفهم فليه هذه المسألة فهما رسخا و الله المستعان)

قال الشيخ ابن العثيمين :

و لكن اين من يفهم قلبه أكثر الناس في غفلة عن هذا و أكثر الناس يلبس عليهم الحق الباطل فيظنون الباطل
حقا كما يظنون الحق باطلا.¹⁶⁰

قوله - رحمه الله - : (الأمر الثاني : أن الأولين يدعون مع الله أناسا مقرين عند الله إما أنبياء و إما أولياء و
إما ملائكة أو يدعون أشجارا أو أحجارا مطيعة ليست عاصية و أهل زماننا يدعون أناسا من أفسق الناس و
الذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا و السرقة و ترك الصلاة و غير ذلك)
قال الشيخ صالح بن فوزان : و أما المشركون المتأخرون فيدعون فجرة الخلق و أشد كفرا و فسقا ممن
يزعمون لهم الكرمات و سقوط التكليف عنهم من ملاحدة الصوفية الذين يستحلون المحرمات و يتركون
الواجبات كالبدوى و الحلاج و ابن عربي و أضراهم من أئمة الملاحدة فيدعونهم و هم يشادهم يفعلون
الفوحش و يتركون الفرائض و يزعمون أن هذا من كرماتهم و فضلهم حيث سقطت عنهم التكليف¹⁶¹
قال الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف : و قوله : و الذي يعتقد في الصالح إلى ... فيما يشاهد فسقه و
فساده و لشهد به) و كذا فإن دواعي الفتنة بالصالحين و الغلو فيهم أظهر و أقرب منها في غيرهم
بل زاد مشركون زماننا على أسلافهم بأمر ثالث و هو أن مشركي هذا الزمان يعتقدون في أولئك الأولياء
أهم يدبرون الكون و يتصرفون في قضته و بسطه فجمعوا بين الشرك في الربوبية و الإلهية مع أ مشركي
العرب كانوا يعتقدون أن النفع و الضر بيد الله تعالى وحده فأثبتوا الربوبية لله تعالى وحده.
و قد كشف حسين بن مهدي النعمي حال مشركي هذا الزمان و ما وقعوا فيه من الشرك في الربوبية و
ألمية و كان مما قاله : (و حاصل معتقدهم أن للولى اليد الطولى في الملك و المكوت ... و من ذلك أن حيا
من أهل البدوى إذا أرسلوا أنعامهم للمرعى قالوا : في حفظك يا فلان يعنون ساكن مشهدهم ...
و منهم من يخاطب الولى بزعمه فيقول : يا خالق الولد الذي تخلقه مطهور
و لقد تجاسر بعض العامة فقال : (و الله أما الولى فإنه يحي الموتى أما الولى فلان فإنه حي لا يموت) ()
معارج الألباب ص: 170 ، 173 ، 179)¹⁶²

¹⁶⁰ شرح كشف الشبهات ص: 78

¹⁶¹ شرح كشف الشبهات ص: 92

¹⁶² تعليقات على كشف الشبهات ص: 83-84

قوله - رحمه الله - : (و الذي يعتقد في الصالح أو الذي لا يعصى مثل الحشب و الحجر أهون ممن يعتقد
 فيمن يشاهد فسقه و فساده و يشهد به
 و إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم أصح عقولا و أخف شركا من هؤلاء فاعلم
 أن هؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا و هي من أعظم شبههم فأصغ سمعك لجوابها و هي :
 أنهم يقولون : إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله و يكذبون الرسول صَلَّى الله عليه و
 سلم و ينكرون البعث و يكذبون القرآن و يجعلون سحرا و نحن نشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول
 الله و نصدق القرآن و نؤمن بالبعث و نصلى و نصوم فكيف تجعلوننا مثل أولئك
 فالجواب : أنه لا خلاف بين العلماء أن الرجل إذا صدق الرسول صَلَّى الله عليه و سلم في شيء و كذبه في
 شيء أنه كافر لم يدخله في الإسلام و كذا إذا آمن ببعض القرآن و جحد بعضه ؟ كمن أقر بالتوحيد و
 جحد وجوب الصلاة أو أقر بالتوحيد و الصلاة و جحد وجوب الزكاة أو أقر بهذا كله و جحد بالصوم أو
 أقر بهذا كله و جحد الحج و لما لم ينقد في أناس في زمن النبي صَلَّى الله عليه و سلم للحج أنزل الله في
 حقهم (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) (آل
 عمران: من الآية 97)

قال الشيخ ابن العثيمين : إن العلماء أجمعوا على من كفر ببعض ما جاء به الرسول صَلَّى الله عليه و سلم و
 كذب به فهو كمن كذب بالجميع و من كفر بنبي من الأنبياء ؟ كمن كفر بالجميع لقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ
 يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ
 يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا) (النساء: 150-151) و قوله تعالى في بني إسرائيل :
 (أَفْتَوْمُنُونَ بَعْضُ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ
 الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (البقرة: من الآية 85)¹⁶³

قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ : (فالجواب) عما اعترضوا به من هذه الفروق التي زعموا أنها
 تؤثر أن الفروق منقسمة إلى قسمين فرق يؤثر و فرق لا يؤثر. فإنه إجماع أن هذه الفروق لا يؤثر (أن)
 مخففة (لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم في شيء و كذبه
 في شيء أنه كافر لم يدخله في الإسلام) بالإجماع يعني أنه ليس بمسلم و لا عنده من الإسلام شعرة فإذا

كذبه في واحد و صدق في الألوف من الصلاة و الصدقة و نحو ذلك فهو قاض على تلك الألوف فإذا كان من صدقه في شيء و كذبه في شيء فهو كافر فكيف بالتوحيد الذي هو أعظم فريضة جاء بها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ عمد إلى زيادة الرسالة و جعل لفاظر الأرض و السموات شريكا في العبادة فصرفه له الدعاء الذي هو مخ العبادة و حالصها إ أن يدعو غيره و حده أ يجعله شريكا له.

فإذا كانت تلك الفروق و لا تؤثر فكيف بالتوحيد؟ لكن و العياذ بالله طمس على قلوبهم الشرك و امتزت به فإن أهل هذه الشبهة من أهل الجهلات و الضلالات فإن صاحب النظر المصنف إذا نظر إلى هذه الشبهة لقيهم مفاليس من العلم بالمرّة (و كذا إذا آمن بالقرآن و جحد بعضه) و لو حرف واحد أنكره و جحدته أو جحد شيئا مما ثبت عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ فهو كافر ظاهر أي كفر فوق كفر تكذيب الله و رسوله (كمن أقر بالتوحيد) لفظا و معنى (و جحد) فرعا من فروع الشريعة معلوم أن الرسول جاء به (وجوب الصلاة) الذي يجحد الصلوات الخمس كافر بالإجماع و لو أنه يفعلها و جاء بالتوحيد (أو أقر بالتوحيد و الصلاة و جحد وجوب الزكاة) و لو كان يؤديها فهو كافر بإجماع الأمة لتكذيبه الله و رسوله (أو أقر بهذا كله و جحد بالحج) إلى البيت و إن كان يحج فهو كافر بإجماع لتكذيبه الله و رسوله و رده إجماع الأمة.

و كذلك منع الزكاة بخلا (كفر دون كفر) محلاف الجاحد. فأما ترك الصلاة تمأونا فاختيار أحمد و حكمي و اسحا بن راهويه كفر بالإجماع

(و من كفر بهذا كله و جحد البعث) أي جحد بعث هذه الأجسام بعد بلائها و إعادة أرواحها إليها يوم القيامة (كفر بالإجماع) بإجماع أهل العلم (و حل دمه و ماله) و لم ينفعه الإقرار بما أقر به. و لا يشترط أن لا يكون كفرا إلا إذا كفر بجميع ذلك كله بل هو كفر نوعي فإن الكفر كفران : كفر كلي و كفر نوعي و لا فرق بينهما. من كفر ببعض فكمن بالكل لا فرق.¹⁶⁴

قال الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف : عند قوله (فالجواب ... إلى قوله : لم يدخله في الإسلام) : كالنصراني الذي يقر بنبوّة محمد صلّى الله عليه و سلّم و لكن يدعى أنه رسول الله إلى العرب خاصة و ينكر أن يكون رسولا إلى الناس كافة فهذا النصراني كافر بذلك الإنكار.

فالمؤلف - رحمه الله - يقرر جوابا عن هذه الشبهة - أن الشخص يكفر بلبسه بأحد نواقض الإسلام فليس من شرط التكفير أن يكفر أو يكذب بجميع ما أنزل الله على نبيه صلّى الله عليه و سلّم. يقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن - جوابا عن هذه الشبهة : (لا يشترط في التكفير أن يكفر المكلف بجميع ما جاء به الرسول بل يكفي في الكفر و الردة و العياذ بالله أن يأتي بموجب ذلك و لو في بعض الأصول و هذا ذكر الفقهاء من أهل كل مذهب من أراد الوقوف على جرئيات و فروع في الكفر و الردة فعليه بما صنف في ذلك كالإعلام لابن حجر الهيتمي و ما عقده الفقهاء من أهل مذهب في باب حكم المرتد) (منهاج التأسيس ص: 47)

و قال المصنف في مسائل ذكرها عند قوله تعالى : (وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ) (البقرة: من الآية 130) : (أنه بين أن ملة إبراهيم هي الإسلام و منه تعظيم البيت و حجه و مع إقرار علماء أهل الكتاب لذلك يرغبون عنه و هذه مسألة مهمة يدل عليه قوله صلّى الله عليه و سلّم (و من رغب عن سنتي فليس مني ...) فإذا عرفت ملته فالواجب الإتيان لا مجرد الإقرار مع الرغوب عنها) (مؤلفات الشيخ 35/4¹⁶⁵)

قوله - رحمه الله - : (و من أقر بهذا كله و جحد البعث كفر بالإجماع و حل دمه و ماله. كما قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا) (النساء : 151-150))

فإذا كان الله قد صرح في كتابه من آمن ببعض و كفر ببعض فهو الكافر حقا زالت هذه الشبهة و هذه هي التي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الذي ارسل إلينا.

و يقال ايضا إذا كنت تقر أن من صدق الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل شيء و جحد و جوب الصلاة انه كافر حلال الدم و المال بالإجماع و كذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث و كذلك لو جحد و جوب صوم رمضان و صدق بذلك كله و لا تختلف المذاهب فيه و قد نطق به القرآن كما قدمنا. فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و هو أعظم من الصلاة و الزكاة و الصوم و الحج فكيف جحد الإنسان شيئا من هذه الأمور كفر و لو عمل بكل ما جاء به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ و إذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسول كلهم لا يكفر ؟ سبحان الله ما أعجب هذا الجهل !

قال الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف : قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (و لم يجيء إعداد العذاب المهين في القرآن الكريم إلا في حق الكفار) (الصارم المسلول ص: 52)

قوله : (و هذه هي التي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسله إلينا) لعله يقصد ببعض الأحساء : أحمد بن عبد الكريم فقد كتب لهذا الرجل رساله جوابا عما وقع فيه من الاشتباه و الأشكال حيث يفهم من هذه الرسالة أن أحمد بن عبد الكريم تلبس بهذه الشبهة فرعم أن من أظهر الإسلام لا يكفر و لا يقتل و إن وقع في ناقض من نواقض الإسلام فأجاب الشيخ عن هذه الشبهة و أورد الأدلة الشرعية و الوقائع التاريخية التي تقرر أن من أظهر الشرك أو الكفر فهو كافر حلال الدم و المال (مؤلفات الشيخ 212/5-224)

و قوله : (و يقال أيضا : إذا كنت أن من صدق الرسول ... إلى قوله : كما قدمنا) : فالصلاة و الصيام و نحوهما من الواجبات المتواترة فمن جحدها فقد كفر لأنه أنكر حكما معلوما من الدين بالضرورة) (انظر صحيح مسلم بالنووي 205/1 و مجموع الفتاوى 497/12 ، فتح الباري 202/12)

و قد أجمع العلماء على تكفير من أنكر حكما معلوما من الدين بالضرورة و حكى الإجماع غير واحد من أهل العلم (نواقض الإيمان القولية و العملية ص: 252-255)

و إن كان جاحد الصلاة أو الصيام كافرا و إن صلى و صام و عمل بكل ما جاء به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ فَإِن جاحد التوحيد أعظم كفرا فمن أعجب العجب أن يكون جاحد الصلاة أو الصيام كافرا عندهم و لا يكون جاحد التوحيد كافرا.¹⁶⁶

قوله - رحمه الله - : (و يقال أيضا : هؤلاء أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ قاتلوا بني حنيفة و قد أسلموا مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ و هم يشهدون أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ و يؤذنون و يصلون
فإن قال : أنهم يقولون مسيلمة : نبي

فقل هذا هو المطلوب إذا كان من رفع رجلا إلى رتبة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ كفر و حل دمه و ماله و لم تنفعه الشهدتان و لا الصلاة فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف أو صحابيا أو نبيا إلى مرتبة جبار السموات و الأرض ؟ سبحان الله ما اعظم شأنه (كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)
(الروم:59)

قال الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف - رحمه الله - : قال الشيخ المصنف - رحمه الله - : (ليتفطن العاقل لقصة واحدة منها : و هي أن بني حنيفة أشهر أهل الردة و هم الذين يعرفهم العامة من أهل الردة و هم عند الناس أقبح أهل الردة و أعظم كفرا و هم - مع هذا - يشهدون أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله يؤذنون و يصلون و مع هذا فإن أكثرهم يظنون أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أمرهم بذلك)
مؤلفات الشيخ 41/3)

و قال في موضع آخر : (فإذا عرفت أن العلماء أجمعوا أن الذين كفروا و رجعوا إلى عبادة الأوثان و شتموا الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ هم و من أقر بنبوة مسيلمة في حال واحدة و لو ثبت على الإسلام كله ...)
(مؤلفات الشيخ 361/1)

و مراد المؤلف إيراد قصة الردة ظاهرة ففيها رد على تلبس علماء السوء في زمانه حيث زعموا أن من قال لا إله إلا الله فهو مسلم و إن أظهر الكفر بقوله أو عمله.

قوله : (فإن قال : إنهم يقولون : أن مسيلمته نبي ... إلى قوله : الذين لا يعلمون) : فمن رفع رجلا - كمسيلمته الكذاب - إلى رتبة النبي فهو كافر حلال الدم و المال و إن صلى و صام و زعم أنه مسلم . فكيف بمن رفع مخلوقا - كائنا من كان - إلى مرتبة جبار السموات و الأرض ؟ فلا شك أن هذا أعظم كفرا و أظهر ردة .

قال المؤلف : قال تعالى : (وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (آل عمران:80) فنأمل هذه الآية فإذا كان الصحابة لو يفعلونها مع الرسول كفروا بعد إسلامهم فكيف بمن فعلها في تاج و أمثاله ؟) (مؤلفات الشيخ 16/4)

و أما يوسف و شمسان فهذه أسماء أناس طواغيت فأما تاج فهو من أهل الخرج تصرف إليه النذور و يدعى و يعتقد فيه النفع و الضر و كان يأتي إلى أهل الدرعية من بلده الخرج لتحصيل ماله ... النذور و قد كان يخافه كثير من الناس الذين يعتقدون فيه و لو أعوان و حاشية لا يتعرض لهم بمكروه بل يدعى فيهم الدعاوى الكاذبة و تنسب إليهم الحكايات القبيحة .

و أما شمسان فالذي يظهر من رسائل إمام الدعوة رحمه الله أنه لا يبعد عن العارض و له أولاد يعتقد فيهم و أما يوسف و قد كان على على قبره وثن يعتقد فيه و يظهر أن قبره في الكويت أو الأحساء كما يفهم من بعض رسائل الشيخ رحمه الله) (و يدل ذلك قول المصنف و تبين في مدح من عبد يوسف و الأشقر و من عبد أبا على و الخضر من أهل الكويت، تاريخ ابن غنام 271/2)

و قد ذكر المؤلف شمسان و أولاده - و منهم محمد بن شمسان و كذا يوسف في عدة مواضع و حكم عليهم بأنهم كفرة طواغيت حيث كانوا يأمرون الناس أن يندروا لهم و يدعون الناس إلى عبادتهم من دون الله كما أن أولاد شمسان قد ألصقوا مفتريات كثيرة بالشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله) (فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم 134/1، 135، ¹⁶⁷)

قوله - رحمه الله - : (و يقال أيضا الذين حرقهم على بن أبي طالب بالنار كلهم يدعون الإسلام و هم أصحاب على رضي الله عنه و يتعلمون العلم من الصحابة و لكن اعتقدوا في على مثل الاعتقاد في يوسف و شمسان و أمثالهما فكيف أجمع الصحابة على قتلهم و كفرهم ؟ أ تظنون أن الصحابة يكفرون

المسلمين؟ أم أظنون أن الاعتقاد في تاج و أمثاله لا يضر و الاعتقاد في علي بن أبي طالب رضي الله عنه يكفر؟

و يقال أيضا : بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب و مصر في زمان بنى العباس كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله و يدعون الإسلام و يصلون الجمعة و الجماعة فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم و قتلهم و أن بلادهم بلاد حرب و غزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين)

قال الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف :

تحدث المؤلف عن هؤلاء الغلاة في مواضع متعددة من رسائله و نقل إجماع الصحابة على كفر من ادعى ألوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه و قتلهم حيث حرق علي و هم أحياء (تاريخ ابن غنام 198/2 ، 247 ، 276)

يقول المؤلف : (قصة أصحاب علي بن أبي طالب لما اعتقدوا فيه الإلهية التي يعقد اليوم في أناس من أكفر بنى آدم و أفسقهم فدعاهم إلى التوبة فأبوا فخذ لهم الأخاد يد و ملاها حطبا و أضرم فيها النار و قذهم فيها و هم أحياء)

هذا و هم يقومون الليل و يصومون النهار و يقرؤون القرآن إلى أن قال : واعلم انما جنانية هؤلاء إنما هي على الألوهية و ما علمنا فيهم جنانية على النبوة و الذين قبلهم على النبوة و ما علمنا لهم جنانية على الألوهية و هذا يبين لك شيئا من معنى الشهادتين اللذين هما أصل الإسلام) (مؤلفات الشيخ 47/3 ، تاريخ ابن غنام 198/2 ، 247)

و العبيديون هم الذين يسمون أنفسهم — كذبا — بالفاطميين فالعبيديون نسبة إلى عبيد الله المهدي مؤسس دولتهم في المغرب و مصر و والد الخلفاء العبيديين و نسبهم المؤلف إلى القداح أحد مؤسس الباطنية و اسمه ميمون بن ديسان و يعرف بالقداح

و العبيديون من الباطنية الذين ظهر مذهبهم التشيع و الرفض و باطنه الكفر المحض

و لقبوا بالباطنية لقولهم أن الناس يعلمون علم الظاهر و الإمام يعلم علم الباطن و حرفوا معاني القرآن و جعلوا هذه التعريفات هي علم الباطن و قصدهم بذلك هدم عقيدة التوحيد و إبطال الشرائع و الخروج عن أحكام الدين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (و بالجملة فعلم الباطن الذي يدعون مضمونه الكفر بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر بل هو جامع لكل كفر) (مجموع الفتاوى 135/35)

و قال عبد القاهر البغدادي : (و الذي يصح عندي من دين الباطنية أنهم دهرية زنادقة يقولون بقدم العالم و ينكرون الرسل و الشرائع كلها لميلها إلى استباحة كل ما يميل إليه الطبع) (الفرق بين الفرق ص: 294)
و قال أبو حامد الغزالي عنهم : (و المنقول عنهم الإباحة المطلقة و استباحة المحظورات و استحلالها و إنكار الشرائع) (فضائح الباطنية ص: 36)

و ما ذكر المؤلف - رحمه الله - عنهم أنهم يشهدون الشهادتين و يصلون الصلوات فلعه باعتبار أنهم يتظاهرون بذلك لكن حقيقتهم أنهم أعظم كفرا من اليهود و النصارى فأى كفر أعظم من نفض التوحيد و القول بقدم العالم و الطعن في النبوات و إبطال الشرائع و استحلال المحرمات !
و في كلام المؤلف عنهم في كتابه مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه و سلم ما يدل على ذلك و هو أكثر دقة و تفصيلا حيث قال عنهم : (و أظهروا شرائع الإسلام و إقامة الجمعة و الجماعة و نصبوا القضاة و المفتين لكن أظهروا الشرك و مخالفة الشريعة و ظهر منهم ما يدل على نفاقهم و شدة كفرهم فأجمع أهل العلم أنهم كفار و أن دارهم دار حرب) (مؤلفات الشيخ 47/3 ، تاريخ ابن غنام 198/2 ، 247)¹⁶⁸
قوله - رحمه الله - : (و يقال أيضا : إذا كان الأولون لم يكفروا إلا أنهم جمعوا بين الشرك و تكذيب الرسول و القرآن و إنكار البعث و غير ذلك فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب : (باب حكم المرتد) و هو مسلم الذي يكفر بعد إسلامه ثم ذكروا أنواعا كثيرة كل نوع منها يكفر و يحل دم الرجل و ماله حتى أنهم ذكر أشياء يسيرة عند فعلها، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه أو كلمة يذكرها على وجه المزح و اللعب.

¹⁶⁸تعليقات على كشف الشبهات ص: 93-94

و يقال أيضا : الذين قال الله فيهم : (يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ) (التوبة: من الآية 74) أما سمعت الله كفرهم بكلمة مع كونهم في زمن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و يجاهدون معه و يصلون و يزكون و يحجون و يوحدون. و كذلك الذين قال الله فيهم : (قُلْ أِبَالَهُمْ وَعِيَّتُهُمْ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَدِرُوا قَدْرَكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) (التوبة: 65-66) فهؤلاء الذين صرح الله فيهم أنهم كفروا بعد إيمانهم و هم مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة تبوك قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح فتأمل هذه الشبهة و هي قولهم : تكفرون من المسلمين أناسا يشهدون ان لا إله إلا الله و يصلون و يصومون ثم تأمل جوابها فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق)

قال الشيخ صالح بن فوزان : فالشيخ - رحمه الله - عند هذه الشبهة خاصا قال : اصغ سمعك لجوابها فإنها من أعظم شبههم ثم رد الشيخ على هذه الشبهة من سبعة وجوه مهمة :

الوجه الأول :

أنه من آمن ببعض الأحكام الشرعية و كفر ببعضها الآخر فهو كافر بالجميع و هؤلاء أنكروا التوحيد الذي جاءت به الرسل و هو إفراد الله بالعبادة فهؤلاء لم يفرّدوا الله بالعبادة و إنما أشركوا معه غيره من الأولياء و الصالحين فالإسلام لا يقبل التجزئة و لا التفرقة و أعظم الإسلام التوحيد و هو دعوة جميع الرسل و هؤلاء جحدوا أعظم شيء و هو التوحيد العبادة و قالوا لا بأس أن ينذر الإنسان لفلان و يذبح لفلان لأنه ولي و الولي ينفع و يضر مما هو مثل فعل المشركون الأولين.

الوجه الثاني :

ذكر الشيخ - رحمه الله - وقائع في التاريخ الإسلامي يدل على أن العلماء في كل زمان يكفرون من آمن ببعض و كفر ببعض. منها أن الصحابة و من بعدهم قاتلوا الذين يتظاهرون بالشهادتين و يصلون و يصومون و يحجون قاتلوهم و استحلوا دماءهم و أموالهم و ذلك كما يلي :

أولا : بنو حنيفة اعتقدوا أن مسيلمة رسول الله و الذين جحدوا وجوب الزكاة بعد وفاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

و ثانيا : في عهد على رضي الله عنه كفروا الغلاة الذين قالوا أن عليا هو الله مع أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله و يصلون و يصومون و هم في جند على رضي الله عنه مع أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله و لكنه حرقهم لما اعتقدوا أن شخصا له حق في الألوهية كفرهم و حرقهم بالنار.

ثالثا : في عهد العباسيين ظهرت فرقة العباديين و هم طائفة الشيعة الإسماعيلية لأنهم ينتسبون إلى إسماعيل بن محمد بن جعفر و لذلك سمو بالإسماعيلية و سمو الفاطمية لأنهم يزعمون أنهم من ذرية فاطمة و لذلك يقال الفاطميون و في الحقيقة أنهم من اليهود أظهروا الإسلام و لكن ظهر منهم كفریات و في النهاية ادعى حكامهم الألوهية مثل الحاكم العبيدي.

فالصحابة بنى حنيفة و هم يشهدون أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله و يصومون و يحجون لكن لما ادعوا أن مسيلمة نبي كفرهم لأن من اعتقد في شخص بعد محمد صلى الله عليه و سلم أنه نبي فقد كفر و إن كان يصلى و يصوم و لذلك حكم المسلمون اليوم بكفر القادنية الذين يدعون نبوة أحمد القادياني. فإذا كان من رفع رجلا إلى مرتبة النبي كفر فكيف لا يكفر من رفع رجلا إلى مرتبة رب العالمين و صرف له أنواعا من العبادة كالذبح و النذر و الدعاء و الإستغاثة و غير ذلك ؟ و قول الشيخ كمن رفع تاجا و شمسان و يوسف و هم الناس في زمانه في الرياض غلا فيهم الناس بحجة أنهم أولياء و لهم شعوذات و خوارق و هم على طريقة الحلاج و ابن عربي.

الوجه الثالث :

أن العلماء - رحمهم الله - عقدوا بابا في كتب الفقه سموه باب الردة و ذكروا فيه نوقض الإسلام و ذكروا أشياء قد تكون صغيرة في أعين الناس و لكن حكموا أن من فعلها أو اعتقدها يكفر مع أنه يصلى و يصوم و يعبد الله و لم يحصروا حصول الردة فيما ذكرت

الوجه الرابع :

أن الله حكم بكفر أناس لقولهم كلمة تكلموا بها أبطلت إسلامهم و إيمانهم كما قال تعالى : (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ) (التوبة: من الآية 74) فكفرهم بكلمة مع كونهم مع رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم يصلون و يجاهدون.

الوجه الخامس :

أن الله كفرهم بسبب كلام قالوه على وجه المزاح و اللعب و أنزل في شأنهم : (وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَدِرُوا قَدَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) (التوبة 65-66) مع أنهم يصلون و يصومون و يجاهدون.

فهذه الوجوه فيها إبطال هذه الشبهة و في الحقيقة أنها من أعظم الشبه و لكن جوابها واضح و لله الحمد.

الوجه السادس :

إن قولهم إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله و يكذبون الرسول صَلَّى الله عليه و سلم و ينكرون البعث و يكذبون القرآن و يجعلون سحرا و نحن نشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله و نصدق بالقرآن و نؤمن بالبعث و نصلى و نصوم فكيف تجعلوننا مثل أولئك ؟
يجاب عنه أن الرجل إذا صدق الله في شيء و كذبه في شيء فهو كافر مرتد عن الإسلام كمن آمن ببعض القرآن و جحد بعضه و كمن أقر بالتوحيد و الصلاة و جحد وجوب الحج و إن كان يشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله.

الوجه السابع :

أن من جحد وجوب الحج و إن كان يشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله و يصلى و يصوم قال تعالى : (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ) إلى قوله : (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) (آل عمران: 96-97) فدللت الآية على

أن من جحد وجوب الحج كفر و إن كان يشهد أن لا إله إلا الله فكيف بمن جحد التوحيد و أجاز عبادة القبور؟¹⁶⁹

قال الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف :

و قوله : (حتى أنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها ... إلى قوله : على وجه المزح و اللعب) : و مقصود المؤلف - رحمه الله - ان الكفر قد يكون بكلمة عابرة - لا يلقي لها بال - أو بمجرد كلمة مزح و استهزاء كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم قال : إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي بها بأسا يهوى سبعين خريفا في النار) (أخرجه الترمذى ح (2314) و ابن ماجة (4018) و أصله في البخارى ك الرقاق ح (6478) و عن بلال بن الحارات رضي الله عنه مرفوعا : (و إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أ تبلغ ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة) (أخرجه مالك ك الكلام ح (5) و أحمد 469/3 و الترمذى ح (2319) و غيرهم)

و قوله : (مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه) أي قد يكون الكفر قولاً بلسان و لو ادعى أن القلب غير معتقد بهذا الكفر القولى

يقول أبو ثور - رحمه الله - : (و لو قال المسيح هو الله و جحد أمر الإسلام و قال : لم يعتقد قلبي على شيء من ذلك أنه كافر بإظهار ذلك و ليس بمؤمن) (أصول الاعتقاد أهل السنة للالكائى 849/4) و قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (و إن سب الله و سب رسوله كفر ظاهراً و باطناً سواء كان الساب يعتقد أن ذلك محرم أو كان مستحلاً أو كان ذاهلاً عن اعتقاده هذا مذهب الفقهاء و سائر أهل السنة القائلين بأن الإيمان قول و عمل) (الصارم المسلول ص: 512) و قال ابن يجم الحنفى : (إن من تكلم بكلمة الكفلا هازلاً أو لاعبا كفر عند الكل و لا عيرة باعتقاده) (البحر الرائق 134/5)

¹⁶⁹ شرح كشف الشبهات ص: 101-97

و قوله : (الذين قال الله فيهم : (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ) (التوبة: من الآية74) ...) و مما يقرر ذلك ما قاله ابن حزم : (لم يختلف أهل العلم بأن في القرآن التسمية بالكفر قطعاً على من نطق بأقوال معروفة كقوله تعالى : (وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ) ... فصح أن الكفر يكون كاملاً) (المحلى 498/13)

و قد سئل الشيخ المؤلف - رحمه الله - عن وصف الإستهزاء المكفر فأجاب بقوله : (قد استدل العلماء عليها بقوله تعالى في بعض المسلمين المهاجرين في غزوة تبوك : (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ) (التوبة: من الآية65) و ذكر الخلف و السلف أن معناها إلى يوم القيامة فيمن استهزأ بالله أو القرآن أو الرسول و صفة كلامهم أنهم قالوا : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أ رعب بطونا و لا أكذب ألسنا و لا أجبين عند اللقاء يعنون بذلك رسول الله و العلماء من أصحابه فلما نقل الكلام عوف بن مالك أتى القائل يعتذر أنه قاله على وجه اللعب كما يعفل المسافرون فتزل الوحي أن هذا كفر بعد الإيمان و لو كان على وجه المزح و الذي يعتذر يظن أن الكفر إذا قاله جادا لا لاعبا) (تاريخ ابن غنام 314/2 ، 316 ، 317)

و قوله : (فتأمل هذه الشبهة - إلى قوله - : هذه الأوراق) : يقول الشيخ محمد بن مانع - رحمه الله - : (و ذلك أن شبهتهم من أقوى الس تلبيسا و أشد تلبيسا فإن من شهد أن لا إله إلا الله و صلى و صام عظم اطلاق الكفر عليه عند الجاهل و لم أنه هدم هذه الأعمال بشركه و دعوته غير الله فلم تنفعه العبادة لأن من لم يأت بالتوحيد الخالص لم يعبد الله فلهذا صار هذا الجواب من أنواع الأجوبة) (كشف الشبهات مع تعليقات ابن مانع ص: 29)

و قد أجاب المؤلف - رحمه الله - عن هذه الشبهة في عدة مواضع و فرر أن من أشرك بالله تعالى فهو كافر مرتد و إن صلى و صام و زعم أنه مسلم و من تقرير أنه جاء في كتاب التوحيد حيث عقد بابا بعنوان (باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان) و بين فيه ما يدل على وقوع الشرك في هذه الأمة. يقول العلامة عبد الرحمن السعدى - رحمه الله - تعليقا على عنوان الباب : (مقصود هذه الترجمة الحذر من الشرك و الخوف منه و أنه أمر واقع في هذه الأمة لا محالة و الرد على من زعم أن من قال : لا إله إلا

الله و تسمى بالإسلام أنه يبقى على إسلامه و لو فعل ما ينافيه من الإستغائة بأهل القبور و دعاؤهم و سمي بذلك توسلا لا عبادة فإن هذا باطل.

فإن الوثن اسم جامع لكل ما عبد من دون الله و لا فرق بين الأشجار و الأحجار و الأبنية و لا بين الأنبياء و الصالحين في هذا الموضع و هو العبادة فإنها حق الله و حده فمن دعا غير الله أو عبده فقد اتخذته وثنا و خرج بذلك من الدين و لم ينفعه انتسابه إلى الإسلام فكم إنتسب إلى الإسلام من مشرك و ملحد و كافر و منافق و العبرة بروح الدين و حقيقته لا بمجرد الأسمى و الألفاظ التي لا حقيقة لها) (القول السديد ص: 71-73)¹⁷⁰

و قوله - رحمه الله - : (و من الدليل على ذلك أيضا ما حكى الله تعالى عن بني إسرائيل مع علمهم و صلاحهم أنهم قالوا لموسى : (اجعل لنا إلهة كما لهم إلهة) و قول أناس من الصحابة : (اجعل لنا ذات أنواط)¹⁷¹ فحلف النبي صلى الله عليه و سلم أن هذا مثل قول بني إسرائيل لموسى : (اجعل لنا إلهة) و لكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة و هي أنهم يقولون : إن بني إسرائيل لم يكفروا بذلك و كذلك الذين قالوا للنبي صلى الله عليه و سلم (اجعل لنا ذات أنواط) لم يكفروا.

فالجواب أن تقول : إن بني إسرائيل لم يفعلوا و كذلك الذين سألوا النبي صلى الله عليه و سلم لم يفعلوا و لا خلاف أن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا و كذلك لا خلاف أن الذين نهاهم النبي صلى الله عليه و سلم لو لم يطيعوه و اتخذوا ذات أنواط بعد نهيهم لكفروا و هذا هو المطلوب .)

قال الشيخ صالح بن فوزان : ... و أن النبيين الكريمين أنكرا ما طلب قومهما و اعتبراه شركا يخرجهم من الملة لو فعلوه مع أنهم يؤمنون بالنبيين الكريمين و يجاهدون معهما ثم ارد الشيخ اعتراضا على هذا الإستدلال و هو أن بني إسرائيل الذين طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهة لم يكفروا و كذلك الذين طلبوا من محمد صلى الله عليه و سلم أن يجعل لهم ذات أنواط لم يكفروا و أجاب عن هذا الإعتراض بأن الفريقين لم ينفذا

¹⁷⁰تعليقات على كشف الشبهات ص: 98-100

¹⁷¹(رواه الترمذى 334-343/6 ح (2181) و أحمد 218/5 ح (21947-21950-21952) و البداية و النهاية لابن كثير 325/4 كلهم من حديث أبي و افد الليثي رضي الله عنه)

ما قالوا و لو فعلا لكفروا و لكن لما نهيوا عن ذلك و بين لهما أنه كفر يمتنبوه و انتهوا عنه و محل الشاهد من القصتين أن من فعل الشرك كفر و إن كان يشهد أن لا إله إلا الله و يؤمن بالأنبياء و يعمل الأعمال الصالحة.¹⁷²

قال الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف : قال الشيخ ابن العثيمين : أي على أن الإنسان قد يقول أو يفعل ما هو كفر من حيث لا يشعر (شرح كشف الشبهات ص: 89)
و قد بين الشيخ عبد الرحمن بن حسن وجه الشبه المقاتلين فقال : (فشبّه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ مَقَالَتَهُمْ هَذِهِ عَقَالَةً بَنَى إِسْرَائِيلَ بِحَامِصٍ أَنْ كَلَّا طَلَبَ أَنْ يُجْعَلَ لَهُ مَا يَأَلُّهُ وَ يَعْبُدُهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ إِنْ اِخْتَلَفَ اللَّفْظَانِ فَلَمَعْنَى وَاحِدٍ فَتَغْيِيرُ الْإِسْمِ لَا يَغْيِرُ الْحَقِيقَةَ) (فتح المجيد 261/1)

و جواب آخر : أن القوم كانوا حدثاء عهد بكفر - كما جاء في أول الحديث - فلا يكفرون لقرب عهدهم بالإسلام و يعذرون بجهلهم حتى تبلغهم الرسالة و تقوم عليهم الحجة (مجموع الفتاوى 28 ، 501 و مؤلفات الشيخ 11/3 و الدرر السنية 244/8)

و لهذا قال الشيخ عبد الله أبو بطين : (فإن قيل : فالنبي لم يكفرهم بذلك. قلنا : هذا يدل على من نكلم بكلمة كفر جاهلا بمعناها ثم نبه فتنبه أنه لا يكفر و لا شك أن هؤلاء لو اتخذوا ذات أنواط بعد انكار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ لَكَفَرُوا) (الإنتصار ص: 35 و تأسيس التقديس ص: 65 ، 66 و قد يقال : و هو جواب ثالث : أن سؤا لهم شرك أصغر و لو كان أكبر صاروا مرتدين و لأمرهم بتجديد إسلامهم و قد أشار المؤلف إلى هذا الجواب في مسائل كتاب التوحيد حيث قال : (إن الشرك فيه أكبر و أصغر لأنهم لم يرتدوا بهذا)¹⁷³

قوله - رحمه الله - : (و لكن هذه القصة تقيد أن المسلم - بل العالم - قد يقع في أنواع من الشرك لا يدرى عنها فتفيد التعلم و التحرز و معرفة أن قول الجاهل (التوحيد فهمناه) أن هذا من أكبر الجهل و مكايد الشيطان .

¹⁷² شرح كشف الشبهات ص: 102-103

¹⁷³ تعليقات على كشف الشبهات ص: 102-103

و تفيد أيضا أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفر و هو لا يدري فنبه على ذلك فتاب من ساعته لا يكفر كما فعل بنو إسرائيل و الذين سألوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ .
و تفيد أيضا أنه لو لم يكفر فإنه يغلظ عليه الكلام تغليظا شديدا كما فعل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ .

قال الشيخ صالح بن فوزان : هذه القصة فيها فوائد : الأولى : الحذر من الشرك و أنه قد يدب على المسلمين عن طريق التقليد و التشبه بالكفار (اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة) (اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط) ففي ذلك التحذير من محاراة الكفار و التحذير من الفتن التي تنجم عن ذلك. و من ذلك عبادة القبور التي أحثوها و فتنوا بها و صاروا يدعون الناس إليها و الخليل عليه السلام الذي كسر الأصنام بيده و أودى و ألقى في النار بسبب إنكار الشرك يقول : (وَاجْتُنِبِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ) (ابراهيم: من الآية35) خاف على نفسه عليه الصلاة و السلام من الفتنة و خاف على ذريته من الفتنة إذا كيف يقول الجاهل : إن التوحيد تعلمه في خمس دقائق و المهم عنده البحث في أمور السياسة و الكلام في الحكم و فقه الواقع كما يقولون و معناه رصد الوقائع الدولية و تحليلاتها و الانشغال بها عن التفقه في الدين. و منهم من ينتقد مقررات التوحيد في المدارس و المعاهد و الكليات و يقول : لا داعي لهذه الكثافة في مقررات التوحيد الناس المسلمون و اولاد فطرة و بإمكان الطلاب أن يتعلموا التوحيد من البيئة الاجتماعية ... إلخ هذا يأنهم الفارغ ... و لو سألت واحدا من هؤلاء عن أبسط مسألة في التوحيد ما أجابك بجواب صحيح أعنى الذين يقولون هذه المقالة.

و الفائدة الثانية : و هي فائدة عظيمة أن من نطق بكلمة الكفر عن جهل و هو لا يدري ثم نبه و تاب من ساعته فإنه لا يكفر بدليل قصة بنى إسرائيل مع موسى عليه السلام و بعض الصحابة مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ فهو لا يكفر بذلك لكن يهدين الشرطين :

الشرط الأول : أن يكون هذا الكلام عن جهل و لم يعتمد

الشرط الثاني : أن يتوب من ساعته و يترك هذا الشيء إذا تبين له أنه كفر

فهذا لا يضره الكلام الذي قاله و هذا جواب عن شبهتهم التي سقت و هي أنهم يقولون إن بني إسرائيل لم يكفروا و أصحاب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ لم يكفروا بهذه الكلمة تقول لهم إنهم لم يكفروا لأنهم قالوها عن جهل و انتهوا و تركوها و تابوا إلى الله عز و جل أما أنتم تنهون بالليل و النهار و تصرون على دعاء القبور و الصالحين و لا تصغوا أسماعكم لما قال لكم تكبرا و عنادا

و الفائدة الثالثة : قفید هذه القصة أن من لم يكفر بكلمة الكفر إذا قالها جهلا فإنه لا يساهل معه بل يغلظ عليه في الإنكار كما غلظ موسى عليه السلام على قومه و كما غلظ محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ على أصحابه الذين قالوا هذه المقالة من باب الزجر و التحذير لاجتناب ذلك و الحذر منه.¹⁷⁴

قال الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف : يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (و ليس لأحد أن يكفر أحدا من المسلمين و إن أخطأ و غلظ حتى تقام عليه الحجة و تبين له الحجة) (مجموع الفتاوى 348/23)

قال المؤلف في مسائل كتاب التوحيد : (فغلظ الأمر بهذه الثلاث)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (فأنكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ مجرد مشابھتهم للكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها معلقين عليها سلاحهم فكيف بما هو أعظم من ذلك من مشابھتهم المشركين أو هو الشرك بعينه) (إقتضاء الصراط المستقيم 244/2)

قوله - رحمه الله - : (و للمشركين شبهة أخرى يقولون أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أنكر على أسامة قتل من قال لا إله إلا الله و قال : (أقتلت بعد ما قال لا إله إلا الله) (رواه البخارى 88/5) و كذلك قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله) (رواه البخارى 140/8 - 141) و أحاديث أخرى في الكف عمّن قالها.

و مراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر و لا يقتل و لو فعل ما فعل فيقال لهؤلاء الجهال : معلوم أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ قاتل اليهود و سباهم و هم يقولون لا إله إلا الله و أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ قاتلوا بني حنيفة و هم يشهدون أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله و يصلون و يدعون الإسلام و كذلك الذين حرقهم على بن أبي طالب و هؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث كفر و قتل و لو قال لا

إله إلا الله فكيف لا تنفعه إذا جحد شيئا من الفروع و تنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل و رأسه ؟

فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلا ادعى الإسلام بسبب انه ظن أنه ما ادعاه إلا خوفا على دمه و ماله و الرجل إذا أظهر الإسلام و جب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك و أنزل الله في ذلك : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا) (النساء: من الآية 94)

أي فتبينوا فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه و التثبت فإن تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل لقوله (فتبينوا) و لو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى.

و كذلك الحديث الآخر و أمثاله معناه ما ذكرناه : أن من أظهر الإسلام و التوحيد و جب الكف عنه إلا أن تبين منه ما يناقض ذلك و الدليل على هذا أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله) و قال : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله) هو الذي قال في الخوارج : (أينما لقيتموهم فاقتلوهم لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد) مع كونهم من أكثر الناس عبادة و تهللا و تسيحا حتى أن الصحابة يحقرون أنفسهم عندهم و هم تعلموا العلم من الصحابة فلم تنفعهم لا إله إلا الله و كثرة العبادة و لا ادعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة) (رواه البخارى و مسلم)

قال الشيخ صالح بن فوزان : قالوا هذا الدليل (أي أمرت أن أقاتل الناس ...) على أن من تلفظ بهذه الكلمة لا يقتل و لو فعل ما فعل من أنواع الشرك في العبادة مع الأموات و الأصرحة و صرف العبادات لغير الله ما دام أنه يقول لا إله إلا الله. هذا حاصل شبهتهم و هي شبهة خطيرة إذا سمعها الجاهل و ربما تروج عليه لا سيما أنهم طلوها بصلاء خادع و هو الإستدلال بالآحاديث الصحيحة لكن في غير موضعها و قد أجاب الشيخ عن هذه الشبهة بستة أجوبة مجملها :

الجواب الأول : أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاتل أناسا يقولون لا إله إلا الله فقاتل اليهود و هم يقولون لا إله إلا الله و قاتل الصحابة بنى حنيفة و هم يقولون لا إله إلا الله لما ظهر منهم ما يناقض هذه الكلمة و لم ينفعهم هذه الكلمة و لم تكن مانعة من قتلهم.

و الجواب الثانى : فى بيان تناقض هؤلاء لأنهم يقولون من أنكر الصلاة و الزكاة و الحج أو أنكر البعث و النشور يكفر عندهم أما من أنكر التوحيد فإنه لا يكفر عندهم.

و الجواب الثالث : أن معنى حديث أسامة بن زيد ليس كما فهموا أن من قال لا إله إلا الله يكون مسلماً و لو فعل ما فعل من الشر و الكفر و أن معناه أن من قال لا إله إلا الله و جب الكفر عنه حتى يظهر منه ما يخالف مدلول هذه الكلمة من كفر أو شرك.

و الجواب الرابع : أن الله تعالى قال : (إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا) (الحجرات: من الآية6) فأمر الله بالتبين يعنى التثبت بشأن من قال لا إله إلا الله. فما فائدة التثبت إذا كان لا يقتل إذا قالها و لو فعل ما فعل. و الجواب الخامس : أن النبي صلى الله عليه و سلم أمر بقتل الخوارج و هم من أشد الناس عبادة و خوفاً من الله و ورعاً بل هم تتلمذوا على الصحابة و مع هذا أمر بقتلهم لما فعلوا أشياء تتنافى مع الإسلام و هم يقولون لا إله إلا الله و هم أشد الناس عبادة و تلاوة للقرآن.

و الجواب السادس : قصة بنى مصطلق و هم قبيلة دخلوا فى الإسلام و أرسل إليهم النبي صلى الله عليه و سلم المصدق لجباية الزكاة و لكن لم يذهب إليهم بل رجع إلى النبي صلى الله عليه و سلم و قال إنهم منعوا الزكاة فهم النبي صلى الله عليه و سلم فأنزل الله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ ... إلى قوله ... عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) (الحجرات:6)

فالنبي صلى الله عليه و سلم هم بغزوهم و قتلهم و هم يقولون لا إله إلا الله لماذا ؟ لما بلغه أنهم منعوا الزكاة فمنع الزكاة تتنافى مع قول لا إله إلا الله هذا ملخص أجوبة الشيخ رحمه الله عن هذه الشبهة الخطيرة.¹⁷⁵ قال الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف : و قد ذكر الإمام الشافعى أن فى اليهود و النصارى من ينطق بالتوحيد فقال - رحمه الله - : (و من كان على دين اليهودية و النصرانية فهؤلاء يدعون دين موسى و عيسى صلوات الله و سلامه عليهما و قد بدلوا منه و قد أخذ عليهم فيهما الإيمان بمحمد صلى الله عليه و سلم فكفروا بترك الإيمان به و اتباع دينه مع ما كفروا من الكذب على الله قبله فقد قيل لي : إن فيهم من

هو مقيم على دينه يشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا عبده و رسوله لم يكون هذا مستكمل الإقرار بالإيمان حتى يقول : و إن دين محمد حق أو فرض و أبرأ مما خالف دين محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أو دين الإسلام فإذا قال هذا فقد استكمل الإقرار بالإيمان فإذا رجع عنه استيب فإن تاب و إلا قتل ...) (الأم 236/6) و قد نبه ابن حجر لهذا المعنى (أي أن الرجل إذا أظهر الإسلام و جب الكف ...) : يجب الكف عنه حتى يختبره أمره هل قال ذلك خالصا من قلبه أو خشية من القتل) (فتح الباري 196/12)

فقد قال ابن جرير - رحمه الله - : (قوله تعالى : (فتبينوا ...) فاتأنوا في قتل من أشكل عليكم أمره و لم تعلموا حقيقة إسلامه و لا كفر و لا تعجلوا فقتلوا من التمس عليكم أمره و لا تقدموا على قتل أحد إلا على قتل أحد علمتوه يقينا حربا لكم و لله و لرسوله) (تفسير ابن جرير 225-222/5 و ابن كثير 150/1)

و قال القرطبي : (و هذا الذي قال : سلام عليكم تكلف الكلمة فإن قالها يحقق رشادة و أبي تيين عناده و قتل و هذا معنى قوله (فتبينوا) أي الأمر المشكل أو تثبتوا و لا تعجلوا و المعنيين سواء) (تفسير القرطبي 339/5)

و قال الحافظ ابن حجر : (و في الآية دليل على أن من أظهر شيئا من علامات الإسلام لم يحل دمه حتى يختبر أمره لأن تحية السلام تحية المسلمين و كانت تحيتهم في الجاهلية بخلاف ذلك فكانت هذه علامة) (فتح الباري 259/8)

يقصد المؤلف - رحمه الله - بالحيث الآخر قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله) و ما جاء في معنان، فمفهوم الحديث أن من أظهر الإسلام و جب الكف عنه غلب أن يتبين منه ما يناقض أو يخالف ذلك بدليل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ حث على قتال الخوارج مع كونهم من أكثر الناس عبادة و تلاوة للقرآن فلم تنفعهم لا إله إلا الله و لا كثرة العبادة لما ظهر منهم مخالفة الشريعة و المروق من الدين كتكفير عصاة الموحدين و استحلال دمائهم. (تاريخ ابن غنم 198/2 ، 276) و قد أجاب الشيخ حمد بن معمر - رحمه الله - عن هذه الشبهة بقوله : (و بالجملة فالكتاب و السنة يدلان على أن القتال ممدود إلى الشهادتين و الصلاة و الزكاة و قد أجمع العلماء على ذلك

و أما حديث أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقول لا إله إلا الله ...) فهذا لا إشكال فيه نحمد الله و لسن لكم فيه من حجة بل هو حجة عليكم و لو لم يكن إلا قوله (إلا بحقها) لكان كافيا في إبطال قولكم فإن الصلاة و الزكاة من أعظم حقوق لا إله إلا الله.

و قد قال علماءنا - رحمهم الله - : (إذا قال الكافر لا إله إلا الله فقد شرع في العاصم لدمه فيجب الكف عنه فإن تم ذلك تحققت العصمة و إلا بطلت و يكون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد قال كل حديث في وقت فقال : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله) ليعلم المسلمون أن الكافر المحارب إذا قالها كف عنه و صار دمه و ماله معصوما.

ثم بين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الآخر أن القتال ممدود إلى الشهادتين و العبادتين فقال : أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله و يقيموا الصلاة و يؤتوا الزكاة) فيبين أن تمام العصمة و كمالها إنما يحصل بذلك و لئلا تقع الشبهة بأن مجرد الإقرار يعصم على الدوام كما وقعت لبعض الصحابة حتى حلاهم أبو بكر الصديق ثم وافقوه رضي الله عنه) (الدرر السنية 209/10 ، 310 ، 316)

يؤكد المؤلف - في تنايا الجواب عن هذه الشبهة - على وجوب الإيمان بجميع النصوص الثابتة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و عدم التفريق بينها في الإيمان و التسليم فكما أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : (أ قتلت بعد ما قال : لا إله إلا الله) و أمثاله فهو القائل أيضا على الخوارج : (أينما لقيتموهم فاقتلوهم) فالواجب أن نؤمن بجميع النصوص الصحيحة خلافا لمسلك الزائعين الذين يؤمن ببعض الكتاب و يكفر ببعض.¹⁷⁶

قوله - رحمه الله - : (كذلك ما ذكرنا من قتال اليهود و قتال الصحابة بنى حنيفة و كذلك أراد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل أنهم منعوا الزكاة حتى أنزل الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) (الحجرات:6) و كان

الرجل كاذبا عليهم فكل هذا يدل على أن مراد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأحاديث ما ذكرناه. ولهم شبهة أخرى وهي ما ذكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى فكلهم يعتذر حتى ينتهوا إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالوا هذا يدل على أن الإستغاثة بغير الله ليست شركا.

فالجواب أن نقول : سبحان من طبع على قلوبهم فإن الإستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها كما قال في قصة موسى : (فَاسْتَعَاثُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ)(القصص: من الآية 15) و كما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب و غيرها من الأشياء التي يقدر عليها المخلوق و نحن أنكرنا استغاثة العباد التي يفعلونها عند قبور الأولياء أو في غيبتهم في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله.

إذا ثبت ذلك فالإستغاثة بالأنبياء يوم القيامة يراد منها أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف و هذا جائز في الدنيا و الآخرة أن تأتي عند رجل صالح حتى يجالسك و يسمع كلامك و تقول له : (ادع الله لي) كما كان أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسألونه عن ذلك في حياته و أما بعد موته فحاسا و كلا أنهم سألوه ذلك عند قبره بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره فكيف بدعائه نفسه ؟)

قال الشيخ ابن العثيمين : و قد أجاب عن هذه الشبهة بجوابين :

الأول : أن هذه استغاثة بمخلوق فيما يقدر عليه و هذا لا ينكر عليه لقوله تعالى في قصة موسى : (فَاسْتَعَاثُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ)(القصص: من الآية 15)

الجواب الثاني : أن الناس لم يستغيثوا بهؤلاء الأنبياء الكرام ليزيلوا عنهم الشدة و لكنهم يستشفعون بهم عند الله - عز و جل - ليزيل هذه الشدة و هناك فرق بين من يستغيث بالمخلوق ليكشف عنه الضرر و السوء و من يستغيث بالمخلوق إلى الله ليزيل الله عنه ذلك.

و أن استغاثتهم بالأنبياء من باب طلب دعائهم إلى الله - تعالى - أن يرتح الخلق من الموقف العظيم و ليس دعاء لهم بل طلب دعائهم لربهم عز و جل و هذا أمر جائر كما أن الصحابة رضي الله عنهم يسألون النبي صَلَّى الله عليه و سلم أن يدعو الله لهم ففي الصحيحين من أنس رضي الله عنه أن رجلا دخل المسجد يوم الجمعة و النبي صَلَّى الله عليه و سلم يخطب فقال : (يا رسول الله هلكت الأموال و انقطعت السبل فادع الله يغيثنا) و لم يقل فاعثنا يا رسول الله بل قال : (فادع الله يغيثنا) فرفع رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم يديه و قال : (اللهم أعثنا) ثلاث مرات فانشأ الله تعالى سبحانه فامطرت و لم يروا الشمس أسبوعا كاملا و المطر ينهمر و في الجمعة التالية دخل رجل أو الرجل الأو فقال : (يا رسول الله غرق المال و تهدم البناء فادع الله تعالى يمسكها عنا) فدعا النبي صَلَّى الله عليه و سلم ربه و قال : (اللهم حولينا و لا علينا اللهم على الأكام و الضراب و بطون الأودية و منابت الشجر) (رواه البخارى و مسلم) فانفجرت السماء و خرج الصحابة يمسون في الشمس .

فهذا طلب دعاء من رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم لله تعالى و ليس دعاء لرسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و لا الإستغاثة به و بهذا يعرف أن هذه الشبهة التي لبس هؤلاء شبهة لا تنفعهم بل هي حجة دحضة عند الله تعالى .

ثم ذكر المؤلف - رحمه الله - أنه لا بأس أن تأتى لرجل صالح تعرفه و تعرف صلاحه فتسأله أن يدعو الله لك و هذا حق إلا أنه لا ينبغي للإنسان أن يتخذ ذلك ديدنا له كلما رأى رجلا صالحا قال ادع الله لي فإن هذا ليس من عادة السلف رضي الله عنه و فيه الإتكال على دعاء الغير و من المعلوم أن الإنسان إذا دعا ربه بنفسه كان خيرا له لأنه يفعل عبادة يتقرب بها إلى الله - عز و جل - فإن الدعاء من العبادة كما قال تعالى : (ادعوني أستجب لكم) الآية و الإنسان إذا دعا ربه بنفسه فإنه ينال أجر العبادة ثم يعتمد على الله عز و جل في حصول المنفعة و دفع المضرة بخلاف ما إذا طلب من غيره أن يدعو الله له فإنه يعتمد على ذلك الغير و ربما يكون تعلقه بذلك الغير أكثر من تعلقه بالله عز و جل و هذا الأمر فيه خطورة و قد قال الشيخ ابن تيمية - رحمه الله - : (إذا طلب الإنسان من الشخص أن يدعو له فإن هذا من المسألة المذمومة) فينبغى

للإنسان إذا طلب من شخص أن يدعو له أن ينوى بذلك برفع بذلك الغير بدعائه له فإنه يؤجر على هذا و ربما ينال ما جاء به الحديث أن الرجل إذا دعا لأخيه بظهر الغيب قالت الملائكة آمن و لك بمثلها.¹⁷⁷
قال الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف : قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (و الإستغاثة طلب الغيث و هو إزالة الشدة كالإستنصار طلب النصر و الإستغاثة طلب العون و المخلوق يطلب منه من هذه الأمور يقدر عليه منها كما قال تعالى : (وَإِنْ اسْتَنْصَرُواكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ) (لأنفال: من الآية 72) (مجموع الفتاوى 103/1 ، 104)

و قد تعقب شيخ الإسلام من جواز الإستعانة بغير الله مستدلا بقوله تعالى : (فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ) (القصص: من الآية 15) فقال : (إن الآية لا يقتضى شرع لنا وجوبا و لا استحبابا مثل هذه الإستغاثة بل و لا يقتضى الإباحة فإن هذا الاسرائيل ليس ممن يحتج بأفعاله بل و لا في الآية ما يقتضى أن هذا المستغيث بموسى كان مظلوما بل لعله ظلما و موسى لما أغاثه فقتل عدوه ندم على ذلك و قال : هذا من عمل الشيطان ثم قال : رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له ...) (تلخيص كتاب الإستغاثة ص: 139)

قال الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامى : (و أما احتجاجهم على الإستغاثة بقوله تعالى في قصة موسى) (فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ) فما أسمع من الإستدلال و ما أبرده ! لأنها الإستغاثة حتى يجي فيما يقول عليه و ليس في هذا خلاف على أن فعل الرجل الاسرائيلي ليس بحجة و اجابة موسى له و يقريره عليه ليس بحجة لأن ذلك قبل أن يوحى إليه .

و سكوت الأنبياء قبل بعثهم لا يدل على جواز المسكوت عنه و بعد ذلك كله ليس هو في شريعتنا) (تطهير الجنان ص: 62)

يقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن (و أما حديث الشفاعة فهو فيما يقدر عليه البشر من الدعاء) (منهاج التأسيس ص: 343)

فمن سأل المستشفع به الموسل به - و هم حتى قادر حاضر - أن يسأل الله تعالى كما طلب الناس من الأنبياء يوم القيامة أن يشفعوا لهم عند الله ... فهذا جائز و من سأل به تفريج كربة فهذه استغاثة به و ليس توسلا به فالمسغات به مطلوب منه الفعل فإن لم يكن قادرا على تفريج الكربة لم يجز أن يطلب منه ما لا يقدر عليه) (الرد على البكوى ص: 35)

يقول شيخ الإسلام : (لم يقل أحد إن التوسول بنبي هو استغاثة به ... فإن المستغيث بالنبي صَلَّى الله عليه و سلم طالب منه وسائل له و التوسول به لا يدعى و لا يطلب منه و لا يسأل و إنما يطلب به و كل أحد يفرق بين المدعو و المدعو به .

و قد اتفق المسلمون على أن نبينا صَلَّى الله عليه و سلم شفيع يوم القيامة و أن الخلق يطلبون منه الشفاعة) (الفتاوى 103/1 ، 104)

و قد دلت الأدلة الصحيحة على مشروعية التوسل إلى الله تعالى بدعاء الصالحين و لكن ينبغي التبيه إلى ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله : (و من قال لغيره من الناس : ادع لي أو لنا - و فقدته أن ينفع ذلك المأمور بالدعاء و ينفع هو أيضا بأمره و يفعل ذلك المأمور به كما يأمره بسائر فعل الخير فهو مقتد بالنبي صَلَّى الله عليه و سلم و ليس هذا من سؤال المرجوح

أما إن لم يكن مقصوده إلى طلب حاجته لم يقصد نفع ذلك و الإحسان إليه فهذا ليس من المقتدين بالرسول المؤمنين به في ذلك بل هذا سؤال مرجوح الذي تركه إلى الرغبة إلى الله و رسوله أفضل من الرغبة من المخلوق و سؤاله و هذا كله من سؤال الأحياء الجائز المسروع) (الفتاوى 193/1)
و قوله : (بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره فكيف بدعائه نفسه) فعن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم - أنه رأى رجلا يجيء إلى فرجة عند قبر النبي صَلَّى الله عليه و سلم فيدخل فيها فيدعو فنهاه و قال : ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم قال : لا تتخذوا قبوري عيدا و لا بيوتكم قبورا فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم) (أخرجه

الضياء المقدسى في المختار (428) و أبو يعلى في المسند (469) و حسنه ابن عبد الهادى في الصارم المنكى ص: 414¹⁷⁸

قوله - رحمه الله - : (و لهم شبهة أخرى و هي قصة إبراهيم عليه السلام لما ألقى في النار اعترض له حرائيل في الهواء فقال : أ لك حاجة ؟ فقال : أما لك فلا. قالوا : فلو كانت الإستغاثة بحرائيل شركا لم يعرضها على إبراهيم.

فالجواب : أن هذا من جنس الشبهة الأولى فإن حرائيل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه فإنه كما قال تعالى : (شديد القوى) (النجم : 5) فلو أذن الله له أن يأخذ نار إبراهيم و ما حولها من الأرض و الجبال و يلقبها في المشرق أو المغرب لفعل و لو أمر الله أن يضع إبراهيم في مكان بعيد لفعل و لو أمر الله أن يرفعه في السماء لفعل و هذا كرجل غني له مال كثير يرى رجلا محتاجا فيعرض عليه أن يقرضه أو يهبه شيئا يقضى به حاجته فيأبى ذلك الرجل المحتاج أن يأخذ و يصير حتى يأتي الله برزق لا منه فيه لأحد فاین هذا من استغاثة العبادة و الشرك لو كانوا يفقهون ؟)

قال الشيخ صالح بن فوزان : ههذ آخر الشبهات التي ذكرها الشيخ في هذه الرسالة عظيمة فأجاب عنها بجواب سديد موفق و هي أن عباد القبور الذين يطلبون المدد من الأموات و يستغيثون بهم يقولون إن هذه الإستغاثة ليست شركا بدليل قصة إبراهيم مع جبريل حينما ألقى في النار فإن جبريل جاء إلى إبراهيم كما يروى¹⁷⁹ ... فعرض جبريل على إبراهيم أن يساعده في اخراجه من هذه الشدة فلما إبراهيم عظيم الثقة بالله قال له : أما إليك فلا و أما إلى الله فبلى.

فإبراهيم عليه السلام لم يرد أن يطلب من مخلوق أن ينقذه من هذه الشدة و إنما توجه إلى ربه كما صح في الحديث أنه قال : (حسبنا الله و نعم الوكيل) (رواه البخارى 173/5) فهذا من باب التوكل على الله و تفويض الأمر إليه و هذه صفة أكمل الخلق إيمانا حيث إن إبراهيم رفض مساعدة المخلوق و قبل مساعدة

¹⁷⁸تعليقات على كشف الشبهات ص: 113 - 118

¹⁷⁹لا يثبت كما قال شيخ الإسلام و ضعفه البان في الضعيفة (28/1)

الخالق لأن مساعدة المخلوق فيها منة و حاجة إلى المخلوق و مساعدة الخالق لا منة فيها لغير الله و فضل من الله تعالى ، و جبريل عرض على إبراهيم شيئاً يقدر عليه و هو عرض من حي حاضر قادر كما يعرض الغني على الفقير مساعدته بالمال و ليس هذا من جنس الإستغاثة بالأموال أو الغائبين الذي يستغيث بهم القبوريون على ما طلب منهم و لا يسمعون دعاء من دعاهم كما قال تعالى : (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ وَلَا يَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ) (سبأ: 22-23)

(ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ) (فاطر: 13-14)¹⁸⁰

قال الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف : قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (و ما يروى ان الخليل لما ألقى في النحنيق قال له جبريل : سل : حسبي من سؤالي علمه بحالي ليس له إساد معروف و هو باطل الذي ثبت في الصحيح عن ابن عباس انه قال : حسبي الله و نعم الوكيل قال ابن عباس : قالها إبراهيم حين ألقى في النار و قالها محمد حين قال لهم الناس : إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم و قد روي ان جبريل قال : هل من حاجة ؟ قال : أما إليك فلا. و قد ذكر هذا الإمام أحمد و غيره) (الفتاوى 13/1 و 539/8)¹⁸¹

قوله - رحمه الله - : (و لنختم الكلام إن شاء الله تعالى بمسألة عظيمة مهمة جدا. تفهم مما تقدم و لكن نفرد الكلام لعظم شأنها و لكثرة الغلط فيها. فقول : لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب و اللسان و العمل فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً فإن عرف التوحيد و لم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون و إبليس و أمثالهما و هذا يغلط فيه كثير من الناس يقولون هذا حق و نحن نفهم هذا و نشهد أنه الحق لكن لا نقدر أن نفعله و لا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم و غير ذلك من الاعذار و لم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق و لم يتركوه إلا لشيء من الاعذار كما قال

¹⁸⁰ شرح كشف الشبهات ص: 115 - 116

¹⁸¹ تعليقات على كشف الشبهات ص: 120

تعالى : (اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا) (التوبة: من الآية 9) و غير ذلك من الآيات كقوله : (يَعْرِفُونَهُ
كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ) (البقرة: من الآية 146)

و إن عمل بالتوحيد عملا ظاهرا و هو لا يفهمه و لا يعتقده بقلبه فهو منافق و هو شر من الكافر الخالص :
(إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ) (النساء: من الآية 145)
و هذه مسألة مسألة كبيرة طويلة تبين لك إذا تأملتها في السنة الناس : ترى من يعرف الحق و يترك العمل
به لخوف نقص الدنيا أو جاه أو مداراة و ترى من يعمل به ظاهرا لا باطنا فإذا سألته عما يعتقد بقلبه فإذا
هو لا يعرفه)

قال الشيخ ابن العثيمين : ختم المؤلف بمسألة عظيمة و هي : أنها لا بد إن يكون الإنسان موحدا بقلبه و
قوله و عمله و إن كان موحدا بقلبه و لكنه لم يوحد بقوله أو عمله فإنه غير الصادق في دعواه لأن التوحيد
القلب يتبعه توحيد القول و العمل لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت
صلح الجسد كله و إذا فسدت فسد الجسد كله ألا و هي القلب) (البخارى (52) و مسلم (1599)
(فإذا وحد الله كما زعم بقلبه و لكنه لم يوحد بقوله أو فعله فإنه من جنس فرعون الذي كان مستيقنا
بالحق عالما و لكن أصر و عاندا و بقى على ما كان عليه من دعوى الربوبية كما قال تعالى : (وَجَحَدُوا بِهَا
وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا) (النمل: من الآية 14) و قال تعالى عن موسى أنه قال لفرعون : (لَقَدْ
عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ) (الاسراء: من الآية 102)

قوله : (يغلط فيه كثير من الناس) ... إلخ و هذا العذر لا يفهم عند الله لأن الواجب على المرء أن يلتمس
رصى الله و لو سخط الناس و أن لا يبنع رصى الناس بسخط الله و هذا يشبه من يحتجون بما كان عليه
آباؤهم و هم الذين حكى الله عنهم : (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ) (الزخرف: من
الآية 22) و الآية الأخرى : (وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ) (الزخرف: من الآية 23).

قوله (لم يدر المسكين) أي المعدم الفقه و البصيرة أن غالب أئمة الكفر كانوا يعرفون الحق لكنهم عاندوا
فخالفوا الحق كما قال تعالى : (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ) (البقرة: من

الآية 146) و قال : (اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا) (التوبة: من الآية 9) فكانوا يعتذرون بالأعذار لا تفهم كخوفهم من فوات الرناسة و يصدر المجالس و نحو ذلك.

فكثير من أئمة الكفار يعرفون الحكم و لكنهم يكرهونه و لا يتبعونه و معرفة الحق دون العمل به أشد من الجهل بالحق لأن الجاهل بالحق يعذر و قد يعلم فينتبه و يتعلم بخلاف المعاند المستكبر و لهذا كان اليهود مغضوبا عليهم لعلمهم بالحق و تركهم إياه و كان النصارى ضالين لأنهم لم يعرفوا الحق لكن بعد بعثة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ كان النصارى عاملين فكانوا مثل اليهود في كونهم مغضوبا عليهم.¹⁸²

قال الشيخ صالح بن فوزان : فالناس مع التوحيد ثلاثة أقسام :

القسم الأول : من يعرفه و يؤمن به باطنا و يحدد ظاهرا و ينكره

القسم الثاني : من يتكلم به و يعمل به ظاهرا و ينكره و يكفر به باطنا و هم المنافقون

القسم الثالث : من يعتقد باطنا و يعمل به ظاهرا و باطنا و القسمان الأولان كافران خاسران و القسم الثالث مؤمن مفلح.¹⁸³

قال الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف :

وضح الشيخ - رحمه الله - في إحدى رسائله بقوله : (اعلم رحمك الله أن دين الله يكون على القلب بالإعتقاد و بالحب و بالبغض و يكون على اللسان بالنطق و ترك النطق بالكفر و يكون على الجوارح بفعل أركان الإسلام و ترك الأفعال التي تكفر فإذا احتل واحدة من هذه الثلاث كفر و ارتد) (الدرر السننية 87/10)

¹⁸² شرح كشف الشبهات ص: 100-102

¹⁸³ شرح كشف الشبهات ص: 119-120

يقول ابن القيم : (كلما عظم نور هذه الكلمة - لا إله إلا الله - و اشتد أحرق من الشبهات و الشهوات بحسب قوته و شدته حتى انه ربما وصل إلى حال لا يصادف معه شبهه و لا شهوة و ذنبا إلا أحرقه و هذا حال الصادق في توحيد الذي لم يشرك بالله شيئا فإن ذنب أو شهوة أو شبهة دنت من هذا النور أحرقتها فسماء اعانه قد حرس بالنجوم من كل سارق لحسناته فلا ينال منها السارق إلا على غرة و غفلة لا بد منها للبشر فإذا استيقظ و علم ما سرق منه استنقده من سارقه أو حصل أضعافه بكسبه فهو هكذا أبدا مع لصوص الجن و الإنس ليس كمن فتح لهم جزائته و ولى الباب ظهره) (مدارج السالكين 330/1)

و قال ابن رجب - رحمه الله - : (إن يحقق القلب بمعنى لا إله إلا الله و صدق فيها و اخلاصه بما يقتضى أن يرسخ فيه تأله الله و حده إجلالا و هيبة و مخافة و محبة و رجاء و تعظيما و توكلا و يمتلىء بذلك و ينفي عنه تأله ما سواه من المخلوقين و متى كان كذلك لم يبق فيه محبة و لا إرادة و لا طلب لغيره ما يريد الله و يحبه و يطلبه و ينتفى بذلك من القلب جميع أهواء النفوس و ارادتها و وساوس الشيطان

فمن أحب شيئا و أطاعه و أحب إليه و أبغض عليه فهو إلهه فمن كان لا يحب و لا يبغض إلا الله و لا يوالى و لا يعادى إلا له فالله إلهه حقا و من أحب لهواه و أبغض له و والى عليه و عادى عليه فالله هو الهواه كما قال تعالى : (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) (الجاثية: من الآية 23) (جامع العلوم و الحكم 524/3)

قال ابن القيم - رحمه الله - : (أما كفر الالباء و الاستكبار فنحو كفر إبليس فإنه لم يجحد أمر الله و قابله بالإنكار و إنما تلقاه بالإبا و الاستكبار و من هذا كفر من عرف صدق الرسول و إنه جاء بالحق من هند الله و لم يتقد له إباء و استكبارا و هو الغالب على كفر أعداء الرسل كما حكى الله عن فرعون و قومه : (أَنْزَلْنَا مِنْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ) (المؤمنون: من الآية 47) (مدارج السالكين 337/1) و قوله : (و هذا يغلط فيه كثير من الناس يقولون إن هذا حق ... إلى قوله تعالى : (لِيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (البقرة: من الآية 146)

و قد قرر امؤلف هذا المعنى في غير موضع و من ذلك ما استنبطه المؤلف من مسائل عند قوله تعالى : (وَأَثُلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ) (الأعراف: 175) : (إن الانسلاخ لا يشترط فيه الجهل بالحق أو بغضه) (مؤلفات الشيخ 112/5)

ثم قال : (إن محبة الدنيا تكون سببا لردة العالم عن الإسلام) (مؤلفات الشيخ 122/5)

و من المسائل التي حررها المؤلف عند قوله تعالى : (قُلْ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيَّهَا الْجَاهِلُونَ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) (الزمر: 64-65)

حيث قال : (إن الذي يكفر به المسلم ليس هو عقيدة القلب خاصة فإن هذا الذي ذكرهم الله لم يريدوا منه صلى الله عليه و سلم تغيير العقيدة ... بل إذا أطاع المسلم من أشار عليه بموافقتهم لأجل ماله أو بلده أو أهله مع كونه يعرف كفرهم و يبغضهم فهذا كافر إلا من أكره) (مؤلفات الشيخ 345/5 و 344/5)

و قرر الشيخ أن من أظهر للمشركين الموافقة فإنه كافر و إن كان الباعث على هذه الموافقة المشحة بالوطن و الحرص عليه و ليس حب الكفر و الدخول فيه .

فقال موضحا هذا المعنى : (لو نقدر أن السلطان ظلم أهل المغرب ظلما عظيما في أموالهم و بلادهم و مع هذا خافوا استيلاءهم على بلادهم ظلما و عدوانا و رأوا أنهم لا يدفعونهم إلا باستنجد الفرنج و علموا أن الفرنج لا يوافقونهم إلا أن يقولوا نحن معكم على دينكم و دنياكم و دينكم هو الحق و دين سلطان هو الباطل و تظاهروا بذلك ليلا و نهارا مع أنهم لم يدخلوا في دين الفرنج و لم يتركوا الإسلام بالفعل . لكن لما تظاهروا بما ذكرنا و مرادهم دفع الظلم عنهم هل يشك أحد أنهم مرتدون في أكبر ما يكون من الكفر و الردة إذا صرحوا أن دين السلطان هو الباطل مع علمهم أنه حق و صرحوا أن دين الفرنج هو الصواب) (مؤلفات الشيخ 28/7)

و أكد الشيخ سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب - رحمه الله - هذا المعنى مطلع رسالته (الدلائل) : فقال : (اعلم رحمك الله أن الإنسان إذا أظهر للمشركين الموافقة على دينهم خوفا منهم و مداراة لهم و مدهانة لدفع شرهم فإنه كافر مثلهم و إن كان يكره دينهم و يبغضهم و يجب الإسلام و المسلمين) (الدلائل في حكم موالاته أهل الإشراك ص: 29)

و المقصود بالموافقة هنا - النصره و المعاونة للكفار و أن الشخص يخرج من الملة يناقض عملي - مثل تولى الكفار و نصرتهم - و لو لم يتكلم و قد يخرج من الملة بكلمة - كسب الله أو رسوله - و لو لم يعتقد كما يخرج من الملة باعتقاد كفري كبغض الله أو رسوله - و لو لم يتكلم) (مؤلفات الشيخ 28/5 و الدرر السنية 87/10)

و هاهنا إشارة يسيرة إلى أن المؤلف - رحمه الله - ساق المداراة ضمن الاعذار الباطلة كخوف نقص دنيا أو جاه أو مشحة بوطن أو بمشيرة و تبعه على ذلك الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في الدلائل - كما تقدم - و أوثق عرو الايمان (الدرر السنية 85/11)

و لعل مرادهم بذلك المداراة المدمومة و التي بمعنى مدهانة و إن كان ثابتا الفرق بين المداراة و المدهانة عند بعض علماء نجد كما وضحه الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - بقوله : (المداراة درء شر المفسد بالقول اللين و ترك الغلظة أو الاعراض عنه إذا خيف شره و حصول شئ منه أكبر و المدهانة ترك ما يجب لله من الغيرة و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و التغافل عن ذلك لغرض دنيوى و هوى نفسائى) (اددر السنية 85 /11)

و قوله : (اولاهما ما نقدم من قوله تعالى : (لا تعتذروا) إلى قوله : (بكلمة يمزح بها) بين المؤلف المزح و الاستحزاء و أنواعها فقال : (فالقول الصريح في الاستحزاء بالدين مثل ما قدمت لك و أما الفعل فمثل مد الشفة و اخراج اللسان أو رمز العين مما يفعله كثير من الناس عند ما يؤمر بالصلاة و الزكاة فكيف بالتوحيد ؟) (تاريخ ابن غنام 319/2)

و قوله - رحمه الله - : (اولاهما : قوله تعالى : (لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) (التوبة: من الآية66) فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع رسول الله صلى الله عليه و سلم كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزح و اللعب تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر أو بعمل به خوفا من نقص مال أو جاه أو مداراة لأحد أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها)

و الآية الثانية : قوله تعالى : (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ) (النحل: 106-107) فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئن بالإيمان و أما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه سواء فعله خوفا أو مداراة أو مشحة بوطنه أو أهله أو عشيرته أو ماله أو فعله على وجه المزح أو لغير ذلك من الأعراض إلا المكره.

و الآية تدل على هذا من وجهين :

الأولى : قوله : (إلا من أكره) فلم يستن الله إلا المكره و معلوم أن الإنسان لا يكر إلا على الكلام أو الفعل اما عقيدة القلب فلا يكره عليها أحد

و الثانية : قوله تعالى : (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ) فصرح أن هذا الكفار و العذاب لم يكن بسبب الاعتقاد أو الجهل أو البغض للدين أو محبة الكفر و إنما سببه أن له في ذلك حظا من حظوظ الدنيا فآثره على الدين

و الله سبحانه و تعالى أعلم و صَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

قال الشيخ صالح بن فوزان :

نعم إذا عرفت هذه القاعدة و هي معرفة ما يحصل به الإيمان الصحيح فإنه يجب أن تعرف ما يضادها من الأقوال و الأفعال و من ذلك الكلام الذي يتكلم به الإنسان و هو من نواقض الإسلام لكنه يمزح به فإنه يكفر و لو كان ليس جادا في كلامه فالدين ليس فيه مزح و الدليل على ذلك قصة هؤلاء النفر الذين خرجوا مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ في غزوة تبوك لغزو الروم لما بلغ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أن الروم يجمعون على غزوة المسلمين فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ بادر في وقت الحر و شدة القيظ و الصيف و وقت طيب الثمار و المسافة بعيدة من المدينة إلى تبوك و أن أناسا من الذين خرجوا مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ جلسوا في مجلس يمزحون قال واحد منهم : ما رأينا هؤلاء أرغب بطونا و لا أكذب

ألسنة و لا أجبن عند اللقاء يعنون رسول الله صَلَّى الله عليه و سلّم و أصحابه و كان في المجلس غلام من الأنصار فأنكر عليهم و قال كذبت و لكنك منافق لأخبرن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلّم فلما ذهب هذا الفتى ليخبر الرسول صَلَّى الله عليه و سلّم و حد الوحي قد سبقه و نزل على الرسول صَلَّى الله عليه و سلّم قوله تعالى : (وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَدِرُوا قَدَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) (التوبة: 65-66) فجاء هؤلاء إلى رسول الله صَلَّى الله عليه و سلّم يعتذرون و يقولون : يا رسول الله ما قصدنا إلا المزح حديث الركب نقطع به عنا الطريق و لا يزيد الرسول صَلَّى الله عليه و سلّم على تلاوة الآية و لا يلتفت إليهم فإذا كان هؤلاء بالله و ارتدوا و قد كانوا مسلمين من قبل بسبب كلمة قالوها على وجه المزح و اللعب فكيف بمن يقول الكلام من الكفر لا من باب المزح و إنما من باب المحافظة على ماله و على جاهه و على مكانته و هذا سر من المازح لأنه استرى الحياة الدنيا بالأخرة ؟ فالحاصل أن الذي يتكلم بكلمة الكفر لا يخلو من خمس حالات :

الحالة الأولى : أن يكون معتقدا ذلك بقلبه فهذا لا شك في كفره

الحالة الثانية : أن لا يكون معتقدا ذلك بقلبه و لم يكره على ذلك و لكن فعله من أجل طمع الدنيا أو

مداراة الناس و موافقتهم فهذا كافر بنص الآية : (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ) (النحل: من الآية 107)

الحالة الثالثة : من فعل الكفر و الشرك موافقة لأهله و هو لا يجبه و لا يعتقده بقلبه و إنما فعله شحا ببلده أو ماله أو عشيرته

الحالة الرابعة : أن يفعل ذلك مازحا و لاعبا كما حصل من النفر المذكورين و هذا يكون كافرا بنص الآية الكريمة

الحالة الخامسة : أن يقول ذلك مكرها لا مختارا و قلبه مطمئن بالإيمان فهذا مرخص له في ذلك دفعا للإكراه و أما الأحوال الماضية فإن صاحبه يكفر كما صرحت به الآيات و في هذا رد على من يقول إن الإنسان لا

يحكم عليه بالكفر و لو قال كلمة الكفر أو فعل أفعال الكفر حتى يعلم ما في قلبه و هذا قول باطل مخالف للنصوص و هو قول المرجئة الضلال.

و ذكر الشيخ - رحمه الله - قاعدة عظيمة في الإكراه الذي يعذر به و الذي لا يعذر به حيث قال : (و معلوم أن الإنسان لا يكره إلا على العمل أو الكلام أما عقيدة القلب فلا يكر أحد عليها)¹⁸⁴
قال الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف : قرر الشيخ الإمام هذا الا في غير موضع و كذا أئمة الدعوة من بعده فقال - رحمه الله - عن الآية : (من كفر بالله بعد إيمانه) : (فلم يستثن الله إلا من أكره و قلبه مطمئن بالإيمان بشرط طمأنينة القلب و الإكراه لا يكون على العقيدة بل على القو... الفعل فقد صرح بأن من قال الكفر أو فعله فقد كفر إلا المكره بالشرط المذكور و ذلك بسبب إثارة الدنيا لا بسبب العقيدة) (تاريخ ابن غنام 196/2 و مؤلفات الشيخ 217/7)

و استنبط الشيخ جملة من المسائل عند قوله تعالى : (من كفر بالله من بعد إيمانه) فقال : (استثناء المكره المطمئن و أن الرخصة لمن جمع بينهما خلاف المكره فقط و أن الردة المذكورة كلام أو فعل من غير اعتقاد و أنها تكون مع شدة المعرفة بالدين و أنها تكون مع شدة المعرفة بالباطل و أنها تكون مع محبة الدين و أنها تكون مع بغض الباطل و أنها تكون مع شدة الخوف و تكون أيضا مع شدة حاجته لما بذل أو لما يرجوه ...) (مؤلفات الشيخ 229/4، 230)

و مما حرره الشيخ سليمان بن عبد الله ... بن عبد الوهاب - رحمهم الله - في معنى الآيين السابقين قوله : (حكم تعالى حكما لا يبدل أن من رجع عن دينه إلى الكفر فهو كافر سواء كان له عذر خوف على نفس أو مال أو أهل أم لا و سواء كفر بباطنه و ظاهره أم بظاهره دون باطنه و سواء كفر بفعله و مقاله أم بأحدهما دون الآخر و سواء كان طامعا في الدنيا ينالها من المشركين أم لا ... فهو كافر على كل حال إلا المكره ... فإذا أكره الإنسان على الكفر و قيل له : (أ كفر و إلاتناك أو ضربناك أو أخذنا المشركين فضرّبوه و لم يمكنه التخلص إلا بموافقتهم خاز له بموافقة لهم في الظاهر بشرط أن يكون قلبه مطمئنا بالإيمان أي ثابتا عليه معتقدا له فأما إن وافقهم بقلبه فهو كافر و لو كان مكرها

ثم أحرر تعالى أن سبب هذا الكفر و العذاب ليس بسبب الاعتقاد للشرك أو الجهل بالتوحيد أو البغض للدين أو محبة للكفر و إنما سببه أن له في ذلك حظا من حظوظ الدنيا فآثره على الدين و على رضى رب العالمين فقال : (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) (النحل: 107) (الدلائل في حكم موالاتة أهل الإشراك ص: 43-46)
و أكد هذه السألة الشيخ حمد بن عتيق - رحمه الله - بقوله : (إذا أكره و تكلم فلا بد من طمأنينة القلب بالإيمان و مفهوم ذلك انه إذا تكلم بالكفر من غير اكراه كفر و إن كان قلبه مطمئن بالإيمان كما أن من سرح بالكفر صدرا كفر و إن لم يتكلم) (الدفاع عن أهل السنة و الإتياع ص: 26)

ثم قال : (بل قد علموا - أي الصحابة رضي الله عنهم - من دين نبيهم أن من قال الكفر أو فعله أو رضى به محتارا كفر و إن كان مع ذلك يبغضه بقلبه و بهذا تبعهم على ذلك علماء أهل السنة و الحديث و ذكر ذلك في كتبهم حيث قالوا : إن المرتد هو الذي يكفر بعد إسلامه إما نطقا و إما فعلا و إما اعتقادا ففروا أن من قال الكفر كفر و إن لم يعتقده و لم يعمل به إذا لم يكن كرها و كذلك إذا فعل الكفر كفر و إن لم يتقده و نطق به و كذلك إذا شرح بالكفر صدره أي فتحه و وسعه و إن لم ينطق بذلك و لم يعمل به و هذا معلوم قطعا من كتبهم و من له ممارسة في العلم فلا بد أن يكون قد بلغ طائفة من ذلك) (الدفاع من أهل السنة و الإتياع ص: 29-30)¹⁸⁵

هذا ما تيسر جمعه و اعداده و بالله التوفيق و صَلَّى اللهُ وَ سَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَ عَلَى آلِهِ وَ صَحْبِهِ أَجْمَعِينَ وَ
الحمد لله رب

ذو القعدة

دار الحديث - دماج - صعدة -

اليمن